

أَصْلَاحُ الْمَسِيحِيَّةِ

الْبِدْعَ وَالْعَوَاتِدَ

تأليف

السيد جمال الدين القاسمي الدمشقي

رحمة الله عليه

قام بأمر طبعه السلمي الفاضل الشيخ فوزان السابق النجدي

ويطلب من

المكتبة السلفية

(حقوق الطبع محفوظة)

المطبعة السلفية - بمصر

لصاحبها : محب الدين الخطيب ومبذلها : فتود.

القاهرة

١٣٤١

أَصْلَاحُ الْمَسْجِدِ

الْبِدْعَ وَالْعَوَاتِدَ

تأليف

السيد جمال الدين القاسمي الدمشقي

رحمة الله عليه

قام بأمر طبعه السلمي الفاضل الشيخ فوزان السابق النجدي

ويطلب من

المكتبة السلفية

(حقوق الطبع محفوظة)

المطبعة السلفية - بمصر

لصاحبها : محب الدية الطيب ومبذلها فؤاد

القاهرة

١٣٤١

مقدمة النشر

بقلم الواقف على طبع هذا الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين * وسلام على عباده الصالحين

وبعد فإن رجال الاصلاح في الدنيا هم مصاييحها الذين تسطع أشعة حكمتهم في ديجور ظلمتها : فتتأذى بنور الاصلاح عيون طالما استأنست بالظلام ، وتتنكر له نفوس ذاقت لذة الاستفادة من غفلة جماهير العوام . فلا يزال مصباح الاصلاح جاداً في الظهور والاستعلاء ، وأعداء الاصلاح دائبين على مقاومته في الجلاء والخفاء ، حتى يتم الله نوره

واذا أتم الله نوره على عباده الصالحين باشاعة مذهبهم الصالح فكثير سواد التابعين له يقف الشيطان أمام قلعة منهم رصينة الاركان ، متينة البنيان ، حتى اذا عجز عن فتحها من الخارج تذرع الى فتحها من الداخل بتليسه الحق بالباطل على أهلها ، وتسويله لهم أن يبتدعوا في الدين ما ليس منه ، وأن يدخلوا عليه ما ليس فيه ، اكمالاً له بزعمهم ، ومبالغة في التمسك به . وان مثل الدين في ذلك كمثل ينبوع الماء يتفجر من سفح الجبل عذباً زلالاً ، فلا يجتاز في مجراه بقاع الارض من أفق الى أفق حتى تكدره الايدي فتمس الحاجة الى ازالة ما زاد فيه من أوضار وأقذار وكانت به تزال الاوضار والاقدار

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري

هناك تتجدد الحاجة الى المصلحين فتتألق مصابيحهم في الامم التي يريد الله بها خيراً ؛ ولعل ذلك من معاني قول الرسول الاكرم والمصلح الاعظم محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وسلم « يبعث الله على رأس كل مائة من يجدد لهذه الامة امر دينها » . ولعل الانحلال الشنيع الذي منينا به في ديننا وسجاياتنا وقوميتنا وسائر مقومات حياتنا هذه والحياة الخالدة هو الذي دعا الى ظهور عدد غير قليل من المصلحين في اكثر الاقطار الاسلامية والعربية لعهدنا هذا ، فصاحوا في الامة صيحتهم يدعونها للرجوع بالاسلام الى ما كان عليه في الصدر الاول من حالته الفطرية التي تشبه ماء الينابيع عذوبة وصفاء ، كما دعوها الى التسليح بعمارف أوربا وصناعاتها وأنظمتها ووسائل عمرانها لأن ذلك من معدات القوة التي لا غنى لامة عنها في معترك الحياة الحاضرة .

والسيد جمال الدين القاسمي رحمه الله مصباح من مصابيح الاصلاح الاسلامي التي ارتفعت فوق دياجير حياتنا الحاضرة المظلمة — في الثلث الاول من القرن الهجري الرابع عشر — فنفع الله الناس بعلمه وعمله ما شاء ان ينفعهم ، ثم انتقل الى رحمة الله ورضوانه تاركاً من آثاره العامية المطبوعة مالا تكاد تخلو منه مكتبة قائل بالاصلاح في العالم الاسلامي . وها نحن نتقدم اليوم الى أهل الفضل بكتاب من أجل كتبه شأناً وأجزؤها تفهماً وهو كتاب (اصلاح المساجد من البدع والعوائد) ونظنه الكتاب الوحيد المعروف بالعربية في هذا الموضوع . وأملنا في الله وطيد أن ينفع به السامعين من أهل هذا الجيل وفي كل جيل ، والله الموفق

القاهرة : غرة رمضان ، ١٣٤١

محب الديمة للطبيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أمر بالدعوة الى سبيله ، وجعل الخير والفضل في
قبيله * والصلاة والسلام على سيدنا ﴿ محمد ﴾ خاتم النبيين ، وامام
المرسلين * وعلى آله الطاهرين ، واصحابه الطيبين *
« اما بعد » فلما كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو
القطب الاعظم في الدين ، والمهم الذي ابتعث الله له النبيين * وجب
على كل مستطيع له : ان يقتحم لوجه الله سبيله * خشية ان تعم البدعة
وتفشوا الضلالة ، ويتسع الخرق وتشيع الجهالة * فتموت السنة
ويندرس الهدي النبوي ، ويمحى من الوجود معالم الصراط السوي *
ولما اضحت البدع الفواشي ، كالسحب الغواشي * يتعذر على البصير
حصرها ، وضبط افرادها وسبرها * رأيت ان أدل بجزئي منها على
كلياتها ، وبنبذة منها على بقياتها * وذلك في البدع والعوائد ، الفاشية
في كثير من المساجد * لاني ابتليت كآبائي بامامة بعض الجوامع في
دمشق الشام ، وبالقيام بالتدريس العام * فكنت أرى من أهم الواجبات

أعلام الناس بما ألمَّ بها من البدع والمنكرات * فان القيم مسؤل عن
 اصلاح من في معيته ، وفي الحديث : كلكم راع وكلكم مسؤل عن
 رعيته * فاستعنت بالله تعالى في الشروع ، وتوكلت عليه في اتمام هذا
 الموضوع * ونقبت لاجله عن شوارد الاسفار ، وضممت اليه ما يروق
 البصائر والابصار * وعزوتُ غالبَ فروعه لاصلها ، ردّاً للأمانات
 الى أهلها * تطميناً للمرتابين ، وتثبيتاً للمؤمنين * فجاء فريداً في بابهِ ،
 أمنية لطلابهِ * ولم اجد من سبقني اليه ، فاعرج بالاحتذاء عليه * بل
 كان ترتيبه مخترعاً ، وتقسيمه مبتدعاً * وذلك من فضل الله عليّ ،
 ومننه التي لا أحصي ثناءها لديّ * وبه المستعان ، وعليه التكلان ، في
 كل آن *



وفي (صحيح مسلم) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ما من نبي بعثه الله عز وجل في أمة قبلي الا كان له من أمته حواريون اصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره - وفي رواية يهتدون بهديه ، ويستنون بسنته - ثم انها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن ، ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل »

وفيه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ان النبي ﷺ كان يقول في خطبته « خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الامور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة » زاد البيهقي « وكل ضلالة في النار »

وفي (الصحيحين) و (سنن ابي داود) عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ « من احدث في امرنا ما ليس منه فهو رد » وفي رواية « من صنع امرأ على غير أمرنا فهو رد » اي مردود على فاعله وأخرج (الدارمي) ان ابا موسى الاشعري قال لابن مسعود « اني رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل وفي ايديهم حصي فيقول كبروا مائة فيكبرون مائة فيقول هلموا مائة فيهللون مائة فيقول سبحوا مائة فيسبحون مائة » قال « افلا امرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء » ثم أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال « ما هذا الذي اراكم

تصنعون » قالوا يا ابا عبد الرحمن « حصى نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد » قال « فعدوا سيئاتكم فاننا ضامن ان لا يضيع من حسناتكم شيء . ويحكم يا امة محمد ما أسرع هلكتكم ، هؤلاء اصحابه متوافرون ، وهذه ثيابه لم تبطل ، وآنيته لم تكسر . والذي نفسى بيده انكم لعلى ملة هي اهدى من ملة محمد . او مفتتحو باب ضلالة » قالوا « والله يا ابا عبد الرحمن ما اردنا الا الخير » قال « وكم من مرید للخير لن يصيبه » الحديث

وروى (الدرأى) أيضاً عن عبد الله قال « اتبعوا ولا تبتدعوا . فقد كنيتم »

وعنه قال « القصص في السنة خير من الاجتهاد في البدعة »
وعنه قال « تعلموا العلم قبل أن يقبض ، وقبضه ذهاب أهله .
ألا وإياكم والتنطع والتعمق والبدع ، وعليكم بالعتيق »
وعنه قال « أيها الناس ، انكم ستحدثون ويحدث اكم ، فاذا رأيتم محدثة فعليكم بالامر الاول »

وعن عمر قال « يهدم الاسلام زلة العالم ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الأئمة المضلين »
وعنه قال « سيأتي ناس يجادلونكم بشبهات القرآن نخذوهم بالسنن . فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله تعالى »
وعن ابن عباس قال « عليك بتقوى الله تعالى والاستقامة . اتبع ولا تبتدع »

وعنه « ان ابغض الامور الى الله تعالى البدع ، وان من البدع
الاعتكاف في المساجد التي في الدور »

وفي سنن ابي داود عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما « كل
عبادة لا يتعبد بها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تعبدوها ، فان الاول لم
يدع للآخر مقالا . فاتقوا الله يا معشر القراء وخذوا طريق من كان
قبلكم »

وفي كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى « أوصيكم بتقوى
الله تعالى والاقتصاد في أمره واتباع سنة رسول الله ﷺ وترك ما
أحدث المحدثون بعد »

وعن محمد بن مسلم « من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم
الاسلام »

قال أبو معشر سألت ابراهيم بن موسى عن هذه الاهواء فقال
« ما جعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير ، ما هي الا نزغة من
الشيطان ، عليك بالامر الاول »

وسأل عبد الملك بن مروان (غضيف بن الحارث) عن القصص
ورفع الايدي على المنابر فقال غضيف : انهما لمن أمثل ما احدثتم ، واني
لا اجيبك اليهما لاني حدثت أن رسول الله ﷺ قال « ما من أمة
تحدث في دينها بدعة الا أضاعت مثلها من السنة . والتمسك بالسنة .
احب اليّ من ان احدث بدعة »

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال « كل بدعة ضلالة وان رآها
الناس حسنة »

اخرج هذه الآثار (الدرامي) في مسنده ونقلها عنه الامام (أبو
شامة) الدمشقي في كتاب « الباعث عن انكار البدع والحوادث »

— ٣ —

﴿ معنى البدعة ﴾

اصل هذه الكلمة من الاختراع ، وهو الشيء يحدث من غير
اصل سبق ، ولا مثال احتذي ولا ألف مثله . ومنه قولهم ابدع الله
الخلق أي خلقهم ابتداء ومنه قوله تعالى « بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ »
وقوله « قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ » أي لم اكن اول رسول
الى اهل الارض . وهذا الاسم يدخل فيما تختاره القلوب ، وفيما تنطق
به اللسنة ، وفيما تفعله الجوارح . ثم غلب لفظ « البدعة » على الحدث
المكروه في الدين ، ومثله لفظ المبتدع لا يكاد يستعمل الا في الذم .
واما من حيث اصل الاشتقاق فانه يقال ذلك في المدح والذم لان
المراد انه شيء مخترع على غير مثال سبق . وقال الجوهري « البديع
المبتدع ، والبدعة الحدث في الدين بعد الاكمال » انتهى

وهو كل ما لم يكن في عصر النبي ﷺ مما فعله او أقر عليه او علم
من قواعد شريعته الاذن فيه وعدم النكير عليه . وفي معنى ذلك ما
كان في عصر الصحابة رضي الله عنهم ، مما اجمعوا عليه قولاً او فعلاً

او تقريراً . وكذلك ما اختلفوا فيه فان اختلفوا فيهم رحمة مهما كانت
 الاجتهاد والتردد مساع وليس لغيرهم الا الاتباع دون الابتداع
 وما احسن ما قاله ابراهيم النخعي رحمة الله عليه « ما اعطاكم
 الله خيراً اخيئ عنهم ، وهم اصحاب رسوله وخيرته من خلقه » فأشار
 بذلك الى ترك الغلو في الدين والى الاقتداء بالسلف الصالح
 وقد قال الله تعالى « يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا
 على الله الا الحق » فكل من فعل أمراً موهاً أنه مشروع وليس
 كذلك فهو غال في دينه ، مبتدع فيه ، قائل على الله غير الحق بلسان
 مقاله او لسان حاله . وروي ان رجلاً قل لمالك بن انس : من اين احرم ؟
 قال : من حيث احرم رسول الله ﷺ . قل الرجل : فان احرمت من
 ابعد منه ؟ قال : فلا تفعل ، فاني اخاف عليك الفتنة . قال : واي فتنة
 في ازدياد الخير ؟ فقال مالك : فان الله تعالى يقول « فليحذر الذين
 يخالفون عن أمره » الآية ، وأي فتنة أعظم من أن ترى انك خصصت
 بفضل لم يخص به رسول الله ﷺ . انتهى من (الباعث لابي شامة)

— ٤ —

﴿ انقسام البدعة الى حسنة وسيئة ﴾

تنقسم المحدثات الى بدع مستحسنة والى بدع مستقبحة . قال
 حرمله سمعت (الشافعي) يقول « البدعة بدعتان : بدعة محمودة ،
 وبدعة مذمومة . فما وافق السنة فهو محمود ، وما خالف السنة فهو

مذموم» واحتج بقول عمر رضي الله عنه في التراويح «نعمت البدعة»
 يعني أنها محدثة لم تكن وإذا كانت فليس فيها رد لما مضى ، وأنا كان
 كذلك لأن النبي ﷺ حث على قيام شهر رمضان ، وفعله ﷺ في
 المسجد ، واقتدى به بعض الصحابة ليلة بعد أخرى ، ثم ترك النبي ﷺ
 ذلك خشية أن يفرض عليهم . فلما قبض النبي ﷺ أمر من ذلك فاتفق
 الصحابة رضي الله عنهم على فعل قيام رمضان في المسجد جماعة لما فيه
 من أحياء ما أمر به الشارع وفعله وحث عليه ورغب فيه
 فالبدع الحسنة المتفق على جواز فعلها والاستحباب لها ورجاء
 الثواب لمن حسنت نيته فيها هي كل مبتدعة موافقة لقواعد الشريعة
 غير مخالفة لشيء فيها ولا يلزم من فعله محذور شرعي ، وذلك نحو
 بناء المنائر والمدارس وخانات السبل وغير ذلك من الأنواع التي لم تعهد
 في الصدر الأول ، فانه موافق لما جاءت به الشريعة من اصطناع
 المعروف والمعاونة على البر والتقوى (انتهى من الباعث)

— ٥ —

﴿ رد البدعة في الدين ﴾

لا يخفى أن مدار العبادات إنما هو على المأثور في الكتاب العزيز
 والسنة الصحيحة مع الإخلاص في القلب وصحة التوجه إلى الله تعالى .
 ولكل مسلم الحق في إنكار كل عبادة لم ترد في الكتاب والسنة في
 ذاتها أو صورتها ، فقد أخبرنا الله تعالى في كتابه بأنه أكمل لنا ديننا

وأتم علينا به نعمته ، فكل من يزيد فيه شيئاً فهو مردود عليه لأنه مخالف للآية الشريفة والحديث الصحيح « كل من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »

وكل البدع التي منها حسن ومنها سيء فهي الاختراعات المتعلقة بأمور المعاش ووسائله ومقاصده وهي المراد بحديث « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » ولولا ذلك لكان لنا أن نزيد في ركعات الصلاة أو سجوداتها (حققه بعض الفضلاء) والله أعلم

— ٦ —

(بغض المبتدع)

اعلم أن كل من يحب في الله لا بد أن يبغض في الله فانك ان احببت انساناً لانه مطيع لله ومحبوب عند الله فان عصاه فلا بد أن تبغضه لانه عاص لله وممقوت عند الله ، ومن أحب بسبب فبالضرورة يبغض لخصمه . وهذان متلازمان لا ينفصل احدهما عن الآخر ، وهو مطرد في الحب والبغض في المعاديات . ولكن كل واحد من اُحِب والبغض داء دفين في القلب ، وانما يترشح عند الغلبة ، ويترشح بظهور افعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة ، وفي المخالفة والموافقة . فاذا ظهر في الفعل شيء سمي موالاة ومعاداة ، ولذلك قال الله تعالى

« هل واليت فيّ وليا وهل عاديت فيّ عدوا (١) » واثّر البغض إما في الاعراض والتباعد وقلة الالتفات ، أو في الاستخفاف وتغليظ القول ، أو في قطع المعونة والرفق والنصرة

ومن الذين يبغضون في الله المبتدع ، فإن كان يدعو الى بدعته وهي ضلالة سبب لغواية الخلق فالاستحباب اظهر بفضه ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره والتشنيع عليه ببذعته وتنفير الناس عنه . وان كان عامياً لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به فأمره اهون فالاولى ان لا يفتح بالتغليظ والاهانة بل يتلطف به بالنصح ، فان قلوب العوام سريعة القلب ، فان لم ينفع النصح وكان في الاعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه تاكد الاستحباب في الاعراض ، وان علم ان ذلك لا يؤثر فيه لجود طبعه ورسوخ عقده في قلبه فالاعراض اولى ، لان البدعة اذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها (انتهى من الاحياء للامام الغزالي)

— ٧ —

﴿ وعيد من سن سنة سيئة ﴾

اخرج مسلم وغيره عن جرير رضي الله عنه في حديث وفد مضر والحث على اكرامهم قوله ﷺ « من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجورهم

شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيء »

— ٨ —

﴿ انكار المنكرات المحظورة والمكروهة ﴾

كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين ينكرون اشد الانكار على من احدث امرا او ابتدع رسما لم يعهدوه قل او كثر ، صغر ذلك او كبر ، كان ذلك في المعاملة او في العبادة او في الذكر والمنكرات تنقسم الى مكروهة والى محظورة ، فالمنكر المكروه يستحب المنع منه ويكره السكوت عليه ولا يحرم الا اذا لم يعلم الفاعل انه مكروه ، فيجب ذكره له لان الكراهة حكم في الشرع يجب تبليغه الى من لا يعرفه ، اما المنكر المحظور فالسكوت عليه مع القدرة محظور (انتهى من الاحياء للغزالي)

— ٩ —

﴿ مفسد الاقرار على البدع ﴾

من الغيرة لله ولرسوله ولدينه تعطيل ما الصق بالدين وليس منه وهجره واطراحه واستقباحه وتنفير الناس عنه ، اذ يلزم من الموافقة عليه مفسد :

الاولى : اعتماد العوام على صحته او حسنه ،

الثانية : اضلال الناس به واعانة لهم على الباطل واغراء به ،

الثالثة : في فعل العالم ذلك تسبب الى ان تكذب العامة على رسول الله ﷺ فنقول هذه سنة من السنن . والتسبب الى الكذب على رسول الله ﷺ لا يجوز لانه يورط العامة في عهدة قوله ﷺ « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » ،

الرابعة : ان الرجل العالم المقتدى به والمرموق بعين الصلاح اذا فعلها كان موهماً للعامة انها من السنن فيكون كاذباً على رسول الله ﷺ بلسان الحال ، ولسان الحال قد يقوم مقام لسان المقال ، واكثر ما أتي الناس في البدع بهذا السبب يظن في شخص انه من أهل العلم والتقوى وليس هو في نفس الامر كذلك فيرمقون اقواله وافعاله فيتبعونه في ذلك فتفسد امورهم

وفي الحديث عن ثوبان رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال « ان مما تخوف على امتي ائمة مضلين » اخرجه ابن ماجه والترمذي وصححه وفي الصحيح ان النبي ﷺ قال « ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ، ولكن يقبض العلم ب موت العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوساً جهالاً فافتوا بغير علم فضلوا واصلوا » قال الامام الطرطوشي فتدبروا هذا الحديث فانه يدل على انه لا يؤتى الناس قط من قبل علمائهم وانما يؤتون من قبل اذا مات علماء ثم افتي من ليس بعالم فيؤتى الناس من قبلهم . قال : وقد صرف عمر رضي الله عنه هذا المعنى تصريحاً فقال « ما خان أمين قط ، ولكنه اثمن غير أمين نخان » قال ونحن نقول : ما ابتدع عالم قط ولكنه استفتي من ليس بعالم فضل واصل

وكذلك فعل ربيعة قال مالك رحمه الله تعالى : بكى ربيعة يوماً بكاءً
شديداً ف قيل له امصيبة نزلت بك . قال لا ولكن استفتيت من
لا علم عنده ، وظهر في الاسلام امر عظيم
(انتهى من الباعث لابي شامة)

— ١٠ —

﴿ ما يجب على العالم ﴾

فيما يرد عليه مما يأمن فيه من الابتداع

لا يخفى أن السلف الصالح بلغوا إلينا هدى النبي ﷺ وسنته ،
وشرحوا لنا سيرته وطريقته ، ويميزوا ما نقل عنه مما يجب الرجوع إليه
من ذلك وما يطرح كما دوّن في كتب السنة . فالواجب على العالم فيما
يرد عليه من الوقائع : وما يسأل عنه من الشرائع ، الرجوع إلى ما دل
عليه كتاب الله المنزل ، وما صح عن نبيه المرسل ، وما كان عليه
الصحابة ومن بعدهم من الصدر الأول ، فما وافق ذلك اذن فيه وامر ،
وما خالفه نهى عنه وزجر ، فيكون بذلك قد آمن واتبع ، ولا
يستحسن فان من استحسن فقد شرع . قال أبو العباس احمد بن يحيى :
كان عبد الله بن الحسن يكثر الجلوس إلى ربيعة فتذاكروا يوماً السنن
فقال رجل كان في المجلس ليس العمل على هذا فقال عبد الله « أ رأيت
ان كثرة الجهال حتى يكونوا هم الحكم فهم الحجّة على السنة » فقال
ربيعة اشهد أن هذا الكلام أبناء الانبياء . انتهى من الباعث لابي شامة

﴿اجتناب العالم ما يتورط بسببه العامة﴾

هذا باب من أبواب الدين موضوعه اصلاح المعتقدات في العبادات : وتنبيه العامة على حكم ما ألفوه من العادات . وقد سبق العمل بهذا الباب علماء الصحابة وساسة الخلفاء الراشدين ، ورأوه من المرشد الصالحة ، والمنهاج السامية : ثم نبه عليه حكماء العلماء قال الامام ابو شامة في كتاب (الباعث) : لا ينبغي للعالم أن يفعل ما يتورط العوام بسبب فعله في اعتقاد امر على مخالفة الشرع . وقد امتنع جماعة من الصحابة من فعل أشياء إما واجبة وإما مؤكدة خوفا من ظن العامة خلاف ما هي عليه : قال الشافعي رحمة الله تعالى عليه : وقد بلغنا ان أبا بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما كانا لا يضحيان كراهية ان يقتدى بهما فيظن من رأها أنها واجبة . وعن ابن عباس انه جلس مع أصحابه ثم أرسل بدرهمين فقال اشتروا بهما لحما ثم قال هذه أضيحة ابن عباس . قال الشافعي وقد كان قايما بمر به يوم الا نحر فيه او ذبح بمكة قال وانما اراد بذلك مثل الذي روي عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وعن أبي مسعود الانصاري قال « اني لأترك ان اضحي كراهية أن يرى جيراني واهلي أنه على حتم »

أخرجهم الحافظ البيهقي في (كتاب المعرفة)

قال أبو بكر الطرطوشي : انظروا رحمكم الله فان لاهل الاسلام قولين في الاضحية ، احدها سنة والثاني واجبة ، ثم اقتضت الصحابة ترك السنة حذراً من ان يضع الناس الامر على غير وجهه فيعتقدوها .
فريضة

قال : ومن ذلك قصة عثمان بن عفان رضى الله عنه وذلك انه كان يسافر فيتم في السفر فيقال له « اليس قصرت مع رسول الله ﷺ » قال « بلى . ولكنى امام الناس ، فينظر الى الأعراب واهل البادية أصلي ركعتين فيقولون هكذا فرضت » قال الطرطوشي رحمه الله تعالى : تأملوا رحمكم الله تعالى فان في القصر قولين لاهل الاسلام ، منهم من يقول فريضة ومنهم من يقول سنة ، ثم اقتحم عثمان رضى الله عنه ترك الفرض أو السنة لما خاف من سوء العاقبة وان يعتقد الناس ان الفرض ركعتان

قل : وكان عمر ينهى الاماء عن لبس الازار وقال « لا تشبهن بالحرائر » وقال لابنه عبد الله « ألم اخبر ان جاريتك لبست الازار لو اقيمتها لا وجعتها ضرباً » . قال الطرطوشي : ومعلوم ان هذه سترة ، ولكن فهموا ان مقصود الشرع المحافظة على حدوده ، وان لا يظن الناس ان الحررة والامة في السترة سواء فتموت سنة وتحي بدعة

ثم قال (ابو شامة) : ونظائر ما حكى عن أبي بكر وعمر رضى الله عنهما في الاضحية ما أخرجه (البيهقي في كتاب السنن) عن عبد الرحمن بن ابى اناب بكر وعمر كانا يمشيان امام الجنائزة وكان علي

يمشي خلفها ، فقيل لعلي رضي الله عنه كانا يمشيان امامها فقال « انهما يعلمان ان المشي خلفها افضل من المشي امامها كفضل صلاة الرجل في جماعة على صلاته فداً ولكنهما يسهلان للناس »

وقد انكر عمر على طلحة رضي الله عنهما فعلا يغتر بظاهره الجهال فيحمأونه على غير وجهه في الموطأ عن نافع انه سمع اسلم يحدث ان عمر رأى على طلحة ثوبا مصبوغا وهو محرم فقال : ماهذا الثوب المصبوغ يا طلحة ؟ فقال طلحة : يا أمير المؤمنين انما هو مدر (١) . فقال عمر انكم ايها الرهط ائمة يقتدى بكم ، فلو أن رجلاً جاهلاً رأى هذا الثوب لقال ان طلحة قد كان يلبس الثياب المصبغة في الاحرام ، فلا تلبسوا ايها الرهط شيئاً من هذه الثياب المصبغة اهـ

وقال الامام الغزالي في (الاحياء) في باب السماع : يمنع التشبه باهل الفسق لان من تشبه بقوم فهو منهم . وبهذه العلة نقول بترك السنة منهما صارت شعاراً لاهل البدعة خوفاً من التشبه بهم ثم قال لهذا ينهى عن لبس القباء وترك الشعر على الرأس قزعا في بلاد صار القباء من لبس اهل الفساد فيها

وقال الشهاب ابن حجر في فتاويه الحديثية : ما يفعله كثير عند ذكر مولده صلواته وسأله ووضع أمه له من القيام بدعة لم يرد فيها شيء . قال : على أن الناس انما يفعلون ذلك تعظيماً له صلواته وسأله . فالعوام معذورون بذلك بخلاف الخواص فلا ينبغي لهم فعله اهـ

(١) اي مصبوغ به وهو الطين العلك الذي لا يخالطه شيء من رمل

وقال البدر العيني في (شرح البخاري) في باب المساجد التي على طريق المدينة . ينبغي للعالم اذا رأى الناس يلتزمون النوافل التزاماً شديداً ان يترخص فيها في بعض المرات ويتركها ليعلم بفعله ذلك انها غير واجبة ، كما فعل ابن عباس في ترك الاضحية . انتهى

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في فتواه أن ليس للجمعة رتبة قبلية مانصه : الاذان الذي على المنائر لم يكن على عهد رسول الله ﷺ ولكن عثمان أمر به لما كثرت الناس ولم يكن يبلغهم الاذان حين خروج الامام وعوده على المنبر . ويتوجه ان يقال هذا الاذان الثالث لما سنه عثمان واتفق عليه المسلمون صار أذاناً شرعياً وحينئذ فتكون الصلاة بينه وبين الاذان الثاني جائزة حسنة وليست سنة راتبة كالصلاة قبل المغرب . وحينئذ فمن فعل ذلك لم ينكر عليه . ومن ترك ذلك لم ينكر عليه وهذا أعدل الاقوال وكلام الامام احمد عليه . وحينئذ فقد يكون تركها افضل اذا كان الجهال يعتقدون ان هذه سنة راتبة أو واجبة فتترك حتى يعرف الناس انها ليست سنة راتبة ولا واجبة ، لاسيما اذا داوم الناس عليها فينبغي تركها أحياناً حتى لا تشبه الفرض كما استحب أكثر العلماء (يعني المالكية والحنفية والحنابلة) ان لا يداوم على قراءة السجدة يوم الجمعة مع انه قد ثبت في الصحيح ان النبي ﷺ فعلها ، فاذا كان يكره المداومة على ذلك فترك المداومة على ما لم يسنه ﷺ أولى ، وان صلاها الرجل بين الاذنين أحياناً لانهما تطوع مطلق او صلاة بين أذنين كما يصلي قبل العصر والعشاء لانهما

سنة راتبة فهذا جائز، وإذا كان رجل مع قوم يصلونها فإن كان مطاعاً إذا تركها وبين لهم السنة لم ينكروا عليه بل عرفوا السنة فتركها حسن وإن لم يكن مطاعاً ورأى أن في صلاحها تأليف القلوبهم إلى ما هو أنفع أو دفعا للخصام والشر لعدم التمكن من بيان الحق لهم وقبولهم له ونحو ذلك فهذا أيضاً حسن . فالعمل الواحد يكون مستحباً فعلة تارة وتركه تارة باعتبار ما يرجح من مصلحة فعلة وتركه بحسب الأدلة الشرعية، والمسلم قد يترك المستحب إذا كان في فعله فساد راجح على مصلحة، كما ترك النبي ﷺ بناء البيت على قواعد إبراهيم، وقال لعائشة «لولا أن قومك حديثو عهد بجاهلية لنقضت الكعبة، ولألصقتها بالأرض ولجعلت لها بابين باباً يدخل الناس منه وباباً يخرجون منه» والحديث في الصحيحين فترك النبي ﷺ هذا الأمر الذي كان عنده أفضل الأمرين للمعارض الراجح وهو حدثان عهد قريش بالإسلام لما في ذلك من التنفير لهم، فكانت المفسدة راجحة على المصلحة . ولذلك استحب الأئمة أحمد وغيره أن يدع الإمام ما هو عنده أفضل إذا كان فيه تأليف المأمومين . مثل أن يكون عنده فصل الثنوت أفضل بأن يسلم في الشفع ثم يصلي ركعة الوتر وهو يؤم قوما لا يرون الاوصل الوتر، فإذا لم يمكنه أن ينقلهم إلى الأفضل كانت المصلحة الخاصة بموافقته لهم بوصل الوتر أرجح من مصلحة فصله مع كراهتهم للصلاة خلفه . وكذلك لو كان ممن يرى المخافة بالبسلة أفضل أو الجهر بها وكان المأمومون على خلاف رأيه ففعل المفضول عنده لمصلحة الموافقة

والتأليف التي هي راجعة على مصلحة تلك الفضيلة كان هذا جائزاً
 حسناً . وكذلك لو فعل خلاف الافضل لاجل بيان السنة وتعليمها
 لمن لم يعلمها كان حسناً مثل أن يجهر بالاستفتاح أو التعوذ أو البسملة
 ليعرف الناس ان فعل ذلك حسن مشروع في الصلاة كما ثبت في
 الصحيح « ان عمر بن الخطاب جهر بالاستفتاح فكان يكبر ويقول :
 سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك .
 قال الاسود بن يزيد : صليت خلف عمر اكثر من سبعين صلاة فكان
 يكبر ثم يقول ذلك . رواه مسلم في صحيحه . ولهذا شاع الاستفتاح
 حتى عمل به اكثر الناس . وكذلك ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم
 يجهران بالاستعاذة ، وكان غير واحد من الصحابة يجهر بالبسملة ،
 وهذا عند الائمة الجمهور الذين لا يرون الجهر بها سنة راتبة كان لتعليم
 الناس ان قرائتها في الصلاة سنة ، كما ثبت في الصحيح « ان ابن عباس
 صلى على جنازة فقرأ بام القرآن جهراً » وذكر أنه فعل ذلك ليعلم الناس
 انها سنة . وذلك ان الناس في صلاة الجنائز على قولين : منهم من
 لا يرى فيها قراءة بحال كما قاله كثير من السلف وهو مذهب ابي حنيفة
 ومالك ، ومنهم من يرى القراءة فيها سنة كقول الشافعي واحمد
 لحديث ابن عباس هذا وغيره ثم من هؤلاء من يقول القراءة فيها
 واجبة كالصلاة ، ومنهم من يقول بل هي سنة مستحبة ليست واجبة
 وهذا اعدل الاقوال الثلاثة ، فان السلف فعلوا هذا وهذا وكان كلا
 الفعلين مشهوراً بينهم : كانوا يصلون على الجنائز بقراءة وبغير قراءة

كما كانوا يصلون تارة بالبسملة وتارة بغير جهر ، وتارة باستفتاح
وتارة بغير استفتاح ، وتارة برفع اليدين في المواطن الثلاثة وتارة
بغير رفع ، وتارة يسامون تسليمتين وتارة تسليمية واحدة ،
وتارة يقرأون خلف الامام بالسر وتارة لا يقرأون ، وتارة يكبرون
على الجنابة سبعة وتارة خمساً وتارة أربعاً كان فيهم من يفعل هذا
وفيههم من يفعل هذا كل هذا ثابت عن الصحابة ، كما ثبت عنهم ان فيهم
من كان يرجع في الاذان وفيهم من لا يرجع فيه ، وفيهم من
يوتر الإقامة وفيهم من كان يشفعها ، وكلاهما ثابت عن النبي ﷺ .
فهذه الامور وان كان أحدها أرجح من الآخر فن فعل المرجوح
فقد فعل جائزاً ، وقد يكون فعل المرجوح المصححة الراجعة كما
يكون ترك الرجح أرجح أحياناً لمصلحة راجحة . وهذا وقع في عامة
الاعمال ، فان العمل الذي هو في جنسه أفضل قد يكون في موطن
غيره أفضل منه كما ان جنس الصلاة أفضل من جنس القراءة و جنس
القراءة أفضل الذكر ، و جنس الذكر أفضل من جنس الدعاء . ثم
الصلاة بعد الفجر والعصر منهي عنها ، والقراءة والدعاء والذكر أفضل
منها في تلك الاوقات ، وكذلك القراءة في الركوع والسجود منهي
عنها ، والذكر هناك أفضل منها ، والدعاء في آخر الصلاة بعد التشهد
أفضل من الذكر . وقد يكون العمل المفضول أفضل بحسب حال
الشخص المعين لكونه عاجزاً عن الافضل ، أو لكون محبته ورغبته
واهتمامه وانتفاعه بالمفضول اكثر فيكون أفضل في حقه لما يقترن

به من مزيد علمه وحببه وادته وانتفاعه كما ان المريض ينتفع بالدواء الذي يشتهيهِ مالا ينتفع به مالا يشتهيهِ وان كان جنس ذلك أفضل ، ومن هذا الباب صار الذكر لبعض الناس في بعض الاوقات خيراً من القراءة والقراءة لبعضهم في بعض الاوقات خير من الصلاة وأمثال ذلك لكمال انتفاعه به لا لانه في جنسه أفضل

وهذا الباب باب تفضيل بعض الاعمال على بعض ان لم يعرف فيه التفضيل ، وأن ذلك يتنوع بتنوع الاحوال في كثير من الاعمال والا وقع فيه اضطراب كثير فان من الناس من اذا اعتقد استحباب فعل ورجحانه يحافظ عليه مالا يحافظ على الواجبات حتى يخرج به الامر الى الهوى والتعصب والحمية الجاهلية كما تجده فيمن يختار بعض هذه الامور فيراها شعاراً لمذهبه . ومنهم من اذا رأى ترك ذلك هو الافضل يحافظ أيضاً على هذا الترك أعظم من محافظته على ترك المحرمات حتى يخرج به الامر الى اتباع الهوى والحمية الجاهلية كما تجده فيمن يرى الترك شعاراً لمذهبه وأمثال ذلك . وهذا كله خطأ والواجب أن يعطى كل ذي حق حقه ، ويوسع ماوسع الله ورسوله ، ويؤلف ماألف الله بينه ورسوله ، ويراعي في ذلك مايجبه الله ورسوله من المصالح الشرعية والمقاصد الشرعية ، ويعلم أن خير الكلام كلام الله ، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وأن الله بعثه رحمة للعالمين ، بعثه بسعادة الدنيا والآخرة في كل أمر من الامور وأن يكون مع الانسان ما يحفظ به هذا الاجمال ، والا فكثير من الناس يعتقد هذا مجحلاً ويدعه عند التفصيل إما

جهلاً ، وإما ظالماً ، وإما ظناً ، وإما اتباعاً للهوى . فنسأل الله أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً

— ١٢ —

﴿ فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴾

لا خفاء في أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم شعائر الدين ، وأهم المفترضات على المؤمنين . قد أمر الله بذلك في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ . وحث عليه ورغب فيه فقال تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » وأبرز القائمين بذلك في أجل مظهر يمكن أن تظهر فيه حال أمة فقال « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » فقدم ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان في هذه الآية مع أن الايمان هو الاصل الذي تقوم عليه أعمال البر والادوة التي تتفرع عنها أفنان الخير ، تشریفاً لتلك الفريضة ، وأعلى انزائها بين الفرائض ، بل تنبيهاً على أنها حفاظ الايمان وملاك أمره . ثم شد بالانكار على قوم أغفلوها ، وأهل دين أشملوها فقال « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » فقذف عليهم اللعنة وهي أشد ما عنون به على مقتته وغضبه

وقال رسول الله ﷺ من رأى منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه ؛ فإن لم يستطع فبقلبه ؛ وذلك أضعف الإيمان
 وقال عليه الصلاة والسلام « ايها الناس مروا بالمعروف وانهاوا
 عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم ؛ وقبل أن تستغفروا فلا
 يغفر لكم . ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يدفع رزقا ولا
 يقرب أجلا وان الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا
 الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان انبيائهم ثم عموا
 بالبلاء . وقال عليه الصلاة والسلام أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان
 جائر . وسئل صلوات الله عليه عن خير الناس فقال أتقاؤم للرب
 وأرسلهم للرحم ؛ وأمرهم بالمعروف ؛ ونهاهم عن المنكر

فقد تبين واتضح ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
 لا رخصة لاحد في تركهما عند القدرة والامكان . وان من أضع ذلك
 وتساهل فيه فهو متهاون بحق الله ، وغير معظم لحرمة كما ينبغي ؛ وقد
 ضعف إيمانه ؛ وقل من الله خوفه وحيأؤه ، فان كان سكوته رغبة في
 الدنيا وطمعا في الجاه والمال ويخشى انه اذا أمر أو نهى سقطت منزلته
 وضعف جاهه عند من أمره أو نهاه من العصاة والظلمة فقد عظم
 آثمه وتعرض بسكوته لسخط ربه ومقتته ؛ فاما اذا سكوت عن الامر
 والنهي لعامه انه يحصل له اذا أمر أو نهى مكروه في نفسه أو ماله
 فقد يجوز له السكوت اذا تحقق ذلك وكان المكروه الذي يحصل له
 شديداً وله وقع ظاهر ؛ ولو أمر أو نهى مع ذلك كان له أجر عظيم

وثواب جزيل وكان ذلك منه دليلاً على محبة الله وإشاره على نفسه وعلى
 نهاية الحرص على نصرته لدينه كما قل تعالى « وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ » وما أحسن
 حال العبد إذا ضرب أو حبس أو شتم بسبب قيامه بحقوق ربه وأمره
 بطاعته ونهيه عن معصيته ، ذلك دأب الأنبياء والصالحين والعلماء
 العاملين ، كما هو منقول في أخبارهم ، ومعروف من سيرهم وآثارهم .
 ولا خير في الجبن والضعف المائمين من نصرة الدين ومجاهدة الظالمين
 والفاستقين لردّهم إلى طاعة الله رب العالمين ، فإن الغضب لله والغيرة له
 عند ترك أو أمره ، وارتكاب نواهيه وزواجره ، شأن الأنبياء
 والصديقين ، وبذلك وصفوا ، واشتهروا وعرفوا ، كما ورد في الحديث
 أنه عليه الصلاة والسلام « كان لا ينضب لنفسه ، فإذا انتهك شيء
 من حرّمات الله تعالى لم يقم لنضبه شيء » وكما قال عليه الصلاة والسلام
 في حق عمر بن الخطاب رضي الله عنه « تركه قوله الحق وماله في الناس
 من صديق » وقال تعالى في وصف أحبّابه من المؤمنين « أَذِاتَةٌ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ
 أَوْمَةً لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »

فتبين أن المؤمن الكامل لا يقدر أن يملك نفسه عند مشاهدة
 المنكرات يغيرها أو يحال بينه وبين ذلك بما لا طاقة له على دفعه .
 وأما المنافق ومن ضعف إيمانه جداً فاذا رأى المنكرات تعللوا وعذروا
 أنفسهم بالأعذار الركيكة التي لا يقوم بها حجة عند الله وعند رسول

الله ﷻ ، وتراحم اذا شتموا أو ظلموا بشيء من أموالهم يقومون اتهم
القيام ويغضبون أشد الغضب ، ومن فعل معهم ذلك يخاصمونه
ويصارمونه الزمان الطويل ، ولا يفعلون شيئاً من ذلك مع المصرين
على الظلم والمنكر المضيعين لحقوق الله ، وإن المؤمنين الصادقين على
العكس من ذلك يغضبون لله ولا يغضبون لأنفسهم ويقاطعون من
عصى الله وترك أمره ويصارمونه اذا لم يقبل الحق ويصفحون
ويتجاوزون عمن ظلمهم أو شتمهم . فانظروا الفرق ما بين الفريقين
وكونوا مع أحسنهم فريقاً ، وأقومهم طريقاً « واستعينوا بالله وأصبروا
إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »

ثم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الكفاية
حيث قام به البعض من المسامين سقط الحرج بقيامهم عن الباقيين ،
واختص الثواب بالقائمين فقط . وحيث قصرُوا كلهم عم الأثم والحرج
كل عالم بالمنكر منهم يستطيع ازالته وتغييره بيد ولسان

وأول ما يجب عند مشاهدة المنكرات التعريف والنهي بلطف
ورفق وشفقة ، فإن حصل بذلك المقصود والا انتقل منه الى الوعظ
والتخويف والغلظة في القول والتعنيف ، ثم الى المنع والقهر باليد وغيرها
ومباشرة تغيير المنكر بالفعل . أما الرتبة الأولى — التعريف
باللطف والوعظ والتخويف — منهما فعامتان والغالب فيهما الاستطاعة
ومدعي العجز عنهما متعلل ومتعذر في الأكثر بما لا يقوم به عذر ،
وأما الرتبة الثانية التي هي المنع بالقهر وتغيير المنكر فلا يستطيعه

ويتمكن منه في الأَكْثَرِ إلا من بذل نفسه لله تعالى ، وجاهد بماله ونفسه في سبيل الله ، وصار لا يخاف في الله لومة لائم ، أو كان حاكماً أو مأذوناً له من قبله

والحاصل ان الانسان يأتي من ذلك بما يستطيع ولا يقصر في نصرة دين الله ولا يعتذر في اسقاط ذلك بالاعذار التي لا تصح ولا يسقط بها ما وجب عليه من أمر الله

واعلم ان الأَخْذَ بالرفق واللطاف ، واظهار الشفقة والرحمة ، عليه مدار كبير عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فعليك به ولا تعدل عنه ما دمت ترجو نفعه وحصول المقصود به . وفي الحديث : « ما كان الرفق في شيء إلا زانه ، وما نزع من شيء إلا شانه » وورد أيضاً « انه لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا رقيق فيما يأمر به رقيق فيما ينهى عنه »

وايحذر من المداهنة في الدين ، ومعناها ان يسكت الانسان عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعن قول الحق وكلمة العدل طمعاً في الناس وتوقعاً لما يحصل منهم من جاه أو مال أو حظ من حظوظ الدنيا . هذا ما جاء في كتاب النصائح الدينية للإمام (باعلوي الحداد) قدس سره

وقال بعض الفضلاء : قد يظن ان النهي عن المنكر من أصعب الامور مع أن ازالة المنكر في الشرع تكون بالفعل ، فان لم يكن فبالقول ، فان لم يمكن فبالقلب ، وهذه الدرجة الثالثة هي

الاعراض عن الخائن والفسق والنفور منه وإبطان بغضه في الله ،
ومن علائم ذلك تجنب مجاملته ومعاملته . ولا شك ان ايفاء هذا
الواجب الديني كاف للردع ولا يتصور المعجز عنه ، قل تعالى « ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض »

« ١٣ »

* (بيان من هو المستطيع لازالة البدع في المساجد) *

ان قلت : من المستطيع في هذه الأعصار لازالة البدع
والمنكرات في المساجد ، الجريء عليها ، النافذ الكرامة في شأنها ،
حتى يتوجه اليه تكليف السعي باماطتها عن جادة الحق ؟

قلت : لا إخال انه يخفى معنى اللفظ النبوي والمراد منه وهو
المستطيع المتحقق وجوده في كل عصر ، فكل عالم يؤم قوماً في
مسجد أو يدرس فيه أو يعظ يتعين عليه السعي في ازالتها اذا كان
له نفوذ كلمة لدى الحكم ، والا فالامر منوط برئيس العلماء
ووجيههم عند الامراء فانه مسموع الكلمة مطاع الاشارة في ذلك
مرهوب المقام بين العامة ، فاذا امر المبتدعين في المساجد بترك
بدعتهم فانهم يرضخون له رهبة منه ، حتى اذا عانده احد فان له من
الوجاهة ما يمكنه رفع ذلك ، كأن يعلم والي البلدة او حاكمها وهو ينفذ
له امره ، وذلك ان الحاكم يأمر رئيس الشرط ان يرسل من جنده
من ينذر المبتدعين بان من لم يقلع عن بدعته فانه يودع في السجن ،

فاذا حضرت الشرط وارهبت المبتدعين فلا تلبث البدعة ان تذهب
كأمس الدابر وتصبح حديثا من الاحاديث

ولقد شاهدنا في عصرنا وما قبله ان المدرسين في الجامع الاموي
كانوا يصلون العشاء جماعات متعددة كل مدرس يؤم تلامذته عند
حلقته ، وهكذا في رمضان فلا تحصى جماعات التراويح . ولا تسئل عن
التسابق في حلبة الاستعجال وايهم يفرغ قبل ، مما يؤسف كل عاقل ،
وهكذا بعد صلاة الجمعة في جماعات الظهر . فترأى المفتي الشام ان
ينتهي عن هذه البدعة - بدعة تقسيم المصلين وتفريق كلمة المجمعين -
فأمر الفقهاء والمدرسين في هذا الجامع بالكف عن هذا التفرق
والتفريق ، وان ينضموا للامام الراتب فقط ، فرضخ الكثير منهم
وهدوا الى نبت تلك العادة السيئة ، وابى البعض فاستعان المفتي على
دحر عناده ومحو اصراره بالوالي ، فأوعز الى رئيس الشرط فارسل من
ينهاه عن اصراره ويحذره عاقبة استكباره ، فامارأى مالىس في الحسينان
استخذى واستكان ، فشكرت الالسنه هذه الحسنه وبالله التوفيق

ولا يزال كثير من الدمشقيين يذكرون ما كان في عهد والي
سورية رشدي باشا الشرواني فانه أمر بترك كثير من العوائد المبتدعة
من الصياح في المساجد والانشيد فيها ، والجهر بالايراد المشوش على
المصلين ، وضجة المنشدين في الجنائر ، وما شا كل ذلك مما حمده العقلاء
وشكروا سعيه المبرور فيه . الا انه بعد عزله (عام ١٢٨٢) ما لبثت
تلك العوائد الموروثة ان عادت الى شكلها الاول . ولا يخفى أن محوها

متوقف على نظرة صادقة من الرؤساء وفقههم الله تعالى
ثم قرأت في كتاب (الدارس للنعمي) ان الملك الكامل كان أمر
أئمة الأموي في عهده ان لا يصلي أحد منهم سوى الإمام الكبير ،
لما كان يقع من التشويش والخلاف بسبب اجتماعهم في وقت واحد .
قال النعمي : ولنعم ما فعل . قال : وقد فعل هذا في زماننا في صلاة
التراويح ، اجتمع الناس على قارئ واحد وهو الإمام الكبير في المحراب
عند المنبر . انتهى

وبالجملة فالواقف على هذا يعلم ان قد وجد في العصر الغابرة من
تنبه لمثل هذه البدع من الأمراء فإزالها ، وما يسر الأمر عليهم وما
أسهل على من يصحبهم من رؤساء العلم تبليغهم تلك المنكرات
لو كانوا فاعلين

— ١٤ —

﴿ لزوم الصبر والتواصي به للداعي الى الحق ﴾
قال استاذ امام وحكيم همام^(١) : الصبر في القرآن ذكر سبعين
مرة ، ولم تذكر فضيلة اخرى فيه بهذا المقدار . وهذا يدل على عظم
أمره . وقد جعل التواصي به في سورة العصر مقرونا بالتواصي بالحق ،
اذ لا بد للداعي الى الحق منه . والمراد بالصبر في هذه الآيات كلها
ملكه الثبات والاحتمال التي تهوّن على صاحبها كل ما يلاقيه في سبيل
(١) هن مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه (في تفسيره
لسورة العصر)

تأييد الحق . ونصرُ الفضيلة فضيلة هي ام الفضائل التي تربي ملكات الخير في النفس ، فما من فضيلة الا وهي محتاجة اليها . وانما يظهر الصبر في ثبات الانسان على عمل اختياري يقصد به اثبات حق أو ازالة باطل أو الدعوة الى عقيدة أو تأييد فضيلة أو إيجاد وسيلة الى عمل عظيم ، لان امثال هذه الكميات التي تتعلق بالمصالح العامة هي التي تقابل من الناس بالمقاومة والمحادّة التي يعجز فيها الصبر ويعزّ معها الثبات على احتمال المكارة ومصارعة الشدائد فالثابت على العمل في مثل هذه الحال هو الصابر والصابر ، وان كان في أول الامر متكافا ، ومتى رسخت الملة يسمي صاحبها صابورا (١)

وقال أيضا : التواصي بالحق لا يكون الا من متعدد فلا نجاة من الخسران الا بان يقوم الافراد من الامة مهبا عظم عددهم بان يوصي كل واحد منهم من يعرفه من الباقيين بان يطلب الحق ويلتزمه وان يأخذ بالصبر في جميع شؤونه فلو ان شخصا واحدا قام بذلك وأوصى غيره ولكن الباقيين لم يقوموا بمثل ما قام به لحل الخسران بالجميع في الدنيا لا محالة ، فان الامة اذا غفل معظمها عن الحق والدعوة اليه ووهن الصبر في نفوسهم فلا محالة يستولي عليها الباطل وتضعف منها العزائم فيسوء حالها وتري بنفسها في الهلكة « واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة » . وأما في الآخرة فالخسران انما يحقق بمن لم يوص

(١) انظر في كتاب (عدة الصابرين) المطبوع بمصر للمصالح ابن

قيم الجوزية أبسط بيان في موضوع الصبر من جميع وجوهه

أو من لم يسمع الوصية ولم يقبلها فإن كان الموصي لم يحصل من وسائل
التقريب ما يحتاج إليه وكان نفور صاحبه من طريقة نصحه ولو سلك
غيرها لقبول منه كان الخسار في الآخرة عليه كذلك وأي نجاة لامة
يسكت ابتأؤها على المنكر يفسد بينهم ولا تتحرك نفوسهم الى التناهي
عنه ، والمنكر مفسدة الافراد ومقراض الامم

التواصي بالحق والتواصي بالصبر يدخل فيهما الامران الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ، لان من اوصى بالحق ودعا اليه لا يتم له
ذلك حتى ينهي عن الباطل ويصد عنه ومن اوصى بالصبر على مشاق
الاعمال الصالحة لا يكمل له ذلك حتى يتبين مساويء الاعمال الخبيثة
وعواقب التفريط بترك تلك الصالحات . فقد اودع الله في هذين
الركنين ركني الامر بالمعروف والنهي عن المنكر في جميع الاعمال
والاحوال وقرر لنا ان لا نجاة لقوم من الخسران في الدنيا والآخرة
الا بان يقوم كل واحد منهم بما يجب عليه من ذلك في القدر الذي
يمكنه وعلى الوجه الذي يمكنه

فمن الواجب على كل أمة تريد ان تنجو من الخسران ان تقوم
بهذا الفرض وهو التواصي بالخير والتناهي عن الشر أو التواصي بالحق
والتواصي بالصبر فاذا طرأ على عوائد الامة أو نزل بها من الحوادث
ما بغض اليها التناصح أو حجب اليها التساهل في فريضة التواصي كان
ذلك انذاراً بحلول الخسار وتعرضاً في الدنيا للعار والدمار وفي الآخرة
لعذاب النار

ولا يجوز لأحد ان يتعلل بذلك التساهل اذا وقع من الامة
ويقتنع نفسه بأنه عاجز عن النجاح في نصيحته ولهذا يكفيه ان ينكر
النكر بقلبه وبذلك ينجو من الخسران الاخروي ان لم ينج من
الخسران الدنيوي كما يتوهمه بعض المسلمين اليوم خصوصاً اولئك
الذين عرفوا بينهم بالعلماء فقد اخطأوا خطأً عظيماً في زعمهم ان
إعراض العامة عنهم ينجيهم من العقوبة الالهية اذا لم يبذلوا النصيح لهم
ولم يبينوا لهم وجه الحق وان انكروه وصكروا وجهه الداعي اليه فقد
صدق الله وعده ، واكد خبره ، ولا سبيل الى التأويل في أمره ،
ولا الى جحد ما يتلوّه من أثره . انتهى

— ٦٥ —

﴿ نقيم المتصبيين على منكر البدع بغيّاً وجهلاً ﴾
قال بعضهم : مضت سنة الله تعالى في أهل البغي والشقاق ان
يظهر تفرقهم وخلافهم بعد ظهور الحق « وما تفرّقوا الا من بعد
ما جاءهم العلم بغيّاً بينهم » ، « وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من
بعد ما جاءتهم البينة » ، « وما اختلف فيهم الا الذين اوتوه من بعد
ما جاءتهم البينات بغيّاً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من
الحق باذنه » فعلى المؤمن ان يأخذ بالحق متى ظهر له ويرشد اليه متى
عرفه لا يخاف فيه لومة لائم ولا خوض آثم . واذا كان قد سبق له عمل
بخلافه عن خطأ في الاجتهاد فهو مثاب على نيته وان كان قد أمره
بذلك عالم فذلك العالم أيضاً مثاب ان كان قد تحرى الحق بقدر طاقته

ثم قال فيمن يكبر مسألة ويعظمها لمخالفتها لحكم سلطان العادة
هذه سنة الله في الخلق يهتم الناس على قدر جهلهم بالامور التي
لا يترتب عليها نفع ولا ضرر ويتركون عظام الامور لا يبالون بها .
ارأيت ايها الاخ ايهم قومك بالانكار على تارك الصلاة او مانع الزكاة
كما يهتمون في تقديس ما القوا عليه آباءهم والقيام في وجه الحق
انتصارا للنفس وتعصبا على المخالف واحتفاظا بالعادة ، كلا . فالواجب
على الحق ان يبينه للناس غير مبال بلفظ اللاعطين واختلاف الجاهلين
والله ولي المتقين

— ١٦ —

﴿ عدوى البدع من شؤم المخالطة ﴾

قال الامام ابن الحاج عليه الرحمة والرضوان في كتابه (المدخل)
في فقه حديث معاذ رضى الله عنه : نهى عن السجود للبشر وأمرنا
بالمصافحة . وحديثه لما حكى للنبي ﷺ سجود النصراني لبطارقته
وهم رضى الله عنه بالسجود له ﷺ فقال « لا تفعل » يؤخذ منه
التحرز عن مخالطة اهل الكتاب اذ ان النفوس تميل غالبا الى ما يكثر
ترداده عليها . ومن ههنا والله أعلم كثر التخليط على بعض الناس في
هذا الزمان (يعني زمنه في مصر) لمجاورتهم ومخالطتهم لقبط النصراني
مع قلة العلم والتعلم فانست نفوسهم بعوائد من خالطوه فنشأ من
ذلك الفساد وهو أنهم وضعوا تلك العوائد التي أنست بها نفوسهم
موضع السنن حتى أنك إذا قلت لبعضهم اليوم « السنة كذا » يكون

جوابه لذلك على الفور : عادة الناس كذا ، وطريقة المشايخ كذا .
 فان طالبتة بالدليل الشرعي لم يقدر على ذلك الا أنه يقول نشأت على
 هذا ، وكان والدي وجدي وشيخي وكل من أعرفه على هذا المنهاج ،
 ولا يمكن في حقهم ان يرتكبوا الباطل او يخالفوا السنة . فيشنع على
 من يأمره بالسنة ويقول له ما أنت اعرف بالسنة ممن ادركتهم من
 هذا الجهم الغفير وقد أنكر بعض العلماء على الامام مالك رحمه الله
 في اخذه بعمل علماء المدينة على ساكنها افضل الصلاة والسلام ،
 فكيف يحتاج هذا المسكين بعمل اهل القرن السابع (عصر صاحب
 المدخل) مع مخالطتهم لغير جنس المساكين من القبط والاعاجم وغيرها
 نعوذ بالله من الضلال . انتهى كلامه

وفي الحديث الصحيح « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر
 وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه » قلنا « يا رسول الله
 اليهود والنصارى » قال « فمن »

— ١٧ —

﴿ ما يجب على العالم اذا خالط العامة ﴾

ينبغي للعالم ان يكون حديثه مع العامة حال مجالستهم في بيان
 الواجبات والمحرمات ونوافل الطاعات وذكر الثواب والعقاب على
 الاحسان والاساءة ويكون كلامه معهم بعبارة قريبة واضحة يعرفونها
 ويفهمونها ويزيد بياناً للامور التي يعلم انهم ملابسون لها ولا يسكت

حتى يسأل عن شيء من العلم وهو يعلم أنهم محتاجون اليه ومضطرون له فان عامه بذلك سؤال منهم بلسان الحال ، والعامه قد غلب عليهم التساهل بأمر الدين عاما وعملا فلا ينبغي للعلماء ان يساعدوهم على ذلك بالسكوت عن تعليمهم وارشادهم فيعم الهلاك ويعظم البلاء وقاما تختبر عاميا — وأكثر الناس عامة — الا وجدته جاهلا بالواجبات والمحرمات وبأمور الدين التي لا يجوز ولا يسوغ الجهل بشيء منها وان لم يوجد جاهلا بالكل وجد جاهلا ببعض وان علم شيئا من ذلك وجدت عامه به عاما مسموعا من السنة الناس لو اردت ان تقلبه له جهلا فعلت ذلك بأيسر مؤونة لعدم الاصل والصحة فيما يعلمه

وينبغي أيضا للعلماء وخصوصا منهم ولاية الاحكام ان يفظوا عامة المساميين عند الاختصاص اليهم ويخوفوهم بما ورد عن الله وعن رسوله من التشديدات والتهديدات في الدعاوي الكاذبة وشهادة الزور والأيمان الفاجرة والمعاملات الفاسدة مثل الربا وغيره ويذكرون لهم ماورد من تحريم هذه الامور وشدة العقاب فيها وذلك لغلبة الجهل وشدة الحرص وقلة المبالاة بأمر الدين وكم من عامي سمع تحريم الكذب في الدعاوي والشهادات والأيمان فرجع عن شيء قد عزم عليه من ذلك لجهله وقلة عامه ، وعلى الجملة فيتأكد على العلماء أن يجالسوا الناس بالعلم ويحدثوهم به ويبشروه لهم ويكون كلام العالم معهم في بيان الأمر الذي جاءوا اليه من أجله مثل ما اذا جاءوا للعقد نكاح يكون كلامه معهم فيما يتعلق بحقوق النساء من الصداق والنفقة والمعاشرة

بالمعروف وما يجري هذا المجرى ، ومثل ما اذا جاءوا لعقد بيع يكون كلامه معهم في الشهادات وفي صحيح البيوع وفاسدها وشح ذلك ، وهذا خير وأولى في هذه المجالس من الخوض في فضول الكلام وما لا تعلق له بالأمر الذي من أجله جاءوا ولا بالدين رأساً . ولا ينبغي للعالم ان يخوض مع الخائضين ولا يصرف شيئاً من أوقاته في غير اقامة الدين ، وهذا الذي ذكرناه من أنه ينبغي للعالم ويتأكد عليه أن يجعل مجالسته ومخالطته مع عامة المسامين مغمورة ومستخرقة بتعليمهم وتنبيههم وتذكيرهم قد صار في هذا الزمان بالخصوص من أعم المهمات على أهل العلم لاستيلاء الغفلة والجهل والاعراض عن العلم والعمل على عامة الناس فان ساعدتهم أهل العلم على ذلك بالسكوت عن التعليم والتذكير غاب الفساد وعم الضرر ، وذلك مشاهد لا همال العامة أمر الدين وسكوت العلماء عن تعليمهم وتعريفهم ولا حول ولا قوة الا بالله (هذا ما في النصائح الدينية للإمام باعلوي الخداد)

« ١٨ »

﴿ السعي بازالة البدع من المساجد ﴾

قال الامام ابن الحاج رحمه الله تعالى في (المدخل) في ترجمة بيان الامر بتغيز البدع التي احدثت في المساجد : قال رسول الله ﷺ « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ولا شك أن المسجد وما يفعله فيه من رعية الامام والمؤذن والقيم الى غير ذلك ممن له التصرف . الا ترى الى فعله عليه الصلاة والسلام حين رأى نخامة في

القبلة فحكها بيده ورؤي كراهيته لذلك وشدة عليه . فاذا تقرر أن المسجد من رعية الامام فيحتاج الى أن يتفقده فما كان فيه على منهاج السلف الماضين أبقاه وما كان من غير ذلك أزاله برفق وتلطف ان قدر على ذلك كما تقدم من فعله عليه الصلاة والسلام في النخامة اه وقد سبق قبل في بيان من هو المستطيع لازالة البدع في المساجد زيادة فتذكره

— ١٩ —

﴿ حكم المسجد في أرض مخصصة أو من مال منصوب ﴾

قال الامام الغزالي عليه الرحمة والرضوان : المواضع التي بناها النظام كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي أن يحتاط فيها وينظر : أما القنطرة فيجوز العبور عليها للحاجة ، والورع الاحتراز ما أمكن ، وان وجد عنه معدلا تأكد الورع . وانما جوزنا العبور وان وجد معدلا لانه اذا لم يعرف لتلك الاعيان مالكا كان حكمه أن يرصد للخيرات وهذا خير ، فاما اذا عرف ان الآجر والحجر قد نقلا من دار معلومة أو مقبرة أو مسجد معين فهذا لا يحل العبور عليها أصلا الا بضرورة يحل بها مثل ذلك من مال الغير ، ثم يجب عليه الاستحلال من المالك الذي يعرفه . وأما المسجد فان بني في أرض مخصصة أو بنشبت مخصص من مسجد آخر أو ملك معين فلا يجوز دخوله أصلا ولا للجمعة . وان كان من مال لا يعرف مالكة فالورع العدول الى مسجد آخر ان وجد فان لم يجد غيره فلا يترك الجمعة والجماعة به

لأنه يحتمل أن يكون من ملك الذي بناه ولو على بعد ، وإن لم يكن له مالك معين فهو لمصالح المسلمين ، وأما الخلق والتجسيص فلا يمنع من الدخول لأنه غير منتفع به وإنما هو زينة والاولى أنه لا ينظر اليه . انتهى كلام الغزالي

وفي كتاب (كنوز الصحة ويواقيت المنحة) في الكلام على المارستان الكبير قال : وتورّع طائفة من أهل الدين عن الصلاة بالمدرسة المنصورية والقبّة وعابوا المارستان لكثرة عسف الناس في عمله ، وذلك أنه لما وقع اختيار الملك المنصور قلاوون الصالح سنة ٦٨٢ على عمل الدار القطبية مارستاناً وقبة ومدرسة ندب الطواشي حسام الدين بلال المغيبي للكلام في شرائها فساس الامر في ذلك حتى انضمت مؤسسة خاتون يبيعها على أن تعوض عنها بدار تملكها وعيالها وبمال وإفري يحمل اليها ، ووقع البيع على هذا فندب قلاوون الأمير سنجر الشجاعى للعمارة فاخرج النساء عن الدار القطبية من غير مهلة واخذ ثلاثمائة أسير وجمع صنّاع القاهرة ومصر وتقدم اليهم بأن يعملوا بأجمعهم ومنعهم ان يعملوا لاحد في المدينتين شغلاً وشدد في ذلك وكان مهاجراً فلازمه العملة ونقل من قلعة الروضة ما يحتاج اليه من العمدة والصوان والرخام والقواعد والاعتاب والرخام البديع وغير ذلك وصار يركب اليها كل يوم وينقل الانقاض المذكورة على العجل الى المارستان ويعود اليه فيقف مع الصنّاع حتى لا يتوانوا في عملهم وأوقف مماليكه بين القصرين فكان اذا مر احد ولو جليلاً الزموه ان يرفع حجراً ويلقيه

في موضع العمارة فينزل الجاندي والرئيس عن فرسه حتى ينقل ذلك
فترك أكثر الناس المرور من هناك ورأوا بعد الفراغ من العمارة
وترتيب الوقف فتنبأ صورتها :

« ما نقول أئمة الدين في موضع أخرج أهله منه كرها وعمر
بمستحشين يعسفون الصانع وأخرب ما عمره غيره ونقل اليه ما كان
فيه فعمر به هل تجوز الصلاة فيه أم لا ؟ »

فكتب عليها جماعة من الفقهاء « لا تجوز فيه الصلاة »

فما زال المجيد بن الخشاب حتى أوقف الشجاعى على ذلك فشق
عليه وجمع القضاة ومشايخ العلم بالمدرسة المنصورية وأعلمهم بالفتيا فلم
يجبه أحد منهم بشيء سوى الشيخ محمد المرجاني فإنه قال « أنا أفتيت
بمنع الصلاة فيها وأقول الآن انه يكره الدخول من بابها » ونهض
فانفض الناس

واتفق ان الشجاعى ما زال بالشيخ محمد المرجاني يلح عليه ويسأله
أن يعمل ميماد وعظ في المدرسة المنصورية حتى أجاب بعد تمنع شديد
فحضر الشجاعى والقضاة وأخذ المرجاني في ذكر ولاية الامور من
الملوك والأمراء والقضاة وذنم من يأخذ الأراضى غصباً ويستحث
العمال في عمائرهم وينقص من أجورهم وختم بقوله تعالى « ويوم يعرض
الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم
أخذ فلاناً خليلاً » وقام فسأله الشجاعى الدعاء له فقال يا علم الدين ان
أدع لك فقد دعا عليك من هو خير مني وذكر قول النبي ﷺ « اللهم

من ولي من أمرأتي شيئاً فرفق به فافرق به ، ومن شق عليهم فشق عليه » وانصرف فصار الشجاعى من ذلك في قلق عظيم وطلب الشيخ تقى الدين محمد بن دقيق العيد وكان له فيه اعتقاد حسن وفاوضه في حديث الناس في منع الصلاة في المدرسة وذكر له ان السلطان قلاوون إنما أراد محاكاة نور الدين الشهيد والافتداء به في عمل الخير فوقع الناس في القدح في قلاوون ولم يقدحوا في نور الدين . فقال له ان نور الدين أسر بعض ملوك الفرنج وقصد قتله ففدى نفسه بتسليم خمس قلاع وخمسمائة الف حتى أطلقه فمات في طريقه قبل وصوله الى مملكته وعمر نور الدين بذلك المال مارستانه بدمشق من غير مستحث فمن أن يا علم الدين نجد مالاً مثل هذا المال وسلطاناً مثل نور الدين غير أن السلطان له نيته وأرجوله هذا الخير بعمارة هذا الموضع ، وأنت إن كان وقوفك في عمله بنية نفع الناس فلك الأجر وإن كان ليعلم استاذك علو همتك فما حصلت على شيء فقال الشجاعى « الله المطلع على النيات » وقرر ابن دقيق العيد في تدريس القبة . انتهى بحروفه

أقول : صرح الحنابلة في فروعهم بعدم صحة الصلاة في المكان المغصوب . قال في الاقناع وشرحه : ان تصرفات الغاصب الحكيم كالصلاة بثوب مغصوب وفي مكان مغصوب والوضوء من ماء مغصوب ونحوها تحرم ولا تصح لحديث « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » أي مردود . انتهى

﴿ إِيضَارَ الْمَسْجِدِ الَّذِي تَقُلُ فِيهِ الْبِدْعُ ﴾

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْحَاجِّ فِي (الْمُدْخَلِ) : يَنْبَغِي لِلْمُحَافِظِ عَلَى إِظْهَارِ
مَعَالِمِ الشَّرْعِ وَالنَّهْوِضِ إِلَيْهَا أَنْ يَبَادِرَ إِلَى الصَّلَاةِ الْخَمْسِ فِي الْمَسْجِدِ فِي
جَمَاعَةٍ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْمَسْجِدِ شَيْءٌ يَتَخَوَّفُ مِنْهُ أَعْنَى مِنَ الْبِدْعِ فَلْيَنْظُرْ
أَيُّهُمَا أَفْضَلُ لَهُ هَلْ الْمَقَامُ فِي الْمَسْجِدِ أَوْ الرُّجُوعُ إِلَى بَيْتِهِ بِحَسَبِ الْأَعْمَالِ
الَّتِي تَنْوِبُهُ فِي الْمَسْجِدِ أَوْ فِي بَيْتِهِ فَأَيُّهُمَا كَانَ أَفْضَلَ وَأَكْثَرَ نَفْعًا بَادِرْ إِلَى
فَعْلِهِ سِيمَا إِذَا كَانَ النِّفْعُ مُتَعَدِّيًا وَإِنْ كَانَ يَتَخَوَّفُ مِنْ شَيْءٍ فِيهِ فَالرُّجُوعُ
إِلَى بَيْتِهِ أَفْضَلُ . ثُمَّ قَالَ : فَلَا يَتْرُكُ الصَّلَاةَ فِي جَمَاعَةٍ فِي الْمَسْجِدِ لِأَجْلِ
مَا حَدَّثَ مِنَ الْبِدْعِ إِذَا انْصَلَّتِ الصَّلَاةُ الْخَمْسُ مِنْ مَعَالِمِ الدِّينِ وَمِنْ أَعْظَمِ
شُعَائِرِ الْإِسْلَامِ وَهِيَ أَوَّلُ مَا ابْتَدَى بِهِ مِنْ عِبَادَةِ الْإِبْدَانِ وَلَيْسَ مِنْ
شَرْطِ صَلَاتِهِ أَنْ تَكُونَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بَلْ حَيْثُمَا قُلْتَ الْبِدْعَ مِنَ
الْمَسْجِدِ كَانَتِ الصَّلَاةُ فِيهِ أَوْلَى وَأَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَسْجِدًا سَالِمًا
مِمَّا ذَكَرَ - وَقَالَمَا يَقَعُ ذَلِكَ - فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَقْلِ الْمَسَاجِدِ بَدْعًا فَلْيَصِلْ
فِيهِ مَعَ أَنَّهُ قَدْ تَكُونُ بَدْعٌ وَاحِدَةٌ أَشَدَّ مِنْ بَدْعٍ جَمَلَةٌ فَيَحْذَرُ مِنْ هَذَا
وَأَشْبَاهِهِ وَلْيَصِلْ فِيمَا عَدَاهُ وَإِذَا صَلَّى مَعَ ذَلِكَ فَلْيَحْذَرْ جِهْدَهُ وَيَغْيِرَ مَا
اسْتَطَاعَ بِشَرْطِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنْ التَّغْيِيرَ بِالْقَلْبِ أَذْنَى مَرَاتِبِ التَّغْيِيرِ فَإِنْ
كَانَتْ لَيْلَةٌ تَزِيدُ فِيهَا الْبِدْعُ وَتَكْثُرُ فِتْرَتُكَ الصَّلَاةَ فِي جَمَاعَةٍ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ
أَوْلَى وَأَفْضَلُ إِذَا انْصَلَّتِ الصَّلَاةُ فِي جَمَاعَةٍ مَمْدُوبٍ إِلَيْهَا وَلَكِنْ تَكْثِيرُ سِوَادِ
أَهْلِ الْبِدْعِ مِنْهُي عَنْهُ وَتَرْكُ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ وَاجِبٌ وَفَعْلُ الْوَاجِبِ مُتَعَيِّنٌ

فيترك المندوب له وهو الصلاة في جماعة في المسجد في تلك الليلة ولأنه يخاف بسبب ذلك أن يكون مشاركاً للحاضرين في أما كن البدع في الأثم وهذا وجه

الوجه الثاني انه قد يأنس قلبه بتلك البدع فيؤول الى ترك التغيير وقد تقدم انه اذنى رتب التغيير لما ورد « وليس وراء ذلك مثقال حبة من خردل من ايمان »

الوجه الثالث وهو اشد من الثاني وهو انه يخاف عليه ان يستحسن شيئاً مما يراه أو يسمع به وهذا فيه من القبح ما فيه لأنه يستحسن ما كرهه ونهى عنه وهو الاحداث في الدين قال عليه الصلاة والسلام « من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد » يعني مردود عليه . وقال عليه الصلاة والسلام « ان الله لا يقبل عمل امرء حتى يتقنه » قالوا يارسول الله « وما اتقانه » قال « يخلصه من الرياء والبدعة » . مع ان هذا الذي ذكر تل ان يقع اعني ان تعم في تلك البدع جميع مساجد البلد واذا كان ذلك كذلك فالحال والحمد لله حاصل له اعنى الصلاة في الجماعة في المسجد السالم من تلك البدع أو من اكثرها ولو امتنع بعض من يقتدى بهم من حضور المساجد التي فيها البدع لانحست المادة وزالت البدع كلها أو اكثرها أو بعضها فانا لله وانا اليه راجعون على التسامح في هذا الباب حتى جرال امر الى اعتياد البدع وينسبها أكثر العوام الى الشرع بسبب حضور من يقتدى بهم فظن أكثر العوام ان ذلك من المشروع وهذا اعظم خطراً مما تقدم ذكره لانهم يدخلون اذ ذاك

في عموم قوله تعالى « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا »
 فان لم يكن في المسجد السالم من البدع من يصلي فيه فتناً كد
 الصلاة فيه لانه يحصل له وحده احياء بيت من بيوت الله تعالى وهذا
 فيه من الغنيمة والسعادة ما فيه الا ترى الى ما روى ابو داود في سننه عن
 ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « الصلاة في
 جماعة تعدل خمسا وعشرين صلاة » فاذا صلى صلاة في صلاة فاتم ركوعها
 وسجودها بلغت خمسين

(المروع)

لقد جعلت هذا الكتاب ابواباً وفصولاً ليكون سهل التناول
 جامعاً لأشتات ما تفرق . وليكون الانسان على بصيرة من نفسه بما
 اعتراه بل وبما احاطه بمحيطة من البدع . ولنبدأ بما قصدنا فنقول :



الباب الاول

﴿ في بدع الصلاة في المساجد — وفيه فصول ﴾

الفصل الاول

في

بدع صلاة الجمعة

— ١ —

﴿ المحدثات في خطبة الجمعة ﴾

قد نبه على ما احدث فيها الامام شمس الدين بن القيم الدمشقي
 في (زاد المعاد) في بيان هدى النبي ﷺ فيها قال عليه الرحمة : كان
 اذا خطب أحرَّت عيناه ، وعلا صوته ، واشتدَّ غضبه ويقول
 « أما بعد فان خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ،
 وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار » وكان
 يعلم أصحابه في خطبته قواعد الاسلام وشرائعه ، وكان يمهل يوم
 الجمعة حتى يجتمع الناس فاذا اجتمعوا خرج اليهم من غير أحد يصيح
 بين يديه ولا لبس طيلسان ولا سواد فاذا دخل المسجد سلم عليهم
 فاذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ولم يدع مستقبل
 القبلة ثم يجلس يأخذ بلال في الاذان فاذا فرغ منه قام النبي ﷺ

خطب من غير فصل بين الاذان والخطبة لا بإيراد خبر ولا غيره ، ولم يكن يأخذ بيده سيفاً ولا غيره وإنما كان يعتمد على قوس قبل ان يتخذ المنبر وكان في الحرب يعتمد على قوس وفي الجمعة يعتمد على عصاه ولم يحفظ عنه انه اعتمد على سيف ، وما يظنه بعض الجهال انه كان يعتمد على السيف دائماً وأن ذلك اشارة الى ان الدين قام السيف فمن فرط جهله

وقال ابن الحاج : ينبغي ان ينهى المؤذنون عما احدثوه من ان الامام اذا خرج على الناس في المسجد يقوم المؤذنون اذذاك ويصاون على النبي ﷺ يكررون ذلك مراراً حتي يصل الى المنبر وان كانت الصلاة على النبي ﷺ من أجل العبادات . اهـ

وقال الامام النووي في (الروضة) في آخر الباب الأول من كتاب الجمعة : يكره في الخطبة امور ابتدعها الجهلة منها التفاتهم في الخطبة الثانية والدق على درج المنبر في صعوده والدعاء اذا انتهى صعوده قبل ان يجلس وربما توهّموا أنها ساعة الاجابة وهذا جهل فان ساعة الاجابة انما هي بعد جلوسه ومنها المجازفة في اوصاف الامراء في الدعاء لهم . واما أصل الدعاء فقد ذكر صاحب (المهذب) وغيره انه مكروه . والاختيار انه لا بأس به اذا لم يكن فيه مجازفة في وصفه . ومنها مبالغتهم في الاسراع في الخطبة الثانية

وقال ابو شامة في (الباعث) : ومن البدع المشعرة بانها من السنن . بعمومها وشهرتها واستدامة مبتدعيها لفعله ما يفعله عوام الخطباء وشبهه

العوام من امور نذكرها منها تباطؤ الخطيب في الطلوع . ومنها الالتفات
 يمينا وشمالا عند قوله أمركم وانها كم وعند الصلاة على النبي ﷺ ولا
 أصل لذلك بل السنة الاقبال على الناس بوجهه من أول الخطبة الى
 آخرها ، ومنها انهم يتكلفون رفع الصوت في الصلاة على النبي
 ﷺ فوق المعتاد وفي باقي الخطبة يرون ازعاج الاعضاء برفع
 الصوت بها وذلك جهل لانها دعاء له عليه الصلاة والسلام وجميع
 الادعية السنة فيها الاسرار دون الجهر غالبا ، وكان ﷺ يرفع
 صوته عند الموعظة لانها معظم المقصود من الخطبة ، وأما رفع
 أيديهم عند الدعاء فبدعة قديمة روى الامام احمد عن غضيف بن
 الحارث رضى الله عنه قال بعث اليّ عبد الملك بن مروان فقال « يا أبا
 اسماء انا قد جمعنا الناس على أمرين رفع الايدي على المنابر يوم الجمعة
 والقصص بعد الصبح والعصر » فقال « انهما امثل بدعكم عندي ،
 ولست مجيبك الى شيء منها » قال « لم » قال « لان النبي ﷺ قال :
 ما أحدث قوم بدعة الا رفع مثلها من السنة فتمسك بسنة خير من
 احداث بدعة »

(٢)

﴿ صلاة الظهر جماعة عقب صلاة الجمعة ﴾

جاء في (القنية) من كتب الحنفية ما مثاله : لما ابتلي اهل مرو
 باقامة الجمعتين بهما مع اختلاف العلماء في جوازها - ففي قول ابي يوسف
 والشافعي ومن تابعهما باطلتان إن وقعتا معا والا فجمعة المسبوقين

باطلة - امر ائمتهم باداء الاربع بعد الجمعة حتما احتياطاً . انتهى

قال ابن نجيم : يصح اداء الجمعة في مصر واحد بمواضع كثيرة وهو قول ابي حنيفة ومحمد وهو الاصح لان في الاجتماع في موضع واحد في مدينة كبيرة حرجاً بيناً . وهو مدفوع فما في (القنية) مبني على القول الضعيف المخالف للمذهب - يعني عدم جواز تعددها في مصر واحد - ثم قال : مع ما لزم من فعلها - يعني الظهر - من المفسدة العظيمة وهو اعتقاد الجهلة أن الجمعة ليست بفرض لما يشاهدون من صلاة الظهر فيظنون انها الفرض وان الجمعة ليست بفرض فيتكاسلون عن اداء الجمعة فكان الاحتياط في تركها وعلى تقدير فعلها ممن لا يخاف عليه مفسدة منها فالأولى أن تكون في بيته خفية خوفاً من مفسدة فعلها وقال ابن نجيم أيضاً قبل ذلك : اني افتيت مراراً بعدم صلاة الظهر خوفاً على اعتقاد الجهلة بانها الفرض وان الجمعة ليست بفرض . انتهى وجوز الشافعية ايضاً تعدد الجمعة لحاجة ، قالوا : وهل المراد حاجة من تلزمه الجمعة أو من تصح منه أو من يفعلها ؟ كل محتمل . وقد اعتمد ابن عبد الحق الاخير ووافقه بعض المتأخرين قال البيهقي : فعلى هذا القول يكون الاعتماد في مصر كله لحاجة فلا تجب الظهر حينئذ كما نقل عن ابن عبد الحق اهـ . ومثله يقال في دمشق ونحوها والذي اعتمده الامام ابن نجيم والعلامة ابن عبد الحق ووافقه غيره من ان لا وجوب للظهر هو الحق لما فيه من دفع الحرج وهل يطالب مكلف بفريضتين

في وقت واحد مع ما في ادائه جماعة من صورة نقض الجمعة وإيقاع العامة في اعتقاد ان ليوم الجمعة بعد زواله فرضين صلاة الجمعة وصلاة الظهر بل هو الذي لا يرتابون فيه ويزيدون عليه انه لا يحسب الا جماعة بل تنقطع بعض الغلاة المتصوطين مرة فقال لي : كيف السبيل الى سنة الظهر القبليّة قبل فرض يوم الجمعة وهي تفوتني بعجلة اداء الظهر . فتأمل كيف رحم الله العباد ففرض عليهم ركعتين في ذلك اليوم وامرهم اذا قضوها ان ينتشروا في الارض ويبتغوا من فضله تيسيراً عليهم اذ يحتاجون لصرف حصّة في سماع الخطبة ، وانظر كيف شددوا على انفسهم وربما المتنّطع منهم يطالب نفسه باداء اثنتين وعشرين ركعة بعد الزوال اذ يصلي قبل الجمعة اربعاً وبعدها اربعاً كالظهر وكلاهما مع الجمعة عشر ثم يتطوع بأربع قبل الظهر وأربع بعدها وكلاهما مع الظهر اثنتا عشرة أيضاً فالجملة ما ذكرنا

ولا يخفى ان محو اعتقاد غير الصواب من صدور العامة لتحريض الحق باب عظيم من ابواب الدعوة الى سبيل الله ، وهدى نبيه عليه السلام ، وقد اتفق في عهد حسين باشا والي مصر المذاكرة لديه في بدعة الظهر جماعة بعد الجمعة فمنع اهل الازهر منها . نقله الشبرا منسي في رسالته التي ألفها في سبب صلاة الظهر يومئذ فرحمه الله على منعه من هذه البدعة واثابه خيراً ووفق من يتنبه لمنعها بمنه وكرمه

— ٣ —

﴿ خروج الجمعة عن موضوعها بكثرة تمددها ﴾

هذا بحث مهم جدير بالعناية به والتأمل فيه واتباع احسنه

للعلماء في العدد المشترط في صحة الجمعة اقوال بلغت خمسة عشر كما في (فتح الباري) . وقد تراءى لبعضهم تأييد قول اهل الظاهر منها في انها تصح من اثنين قال لان بالضم ام احدهما الى الآخر يحصل الاجتماع وقد اطلق الشارع اسم الجماعة عليهما فتعال : الاثنان فما فوقهما جماعة . ثم قال . وقد انعقدت سائر الصلوات بهما بالاجماع والجمعة صلاة فلا تختص بحكم يخالف غيرها الا بدليل ولا دليل على اعتبار عدد فيها زائد على المعتبر في غيرها . انتهى

وقد راق هذا الكلام طائفة فانتحلوه ، وظنوه الحق الذي لا مرية فيه فاعتقدوه

وأقول : ان للظاهرية في كثير من المسائل جمودا جليلا ، وتهوسا جديلا ، وكثيرا ما يسفسطون ويشاغبون بقولهم لم يرد كذا ولم يأت أنه لا يصح الا كذا وهل من دليل على أنه لا يكون الا كذا . يعنون انه يلزم في التشريع ان يكون كله مما تفوه به الرسول ﷺ بالاسلوب الذي ألفوه ، وهذا لعمر الحق غفلة كبرى عن مقاصد الشريعة في كثير من أبوابها ، وما هو الا كالوقوف مع القشردون اللباب او اللفظ دون المعنى والجسم دون الروح

السنة المسأور بها في العبادات هي قوله ﷺ وفعله وتقريره ،
 انتقلت على ذلك كلمة الاصوليين

هذه الجمعة اصل مشروعيتهما مضاهاة اهل الكتابين بالتجميع
 في الاسبوع بيوم فيه ، لما فيه من الفوائد العظمى :

روى الحافظان عبد بن حميد وعبد الرزاق عن محمد بن سيرين
 قال جمع أهل المدينة قبل ان يقدم النبي ﷺ وقبل ان تنزل الجمعة .
 قالت الانصار : لليهود يوم يجتمعون فيه كل اسبوع ، وللنصارى مثل
 ذلك ، فهل فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونشكره . فجعلوه
 يوم العروبة . واجتمعوا الى اسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين
 وذكروهم ، فسموا يوم الجمعة حين اجتمعوا اليه . قال الحافظ ابن حجر :
 حديث مرسل رجاله ثقات

واخرج مسلم والنسائي عن حذيفة وابي هريرة عن النبي ﷺ
 قال « أصل الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فكان لليهود يوم السبت ،
 وكان للنصارى الاحد ، فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة
 والسبت والاحد ، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة »

واخرج الحافظ ابن عساكر عن عثمان بن عطاء قال « لما افتتح
 عمر بن الخطاب البلدان كتب الى ابي موسى الاشعري وهو على
 البصرة يأمره ان يتخذ للجماعة مسجداً ويتخذ للقبائل مسجداً فاذا

كان يوم الجمعة انضموا الى مسجد الجماعة فشاهدوا الجمعة (١)

(١) قلت : فهم حكماء الاسلام من مثل هذا الاثر ومما يأتي وجوب اجتماع اهل البلد في جامع واحد يوم الجمعة وبنوا على ذلك حكمة التعارف الذي به قوام العمران . وهالك ما قاله الحكيم الشهير ابن مسكويه في كتابه (تهذيب الاخلاق) في المقالة الخامسة في بحث المحبة : والسبب في هذه المحبة الانس وذلك ان الانسان انس بالطبع وليس بوحشي ولا نفور ومنه اشتق اسم الانسان . وليس كما قال الشاعر « سميت انسانا لكونك ناسي » فلنا منه انه مشتق من النسيان فهو غلط منه . وينبغي ان يعلم ان هذا الانس الطبيعي في الانسان هو الذي ينبغي ان نحرص عليه ونكسبه مع ابناء جنسنا حتى لا يفوتنا بجهدنا واستطاعتنا فانه مبدأ المحبات كلها . وانما وضع للناس بالشريعة وبالعادة الجميلة اتخاذ الدعوات والاجتماع في المآدب ليحصل لهم هذا الانس . ولعل الشريعة انما أوجبت على الناس ان يجتمعوا في مساجدهم كل يوم خمس مرات وفضلت صلاة الجماعة على صلاة الآحاد ليحصل لهم هذا الانس الطبيعي الذي هو فيهم بالقوة حتى يخرج الى الفعل ثم تتأكد بالاعتقادات الصحيحة التي تجمعهم . وهذا الاجتماع في كل يوم ليس يتعذر على اهل كل محلة وسكة . والدليل على ان غرض صاحب الشريعة ما ذكرناه انه أوجب على اهل المدينة باسرها ان يجتمعوا في كل اسبوع يوما بعينه في مسجد يسعهم ليجمع ايضا شمل اهل المحال والسكك في كل اسبوع كما اجتمع شمل اهل الدور والمنازل في كل يوم ثم أوجب ايضا ان يجتمع اهل المدينة مع اهل القرى والرساتيق المتقاربين في كل سنة مرتين في مصلى بارزين مصححين ليسعهم المسكان ويتجدد الانس بين كافةهم وتشملهم المحبة النازمة لهم ثم اوجب بعد ذلك ان يجتمعوا في العمر كله مرة واحدة في الموضع المقدس بمكة ولم يعين من العمر على وقت مخصوص ليتسع لهم الزمان وليجتمع اهل المدن

وكتب الى سعد بن ابي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك . وكتب الى عمرو بن العاص وهو على مصر بمثل ذلك . وكتب الى امرأء الاجناد ان لا يبدوا الى القرى وان ينزلوا الدائن وان يتخذوا في كل مدينة مسجدا واحدا . وروى ابن ابي شيبة قال كان عبد الله بن رواحة يأتي الجمعة ماشيا وان شاء راكبا وذلك من مياين . واخرج ايضا ان ابا هريرة كان يأتي الجمعة من (ذى الحليفة) : واخرج ايضا ان سعدا كان على رأس سبعة اميال او ثمانية وكان احيانا يأتيها واحيانا لا يأتيها : واخرج ايضا ان انسأ شهد الجمعة من (الراوية) وهي على فرسخين من (البصرة) وعن ابي هريرة قال تؤتى الجمعة من فرسخين . قال ابن حجر في (التلخيص) قال الاثرم للامام احمد بن حنبل : اجمع جمعتان في مصر : قال « لا اعلم احدا فعله » . انتهى

قلت : ولذلك ذكر الائمة من السلف مسائل من زحمته الناس يوم الجمعة وصور زحامه فقد جاء في (المدونة لمالك رضي الله عنه) قوله : من ادرك الركعة يوم الجمعة فزحمته الناس بعد ما ركع مع الامام الاولى فلم يقدر على السجود حتى فرغ الامام من صلاته (قال) يعيد الظهر

المتباعدة كما اجتمع اهل المدينة الواحدة ويصير حالهم في الانس والمحبة وشمول الخير والسعادة كحال المجتمعين في كل سنة وفي كل اسبوع وفي كل يوم فيجتمع بذلك الانس الطبيعي الى الخيرات المشتركة وتتجدد بينهم محبة الشريعة وليكبروا الله على ما هداهم ويغضبوا بالدين القويم الذي الفهم على تقوى الله وطاعته . انتهى بحروفه

أربعاً . وقال مالك أيضا : ان زجه الناس فلم يستطع السجود الا على ظهر اخيه اعاد الصلاة ولو بعد الوقت . في مسائل اخرى . وكل ذلك مصداق ما قاله الامام احمد من انه لم يعهد التعداد اصلا . وقال ابن المنذر : لم يختلف الناس ان الجمعة لم تكن تصلى في عهد النبي ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين الا في مسجد النبي ﷺ وفي تعطيل الناس مساجد يوم الجمعة واجتماعهم في مسجد واحد أبين البيان بأن الجمعة خلاف سائر الصلوات وانها لا تصلى الا في مكان واحد

وذكر الخطيب في (تاريخ بغداد) ان اول جمعة احدثت في الاسلام في بلد مع قيام الجمعة القديمة في ايام المعتضد في دار الخلافة من غير بناء مسجد لاقامة الجمعة ، وسبب ذلك خشية الخلفاء على انفسهم في المسجد العام وذلك سنة (٢٨٠) . ثم بني في ايام المكتفي مسجد فجمعوا فيه

وقال ابن المنذر لا اعلم احدا قال بتعداد الجمعة غير عطاء ، وقال الراقي لم تقم الجمعة في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين الا في موضع الاقامة ولم يقيموا الجمعة الا في موضع واحد ولم يجمعوا الا في المسجد الاعظم مع انهم اقاموا العيد في الصحراء والبلد للضعفة وقبائل العرب كانوا مقيمين حول المدينة ما كانوا يصلون الجمعة ثمة ولا امرهم النبي ﷺ بها ، قال الحافظ ابن حجر : كل هذه الاشياء المنفية مأخذها الاستقراء فلم يكن بالمدينة مكان يجتمع فيه الا مسجد المدينة وروى الترمذي من طريق رجل من أهل قباء عن أبيه وكان

من الصحابة قال أمرنا النبي ﷺ ان نشهد الجمعة من قباء
فانت ترى من هذه الاحاديث والآثار وإطباق العصر الأول
بداية كون موضوع الجمعة الجماعة المتوافرة إذ شرعت لذلك وبه
يضاهي ما يصنعه اهل الكتاب في يومهم الذي هو سبب تشريعها
فعجباً لأهل الظاهر وغفلتهم عما نقلنا، وعن سر الاحتفال بها،
والاعجب منه تركهم التفتن لمعنى لفظة جمعة الذي لم يسمها الصحابة
بذلك ونزل القرآن مصداقاً له الا لما دلّ عليه مفهومها من كثرة الجمع
واليك البيان :

جاء في القاموس وشرحه : الجمعة بضم فسكون وبضميتين
وكهمزة اليوم المعروف سميت بذلك لانها تجمع الناس اي لاجتماعهم
في يومها بالمسجد . والذين قالوا جُمِعَ بضم ففتح ذهبوا بها الى صفة
اليوم انه يجمع الناس كثيراً كما يقال رجل همزة لمزة ضحكة . انتهى
واقول اتفق اللغويون على أن صيغتي فُعْلة بضم فسكون ودُعْله
بضم ففتح للمبالغة ، الاولى لمبالغة المفعول والثانية للفاعل ، فعنى الجمعة
التكثير في المجموع أو في المجموعين ، فهل لاحد أن يصرف هذه اللفظة
عن مسماها اللغوي المؤيد بفعله عليه السلام والخلفاء بعده برأيه من
غير نص ولا اجماع ؟ واذا جاز مثل ذلك بطلت الحقائق ولم يصح تفاهم
ابداً اذ علمنا أن لفظة الجمعة لم تقع قط في اللغة التي بها نتفاهم الا على
الجمع الكثير ومن خالف بعد هذا فقد كابر
بقي أن يقال ان صيغة جمعة للمبالغة كما برهن عليه فما اقل ما تحقق

فيه مصداقها من الكثرة في عهده صلوات الله عليه فالجواب أن ما تحقق فيه أربعون كتابا كان في أول جمعة وقعت بالمدينة فانهم كانوا أربعين وكان المجمع بهم مصعب بن عمير قبل مقدم النبي ﷺ . فهذا العدد هو أقل ما وقع اتفاقا وبه علم أن صيغة المبالغة في « جمعة » المفيدة للكثرة تصدق على هذا المقدار قطعا وإن الذي يراه غير مجزئ لا حاجة معه لا من لغة ولا من نقل ومنه يلزم ملاحظ الامام الشافعي في اشتراطه أربعين كانه لحظ أن الجملة لا بد فيها من وفرة الجمع وكثرته لما تنبيهه مادتها ثم رأى أن الصحابة اجتزؤا بهذا العدد واقرؤا عليه وفي اجتزائهم بذلك واعتباره تجميعا فائدة كبرى لأنه لو لا هذا البيان لكان في اللفظ اجمال يضطرب فيه الفكر سيما وقد يرى أن المقدار المذكور ينحط عن درجة الكفاية في التجميع لما تفهمه المبالغة . ولذا ذهب ذاهب الى اشتراط ثمانين فباكتفاء الصحابة واقرارهم على أربعين علم أن هذا العدد مما يصدق عليه اللفظ لغة وشرعا . نعم قد يبقى النظر فيما انحط عن هذا المقدار هل يكفي لاحتمال صدق الصيغة عليه أولا لأنه لم يؤثر اقامتها بأقل منه ولا اذن في عهده صلوات الله عليه وعهد خلفائه الراشدين لأهل القرى الصغيرة ان يجمعوا . الامر فيه احتمال . يصعب البت باحد الوجهين الا انهما اذا وضعا في التوازن رجح الثاني لما تقضيه الصيغة والحالة الماثورة وسر المشروع به . والله أعلم .

ونرجع الى المناقشة مع الظاهرية فنقول قالوا ورد أن الاثنين فما فوقهما جماعة وكأنهم ذهبوا أن الجماعة في العرف الشرعي غير الجمعة .

وانما يتم لهم لو قيل جمعة بدل جماعة على أن هذا الحديث في اسناده
 الربيع بن بدر وهو ضعيف كما في المقاصد الحسنة للسخاوي وما ورد
 معناه أن الاثنين اذا ادركتهما فريضة من الخمس (غير الجمعة ضرورة)
 فأما أحدهما الآخر كانت صلاتهما جماعة أي مثابا عليها ثواب الجماعة
 وقصد الشارع ان الاثنين ينبغي لهما التضام في اداء الفريضة معا اذا
 اجتمعا ويكونان جماعة ليرتفع ما يتوهم أن الجماعة لا تكون الا بعدد
 وافر حضاً على التكاتف في العبادة وتوحيد الكلمة

قلنا غير الجمعة لان تلك علم بالضرورة انها لم تقم الا بالجمع الوافر
 في مكان واحد فما فوق بقدر الحاجة اليه

وقولهم ان الجمعة كغيرها من الصلوات لا تباينها الا في اشتراط
 الجماعة هو من الغلو في الجود اليس شروطها وسننها وآدابها وما ينبغي
 في يومها مما ترجم له أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد في أسنارهم
 واستغرق الابواب الطويلة كافيا لمباينتها لغيرها . وقد عد ابن القيم في
 (زاد المعاد) لها خصائص نيفت على الثلاثين وقد ذهب الامام أحمد
 الى أن أول وقتها وقت صلاة العيد وروي عن ابن مسعود وجابر
 وسعيد ومعاوية انهم صلوا قبل الزوال ولم ينكروا . خرجه أبو داود
 في سننه عن ابن الزبير أيضاً ، وهذا مما يبرهن أن شأنها غير ما يعهد
 من بقيه المكتوبات مما اصل سره هو التجميع وان الجمع اذا حضر من
 الضحوة فصاعداً جاز أن تؤدي وقتئذ كالعيد

وعجباً لهم أيضاً كيف اشتراطوا لها الجماعة وهلا قالوا هي

كغيرها مطلقاً من الصلوات تنميها للجمود. قيل يمتنعهم من ذلك الاجماع على اشتراط الجماعة . فقلت : هذا مما يقوي الاحتجاج عليهم فان الاصوليين اتفقوا على أن الاجماع لا بد له من مستند كتاب أو سنة هي قوله صلوات الله عليه أو فعله ولا مستند للاجماع هنا الا فعله عليه الصلاة والسلام واذا كان هذا المستند بطل جوازها باثنين اذ لم يفعلها عليه السلام الا باهل المدينة قاطبة ولم يرخص لاهل العوالي ولا لغيرهم ممن حول المدينة أن يجمعوا لأنفسهم فما ذاك إلا لاشتراط وفرة الجمع وهو بديهي لولا الجمود

ثم يقابل هذا القول مذهب من منع تعددها مطلقاً دعت الحاجة اليه أولاً استدلالاً بأنها لم تتعدد في عهده عليه الصلاة والسلام وعهد خلفائه فشق على الناس وضيق عليهم ما وسعته الحنيفية السمحة نعم لا ننكر أنها لم تتعدد في ذلك العهد ولكن لداعي ان المسجد الاعظم في مدينته ﷺ كان يسمع المجمعين وعلى نسبتهم ولذلك وسع عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما المسجد النبوي لما رأياه ضاق بالمجمعين في عهديهما ليسعهم . فسبب عدم التعدد عدم الحاجة اليه لكفاية المسجد

أما وقد ملأ المسامون البلاد التي تناسلوا فيها وفات عديدهم الحصر في كل مصر فأنى يسعهم مسجد واحد ، هذا ما لا يختلف فيه اثنان . فلا يقاس عدد الناس الآن بعددكم في العصر الغابرة بل لا نسبة بينهم الآن وبينهم قبل عشرين عاماً ، فحينئذ سماحة الدين

تقضي بتمدد الجمعة على نسبة الحاجة نسبة تطابق القصد وتوافق
الحكمة اعني بقاء هيكل التجميع متماسكا متساندا يمثل القوة
ووحدة الحكمة من سائر مناحيه

وكذلك أهل الكتاب لهم في الامصار الواسعة عدة معابد
بنسبة الحاجة اليها يؤمونها في ايامهم المعروفة فقول الانصار رضي الله
عنهم فيما تقدم « ان لأهل الكتاب يوماً يجتمعون فيه .. الخ » يتنزل
على ما هو المعروف والمألوف

أما في هذه الازمنة فقد أفرط في تعدد الجمعة افراطاً كادت
تخرج به الجمعة عن موضوعها ففي مثل دمشق او شك ان لا يبقى
مسجد ولو في حارة الا ويقام فيه جمعة وكثير من المساجد الصغيرة
في أيامنا جدد لها منابر بتمويه الحاجة اليها مما يقسم الامة تقسيماً يرثي
له ، ولا حاجة في كثير منها. وقد يؤذن المؤذن في بعضها أذان المنارة
ولم يكمل صف من المصلين ، واعرف مسجداً صغيراً جداً أحدث له
جمعة وبني له منبر كالكرسي لا يتسع ما أمامه الا لصف واحد ووراء
هذا الصف ممر لبركة ماء ويبت خلاء متلاصقين عن يسار المنبر رغب
في احداث التجميع فيه بعض المثرين لما رب ظاهره ذلك وباطنه
انقاذ ابنه من الخدمة العسكرية باخراج براءة له فيه

مثل هذه المساجد الصغيرة كانت معدة لغير الجمعة لعاجز او
مريض او تاجر او صانع ممن لا يقدر ان يتجاوز محله فاصبح كثير
من المتصالحين الذين غاب عنهم محذورات تقطيع الجمعة والجماعات

يتبرعون بتشديد منابر لها على ضيقها وربما نقبوا مأذنة من الحائط على الجادة ورتبوا مؤذناً الحاقاً لهذا الصغير بالجوامع الكبيرة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولا يتذكرون ما نجم عن ذلك من اشتماله على عدة بدع (١) أحداث مالم يحدثه الواقف (٢) مضادة الواقف إذ أوقفه لمعنى حميد فصرف لوجه آخر (٣) اخذ فراغ مصل أو أكثر بـ اسطة المنبر المحدث . (٤) اعداد مالم يوضع للجمعة لصغره لها (٥) تفريق المؤمنين بصرفهم عن الجوامع الكبيرة والسعي إليها ليتعارفوا من الاطراف (٦) اداء عبادة مختلف في صحتها (٧) سن سنة مبتدعة ليحتذى على مثالها ويتسع الخرق كما وقع ، الى مفاسد أخرى . قال السبكي في فتاويه : ان هذه المفاسد كان المقتضي لها حدوث جوامع قال : وهذا انما حصل في الشام ومصر من مدة قريبة ولم يكن في القاهرة الا خطبة واحدة حتى حصلت الثانية في زمن الملك الظاهر مع امتناع قاضي القضاة تاج الدين من إحداثها وأكثر ما في الشام من التعدد حادث

ثم قال السبكي : ان دمشق - ساءها الله - من فتوح عمر الى اليوم « وهو شهر رمضان سنة ٧٥٦ » لم يكن في داخل سورها الا جمعة واحدة انتهى . وقد اقيمت في عهده رحمه الله خارج السور في ثلاث جوامع جامع خيلخان خارج الباب الشرقي وكان يخطب فيه شمس الدين ابن القيم والآن درس هذا الجامع ولم يبق منه إلا بابه ونافذتان مسدودتان وفي جامع يلبغا وجامع تنكز (المعروف الآن بالمسكتب

الاعدادي العسكري) وقد اعتبر محلاتها كقرى لان كل واحد منفصل عن الآخر

وقد اعتمد السبكي في عدة تأليف له بأنه اذا كان في مصر او قرية جامع يسمع اهلها ثم اريد احداث جمعة ثانية في بعض المساجد ان ذلك لا يجوز . . في فتوى له مطولة

وروى عبد الرزاق عن ابن جريج قال قلت لعطاء رأيت اهل البصرة لا يسمعون المسجد الا كبر كيف يصنعون ؟ قال اكل قوم مسجد يجمعون فيه ثم يجزيء ذلك عنهم . قال ابن جريج وانكر الناس ان يجمعوا الا في المسجد الا كبر وكذلك قال ابن عمر : لا جمعة الا في المسجد الا كبر . وتابع السبكي في ذلك الزركشي والعراقي وابن حجر العسقلاني وعليه قال العبادي : اذا استحال اتساع محل لهم هل تسقط عن لم يجد له محلا ولم يمكنه ربط بمحل آخر . اهـ

اقول : الامر على ما قاله هؤلاء اذا كان الا كبر يسمعون ، والا فالشأن كما قال عطاء دفعا للحرج

قال السبكي عليه الرحمة : لا يحمل كلام من جوز التعدد بحسب الحاجة على اجازة تعددها مطلقا في كل المساجد فتصير كالصلوات الخمس حتى لا يبقى للجمعة خصوصية فان هذا معلوم بطلانه بالضرورة لاستمرار عمل الناس عليه من زمن النبي ﷺ الى اليوم اهـ . يعني ايامه عليه الرحمة

وقال ابنه التاج في معيد النعم : ولقد رأينا منهم - يعني من

المسيطرين - من يعمر الجوامع ظاناً ان ذلك من أعظم القرب فينبغي ان يفهم مثل هذا المسيطر ان اقامة جمعيتين في بلد لا يجوز الا لضرورة عند الشافعي وأكثر العلماء ، فان قل قد جوزها قوم قلنا له اذا فعلت ما هو واجب عليك عند الكل فذاك الوقت افعل الجائز عند البعض واما انك ترتكب ما نهى الله عنه وتترك ما امر به ثم تريد ان تعمّر الجوامع باموال غيرك ليقال هذا جامع فلان فالله لا يتقبله وان الله تعالى لا يقبل الا طيباً . انتهى

وبالجملة فيوجد في دمشق الآن من المساجد التي لم تبني للجمعة وتقام الآن فيها ما لا يخص ، وكل هذه المساجد الصغار يستغنى عنها بكبار ما جاورها اذا سمي اليها ، ولكن هو الكسل والذهول عن اصل السنة ، وقد رأيت خطر التعدد بلا حاجة ، فالذي اراه في الخروج من عهدة هذه الحالة ان يترك التجميع في كل مسجد صغير - سواء كان بين البيوت او في الشوارع - وفي كل مسجد كبير أيضاً يستغنى عنه بغيره وان ينضم كل اهل محلة كبرى الى جامعها الاكبر ، وتفرض كل محلة كبرى كقرية على حدة فيستغنى بذلك على كثير من زوائد المساجد ويظهر الشعار في تلك الجوامع الجامعة في ابداع حال فيخرج من عهدة التعدد ، وهذا هو حقيقة ما رآه قدماء الشافعية وسر مايري اليه من وافقهم والله الموفق (١)

(١) قال المؤلف ثم بعد كتابتي لما تقدم باكثر من عام كنت اطالع في الافناع - من كتب الحنابلة - في فروع الجمعة فرأيت فيه موافقة لما ذهبت.

« خليفة » ذكر بعض المؤرخين في حوادث سنة « ١٣١ » أن أول من اتخذ منابر في الجوامع عبد الملك^(١) بن مروان أمير مصر من قبل الخليفة مروان بن محمد وكان آخر وال على مصر من قبل الأمويين قتلوا ولم يكن قبل ذلك منبر وكانت ولاية مصر تخطب على العصي إلى جانب القبلة وفي حوادث عام « ١٦١ » أن الخليفة محمد المهدي الذي زاد في المسجد الحرام والمسجد النبوي قصر للنابر وصيرها على مقدار منبر رسول الله ﷺ ولعمر الحق لقد اصاب اذ كم من منبر كبير هائل اخذ فراغا عظيما من الجوامع فان الله

اليه وعبارته : (ويجوز اقامتها في اكثر من موضع من البلد الحاجة) كضيق مسجد البلد عن أهله (وخوف فتنة) بأن يكون بين اهل البلد عداوة فيخشى اثاره الفتنة باجتماعهم في مسجد واحد : (وبعد) للاجتماع عن طائفة من البلد . (ونحوه) كسنة البلد وتباعد افطاره (فتصح) الجمعة (السابقة واللاحقة) لأنها تفعل في الامصار العظيمة في مواضع من غير نكير فكان اجماعا قال الطحاوي وهو الصحيح من مذهبنا . واما كونه صلى الله عليه وسلم لم يقيمها هو ولا احد من الصحابة في اكثر من موضع فلعدم الحاجة اليه ولأن الصحابة كانوا يؤثرون سماع خطبته وشهود جمعته وان بعدت منازلهم لانه المبلغ عن الله تعالى (وكذا العيد) تجوز اقامتها في اكثر من موضع من البلد للحاجة لما سبق (فان حصل الفتي بجمعتين اثنتين لم تجز) الجمعة (الثالثة) لعدم الحاجة اليها (وكذا ما زاد . ويحرم) اقامة الجمعة والعيد باكثر من موضع من البلد (لغير حاجة) قال في (المبدع) لا نعلم فيه خلافا الا عن عطاء . اه

(١) كذا الاصل . والمعروف ان آخر ولاية مروان بن محمد على مصر (المغيرة بن

﴿ خصائص الجمعة في العهد النبوي وفي عهد الخلفاء الراشدين ﴾

- (١) اقامتها واحدة غير متعددة في كل بلد (٢) ترك مساجد الاحياء في وقتها الى الجامع الاكبر (٣) قصدتها من الاماكن النائية وتجشم المسافة اليها (٤) ندب التبكير اليها لئلا يزحم ويفوته الذكر (٥) اداؤها بالجمع الكثير (٦) تقدم خطبة عليها (٧) مشروعية الغسل والتطيب لحالة الجمع (٨) مشروعية السكينة وعدم تخطي الجمع (٩) عدم تعددها حتى في آخر عهد الخلفاء (١٠) توسيع عثمان رضي الله عنه المسجد النبوي وتكلفه شراء ما حوله لادائها واحدة (١١) عدم اقامتها في الحواضر والنواحي في ذلك العهد (١٢) اقامتها في المصر التي فيها حاكم او نائبه (١٣) اجماع الصحابة كلهم على كل ما تقدم بلا نكير (١٤) استحسان التجميع في يوم العروبة لجمع الكلمة كما يفعل اهل الكتاب في يومهم (١٥) تسميتها جمعة وفعله في اللغة للمبالغة والتكثير (١٦) ذهاب معنى الجمعة في تفرق شمل المجمعين بادائها اذاداً او مشى او ثلاث (١٧) مخالفة ما مضى في العهد النبوي وعهد الراشدين في التعدد لغير حاجة (١٨) فقد دليل لمن يقول بتعددتها من قوله عليه الصلاة والسلام او فعله (١٩) اشتراط الخطبة واشتراط اداؤها جماعة ثبت من فعله عليه السلام مع انه لا قائل بادائها بدون خطبة وفرادى (٢٠) كون الفعل النبوي دليلاً اصولياً لانه من السنة ، والسنة قول وفعل وتقرير كما ثبت في الاصول ، فليتأمل هذه الخصائص

﴿ انتظار الاربعين في القرى ليتم عدد المجمعين ﴾

أكثر أهل القرى في دمشق شافعية والباقي حنابلة . ولذلك تقام الجمعة في القرى . ومعلوم ما اشترطه فقهاء المذهبين من العدد لصحتها وهو أربعون — وقد سبق مستنده — وهذا العدد وإن كان في حصوله تماسك وقوة لظهور الشعار وفي وجوده ما يعظم هيكل هذه العبادة إلا أن ذلك قد لا يتم في بعض القرى أو في بعض فصول السنة كأيام الحصاد وأوقات لقط الثمر وتجهيفه ونحو ذلك فلا يجتمع أربعون ولا نصفها . فترى هناك من يحضر لأقامتها من عاجز أو فارغ أو فقير لا يعمل جالساً منتظراً لما يقضي به خطيب القرية أو مؤذنها ثم تارة يرقى المؤذن بعد الاذان الأول على المنارة أو السطح وينادي أهل القرية للحضور وتكمل العدد وأحياناً يذهب صارخ بين البيوت لذلك فإذا يئس من بلوغهم العدد المطلوب لهم يصلون الظهر ثم ينصرفون

والذي أراه في هذه الحالة أعني في القرية الصغيرة أو الكبيرة التي يتفق أن لا يجتمع بها أربعون يوم الجمعة لعوائق لهم وكانت جرت عادتهم بأقامة الجمعة فيها أن على خطيبهم أن يؤدي الجمعة بمن حضر منهم بعد الاذان قلوا أو كثروا ، ولا يترك الجمعة لأجل أن عددهم لم يبلغ الأربعين ، لأن الحاضر لا يكلف بالغائب ، ويكفي لتذكيره وإعلامه بالعبادة الاذان المشروع ، فمن حضر فيها ومن لم يحضر فائمه في عنقه . وحينئذ فبعد الاذان يتمهل الخطيب تمهلاً لطيفاً ثم يقوم فيخطب بمن

حضره ولا يترك عادة اهل بلده من اقامة الجمعة اصلاً ، واتضح جمعيتهم
 بهن حضر ولا يلزمهم اعادتها ظهراً لان الشعار في تلك القرية حصل
 بهم والفرض ادي بتجميعهم . وقد ذهب كثير من الائمة الى عدم اشتراط
 تعيين العدد في اداء الجمعة . وعليه فتجزى بمن حضر من اهلها او من
 غيرهم قل عددهم او كثير : لاسهم الذين يريدون ان يقيموا شعارها ،
 فسقط الطلب عنهم بانتدابهم لادائها . ثم على من حضر في قرية يوم الجمعة
 ان يحتفل كاهلها باقامة الجمعة . ولا ريب ان من التهاون بالدين والعبادة
 رفض حضورها ، وقد يتوكل بعضهم بانه حنفي المذهب وقد شرط في
 مذهبه المصروالحاكم وهذا من توكل المتهاونين بالطاعة الكسالى عن
 ادائها . وهل للعامي مذهب ، وما ذا يعرف العامي من مذاهب الائمة .
 ولذلك قال الاصوليون العامي لا مذهب له نعم لو صدر ذلك من مجتهد
 حضر يوم الجمعة القرية واداه اجتهاده الى ذلك والله يعلم من قلبه انه لم
 يقصد التهاون بالعبادة ولا المشي مع الهوى لكان معذورا بل مأجوراً
 والله اعلم

— ٦ —

﴿ اداء الجمعة في حجرة ورفض الصفوف ﴾

يوجد في بعض الجوامع حجر في برانيه نائية عن حرمه وكذا
 في المدارس التي احدثت فيها اقامة الجمعة بعد عصر الواقف حجر في
 صحنها فيختبئ بها بعض من اهل العلم ويقتدي فيها بالامام لان صوت
 المبلغ وصيحته تبلغه ، وفي هذا من مخالفة الهدي النبوي وسيرة

الصحابة والأئمة مالا يخفى . وهب ان القدوة صحيحة واسكن أكان
هكذا عمل العاملين ، وهل بهذا امرت السنة النبوية ، فإن لحوق
الصف الأول ، وأين التراص في الصفوف ، وابن القرب من الخطيب
وابن تكثير سواد المسامين المطلوب ، وابن حضور دعوتهم ، وابن
سيرة السلف ، وابن وابن . . فانا لله وانا اليه راجعون . ويرحم الله بعض
الصوفية فلقد كان يقول لى : كثير من الفقهاء لم يتفقه الا للاحتيال
والتشبهت باهداب الرخص واللاباسيات لا لحاكة الهدى النبوي
واصلاح القلب وهذا مصداق ما نعاه الغزالي عليهم في (الاحياء) .
وادهى من ذلك وأمر ما يفعله بعض المجاورين في مثل (الازهر) من
نوم قبل الزوال واستغراقه بعده الى العصر سعيًا في استقاط الجمعة
وحضورها بهذا المكر السيء فوارزية السنة والدين بهؤلاء المتعلمين
وحسبنا الله ونعم الوكيل

— ٧ —

﴿ ادب الخطب والخطباء ﴾

قال بعض الفضلاء : ابلغ الخطب ما وافق الزمان والمكان
والحال ، ففي زمن صيام رمضان مثلاً يبين الخطيب للناس حكمه
واحكامه والمقصود منه وينهاهم عن البدع التي تحدث فيه مبيناً ضررها .
وفي عيد الفطر يبين أحكام صدقة الفطر ولا يحسن به ان يستبد لها
ببيان احكام الاضحية او غير ذلك ويتركها بتاتاً . وفي مكان تفرق اهله
يخطب فيهم بالاتحاد ، او تكاسلوا عن طلب العلم حثهم عليه ، او اهلوا

تربية ابنائهم حثهم ايضاً عليها .. الى غير ذلك مما يوافق احوالهم ويلائم
مشاربهم ويناسب طباعهم ، يخطب في كل مكان بحسبه ، مراعيًا
احوال العالم ، بصيراً بمقترفاتهم الحاصلة في خلال الاسبوع ، فينهاهم
عنها ، وينبهم عليها ، متى رقي منبر الخطابة ، عسى ان يهتدوا طريقاً
قويماً . ثم قال :

(كيف كانت الخطب في الصدر الأول ؟) كانت الخطب في
الصدر الاول لها المكانة العالية والمقام الاسنى . كانت موضوع
المفاخرة بين العرب كما يفتخرون في الشعر . كانوا ينتقون من جواهر
الالفاظ اعذبها واظرفها واحلاها ومن المعاني ارقها وادقها واغلاها
ومع ذلك فكانوا يضمنونها آيات من كتاب الله تعالى لتزداد حلاوة
وطلاوة حتى انه ليعاب على خطبة ليس فيها آية من القرآن الكريم ^(١) .
بلغت زمن الخلفاء الراشدين عنفوان شبابه فان القرآن بما اشتمل عليه
من ابداع الاساليب اعانهم على الخوض في عباب التفنن في دائرة
الارشادات الجاذبة بمغناطيسها الافئدة . كانوا لا يتقيدون بوقت بل
كلما دعت الحاجة اجتمعوا فألقيت عليهم استشارة او وعظ او تذكير
او اعلان امر . . الخ

كان الخطيب اذا قام لأمر ما سحر الالباب وهلك برصعات
المواعظ مالا يملك برهفات السيوف والرماح . يؤلف بين من تفرق
ويسكن الفتن ويزيل المخاصمات ويقطع المنازعات ، يقيمهم إن شاء

(١) انظر البيان والتبيين للجاحظ (١ : ٦٥ سنة ١٣٣٢) — المطبعة

ويقعدهم ان أراد بقوة اقتداره وشدة تأثيره . ثم قال :

(حتى حدث الانحطاط في الخطاب ؟) ان الخطابة قبل كانت بيد الخلفاء الراشدين والرؤساء العظام وكانت موضع احترام . كان يخطب الخطيب قائماً (الا خطبة النكاح) آخذا بيده عصا أو مخرصة أو قنطرة أو غير ذلك . فلما جاءت الدولة مروانية واستولى الترف وعم وتولى كرسي المملكة الوليد بن عبد الملك بن مروان بدأ يخطب - واسفاه - جالسا ترفعا منه واستهانة بهذا الموقف الجليل . ومن هذا اخذت الخطابة في الاضمحلال والتلاشي فكان آخر خطيب اجاد من ائمة الاسلام المأمون بن هارون الرشيد من خلفاء الدولة العباسية وترك الملوك الخطابة ووكالوا امرها كغيرها من الامور لغيرهم فصارت منحطة القدر بعد الرفعة وموضع الاستهانة بعد التجلة تولاها اناس ما قدروها حق قدرها ومادروا المقصود منها بجهالاتهم المطبقة حتى انك لو خاطبت احدهم عن الخطبة المتبعة وتغييرها بما يستدعيه الزمان ما أجابك الا بقوله لا يمكن للنفوس الآن ان تترشح عن غيها وان الخطيب الآن هي من قبيل الرسوم فلاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . فأنت ترى اليوم بيناء كل منبر ينفث سموم الامانة والتدمير والاعتماد عن العمل متمسكا بمثل قوله رحمه الله « لمن تقني الدنيا وأنت تموت ، ولمن تبتني العلياء والمقابر بيوت . . الخ » مما امارت الامة غافلا عن قول سيد الزاهدين « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » ثم قال :

(شرط الخطيب) يشترط في الخطيب ان يكون (عالما بالعقائد
الصحيحة) حتى لا يزيغ ويؤذي الناس بسوء عقيدته في درك ظلمات
الضلال فتسوء العقبي (وعلم الفروع) كي يصحح العبادات بما علمه من
علم الفقه ولانه عرضة يسأله المأمومون في الاحكام فيجيبهم عن حقيقة
ويهديهم بنور الشريعة الى صراط مستقيم لا يهرف ويخبط خبط
عشواء في امور الدين بجهالاته كغالب الخطباء والأئمة اليوم فرحماك
اللهم رحماك (واللغة العربية) وبالاخص علم الانشاء كي يقتدر على
تأليف كلام بليغ وتنسيق درر مضيئة يشرق نور اسرارها على افئدة
السامعين فيسحروهم بديع لفظه ويختلب الباهم بجواهر آيات وعظه
(وان يكون نبيا) كي لا تعزب عليه شاردة الا احصاها ولا واردة
الا استقصاها ولينظر بمنظار التأمل والانقاد ويفوص في بحار
الشريعة فيستخرج لآلئ الاحكام ودررها من غير ما يعثرها تشويه
ولا يشوبها كلل (وان يكون لساناً) فصيحاً منطلق اللسان معبرا عما
يخطر بباله من المعاني الكامنة في ضميره يبرز ما انطوت عليه السريرة
من جليل النصائح وجميل الارشادات مما يكفل السعادة للعباد
(ووجيهاً) تهابه القلوب وتجله العيون وتعظمه النفوس يهابه الصغير
ويوقره الكبير حتى يكون لكلامه تأثير ويجد له سمعاً يعني ما يقال
ويعمل بما يسمع (وصالحاً) تقياً مهذباً ورعاً قنوعاً زاهداً غير متجاهر
بعصية ولا متلبساً بمخالفة يفعل ما يقول فان ذلك ادعى الى قبول
الموعظة منه . قال الشاعر الحكيم ابو الاسود الدؤلي رضي الله عنه :

يا ايها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذى السقام وذى العنا كما يصح به وأنت سقيم
ونراك تصالح بالرشاد عقولنا ابداً وأنت من الرشاد عديم
ابداً بنفسك فانها عن غيبها فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
وهناك يقبل ما تقول ويشتفي بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
ولله الامر في عباده يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد والى الله المصير

— ٨ —

﴿ دعاء المؤذن بين الخطبتين أثر جلوس الخطيب ﴾

من المقرر في الفروع أن الخطيب اذا ارتقى المنبر فلا يتبدأ صلاة
ولا يجهر بدعاء ، وذلك تأهباً لسماع الخطبة ، واجلالاً للمقام ، وتخشعاً
لهذه العبادة الاسبوعية ، وهذا معلوم من موضوع الاحتفال لأداء
فريضة الجمعة وقد اتفق الفقهاء على الحظر من الجهر بالذكر أو الاستغفار
أو الدعاء أو النداء في تلك الحالة اتفاقاً لا خلاف فيه استدلالاً بما صح
عن النبي ﷺ أنه قال : اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والامام
يخطب فقد لغوت . فثبت له اللغو بذلك مع أنه ينهى عن منكر
فكيف بمن لا يكون قوله كذلك ، لا جرم انه أشد منه لغوا وإثماً .
اذا تحقق ذلك تبين أن ما يقوله بعض المؤذنين يوم الجمعة بين يدي
الخطيب اذا جلس من الخطبة الاولى : غفر الله لك ولوالديك ولنا

ولو الدين والحاشرين الخ منكر يلزم انكاره لانه ذكر غير مشروع في وقت هو وقت الصمت أو التفكير القلبي للاتعاظ فتفريق جمعية قلوب الحاضرين برفع الصوت بذلك والجراءة على الجهر به في هذا الموضع الرهيب لا يختلف فقيه في نكاته فلذلك يلزم الخطيب ومن قدر على ازالته أن ينهى عنه اسوة كل منكر والله أعلم

— ٩ —

﴿ الاحاديث المروية على المنابر في فضل رجب ﴾

كل من سهر كتب الاحاديث الموضوعة علم انه لم يصح في صوم رجب حديث ولا اثر . قال الامام ابو شامة عليه الرحمة في كتاب الباعث ذكر الشيخ ابو الخطاب في كتاب اداء ما وجب من بيان وضع الوضائعين في رجب عن المؤتمن بن أحمد الساجي الحافظ قال كان الامام عبد الله الانصاري شيخ خراسان لا يصوم رجب وينهى عن ذلك ويقول : ما صح في فضل رجب ولا في صيامه عن رسول الله ﷺ شيء وقد رويت كراهة صومه عن جماعة من الصحابة منهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وكان عمر يضرب بالدرة صوامه وروى ذلك الفاكهي في كتاب مكة له واسنده الامام المتفق على عدالته وعلى اخراج حديثه وروايته أبو عثمان سعيد بن منصور الخراساني قال حدثنا سفيان عن مسعر عن وبرة عن خرشة ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كان يضرب ايدي الرجال في رجب اذا

رفعوها عن طعامه حتى يضعوها فيه ويقول انما هو شهر كان أهل الجاهلية يعظمونه ، قال وهذا سند مجمع على عدالة رواه فالصيام جنة وفعل خير وعمل بر لا لفضل صوم هذا الشهر . قال فان قيل اليس هذا هو استعمال خير قيل له : استعمال الخير ينبغي ان يكون مشروعا من النبي ﷺ فاذا علمنا أنه كذب خرج من المشروعية وانما كانت تعظمه مضر في الجاهلية كما قال أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه وضرب ايدي الذين كانوا يصومونه ، وكان ابن عباس حبر القرآن يكره صيامه ، وقال فقيه القيروان وعالم أهل زمانه بالفروع أبو محمد ابن ابي زيد : وكره ابن عباس صيام رجب كله خيفة ان يرى الجاهل انه مفترض ، وذكر بعض هذه الآثار أبو بكر الطرطوشي في كتاب الحوادث والبدع وزاد قال : وروى ابن وضاح ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يضرب الرجبين الذين يصومون رجب كله ، وروى ان ابن عمر رضي الله عنهما كان اذا رأى الناس وما يعدّون لرجب كرهه وقال : صوموا وافطروا فانما هو شهر كانت تعظمه الجاهلية ، وعن ابي بكر رضي الله عنه انه دخل على اهله وقد اعدّوا لرجب فقال ما هذا فقالوا لرجب نصومه فقال اجعلتم رجب كرمضان ، قال الطرطوشي يكره صيام رجب على أحد ثلاثة أوجه : احدها اذا خصه المسلمون بالصوم في كل عام حسب العوام ومن لا معرفة له بالشريعة مع ظهور صيامه انه فرض كرمضان أو سنة ثابتة خصه رسول الله ﷺ كالسنن الراجعة واما ان الصوم فيه مخصوص

بفضل ثواب على سائر الشهور جار مجرى صوم عاشوراء أو فضل آخر الليل على أوله في الصلاة فيكون من باب الفضائل لا من باب السنن والفرائض ولو كان من باب الفضائل لسنه رسول الله ﷺ أو فعله مرة في العمر كما فعل في يوم عاشوراء وفي الثلث الغابر من الليل ولما لم يفعل بطل كونه مخصوصا بالفضيلة ولا هو فرض ولا سنة باتفاق فلم يبق لتخصيصه بالصيام وجه فكد صيامه والدوام عليه حذرا من أن يلتحق بالفرائض والسنن الراتبة عند العوام فإن أحب امرء أن يصومه فليصمه على وجه يؤمن فيه الذريعة وانتشار الأمر حتى لا يعد فرضا أو سنة

— ١٠ —

﴿ التمسح بالخطيب اذا نزل من المنبر ﴾

يوجد من المصطفين حول المنبر يوم الجمعة اناس يتبادرون الى الخطيب اذا فرغ من خطابته ونزل من المنبر وتقدم الى المحراب فيتمسحون بظهره أو كتفه أو جنبه اعتقادا بأنه كان في مرتقى هبطت عليه فيه الرحمة والنور والبركة مع أنه لا يتمسح بشيء الا بالحجر الاسود في مكة المشرفة والتمسح بما عداه بدعة كما بينه الغزالي رحمه الله تعالى نعم تقبيل يد العالم الصالح لا بأس به كما هو مقرر والمقصود ان هذا التمسح مبتدع ينبغى التنبيه عليه للاقلاع عنه

الفصل الثاني

« في بدع محدثة في الصلاة »

— ١ —

﴿ الجهر بالنية قبل تكبيرة الاحرام ﴾

رأيت أيام رحاتي الى مصر عام (١٣٢١) في بور سعيد ومصر من يجهر بالنية قبل التكبير ويشوش على الناس ولا يخفى ما في ذلك من الكراهة أو الخطر . قال الامام ابن الحاج في المدخل : ايجهر بالنية من البدع واختاف في النطق باللسان هل هو بدعة أو كحل فقال بعضهم هو كحل لانه أتى بالنية في محامها وهو انقلاب ونطق بها اللسان وذلك زيادة كحل هذا ما لم يجهر بها . وقال بعضهم ان النطق باللسان مكروه ويحتمل ذلك وجهين احدهما انه قد يكون صاحب هذا القول يرى ان النطق بها بدعة اذ لم يأت في كتاب ولا سنة ، ويحتمل ان يكون ذلك لما يخشى انه اذا نطق بها بلسانه قد يسهو عنها بقلبه واذا كان ذلك كذلك فتبطل صلاته لانه أتى بالنية في غير محلها الا ترى ان محل القراءة النطق باللسان فلو قرأ بقلبه ولم ينطق بها لسانه لم تجزه صلاته وكذلك لو تلمظ بالنية بلسانه ولم ينوها بقلبه (ثم قال) وما تقدم من ان النية لا يجهر بها فهو عام في الامام والمأموم والفد فالجهر بها بدعة على كل حال اذ انه لم يرو ان النبي ﷺ ولا الخلفاء ولا الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين جهروا بها فلم يبق الا ان يكون الجهر بها بدعة (ثم قال) وقد

ورد النهي عن أقل من هذا بقوله عليه الصلاة والسلام « لا يجهر
بعضكم على بعض بالقرآن » وكان كل واحد منهم يصلي لنفسه وهذه
صلاة واحدة فمن باب أولى ان ينهى عن ذلك . ثم قال : وشيء لم يفعله
النبي ﷺ ولا أحد من الصحابة فلا شك في ان تركه أفضل من فله بل
هو بدعة لما تقدم

وقال الامام ابن القيم في (اغاثة اللهفان) في بحث النية في
الطهارة والصلاة : النية هي القصد والعزم على فعل الشيء ومحملها القلب
لا تعلق لها باللسان اصلا ولذلك لم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الصحابة
في النية لفظ بحال ولا سمعنا عنهم ذكر ذلك وهذه العبارات التي احدثت
عند افتتاح الطهارة والصلاة قد جعلها الشيطان معتركا لاهل
الوسواس يحبسهم عندها ويعذبهم فيها ويوقعهم في طلب تصحيحها ،
فترى أحدهم يكررها ويجهد نفسه في التلفظ وليست من الصلاة في
شيء وانما النية قصد فعل الشيء فكل عازم على فعل فهو ناويه لا
يتصور انفكاك ذلك عن النية فانه حقيقة فلا يمكن عديمها في حال
وجودها ومن قصد ليتوضأ فقد نوى الوضوء ومن قام ليصلي فقد
نوى الصلاة ولا يكاد العاقل يفعل شيئا من العبادات ولا غيرها بغير
نية فالنية امر لازم لأفعال الانسان المقصودة لا يحتاج الى تعب ولا
تحصيل ولو أراد اخلاء افعاله الاختيارية عن نيته لعجز عن ذلك ولو
كلفه الله عز وجل الصلاة والوضوء بغير نية لكلفه مالا يطيق ولا
يدخل تحت وسعه وما كان هكذا فما وجه التعب في تحصيله وان شك

في حصول نيته فهو نوع جنون فإن علم الانسان بحال نفسه امر يقيني فكيف يشك فيه عاقل من نفسه ومن قام ليصلي صلاة الظهر خلف الامام فكيف يشك في ذلك ولو دعاه داع الى شغل في تلك الحال لقال اني مشغول اريد صلاة الظهر ولو قال له قائل في وقت خروجه الى الصلاة أين تمضي لقال اريد صلاة الظهر مع الامام فكيف يشك عاقل في هذا من نفسه وهو يعلمه يقينا بل اعجب من هذا ان غيره يعلم نيته بقرائن الاحوال فانه اذا رأى انسانا جالسا في الصف في وقت الصلاة عند اجتماع الناس علم انه ينتظر الصلاة واذا رآه قد قام عند اقامتها ونهوض الناس اليها علم انه انما قام ليصلي فان تقدم بين يدي المأمومين علم انه يريد امامتهم فان رآه في الصف علم انه يريد الائتمام (قال) فاذا كان غيره يعلم نيته الباطنة بما ظهر من قرائن الاحوال فكيف يجهلها من نفسه مع اطلاعه هو على باطنه فقبوله من الشيطان أنه ما نوى تصديق له في جحد العيان وانكار الحقائق المعلومة يقينا ومخالفة للشرع ورغبة عن السنة وعن طريق الصحابة ثم ان النية الحاصلة لا يمكن تحصيلها او الموجد لا يمكن ايجادها لان من شرط ايجاد الشيء كونه معدوما فان ايجاد الموجود محال واذا كان كذلك فما يحصل له بوقوفه شيء ولو وقف الف عام ومن العجب انه يتوسوس حال قيامه حتى يركع الامام فاذا خشى فوات الركوع كبر سريعا وادركه فن لم يحصل النية في الوقوف الطويل حال فراغ باله كيف يحصلها في الوقت الضيق مع شغل باله بفوات الركعة (ثم قال) : قال شيخنا — يعني التقي

ابن تيمية عليه الرحمة — ومن هؤلاء من يأتي بعشر بدع لم يفعل رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه واحدة منها فيقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم نويت أصلي صلاة الظهر فريضة الوقت اداء الله تعالى اماماً أو مأموماً اربع ركعات مستقبل القبلة ثم يزعم أعضاءه ويحني جبهته ويقوم عروق عنقه ويصرخ بالتكبير كأنه يكبر على العدو ولو مكث أحدكم عمر نوح عليه السلام يفتش هل فعل رسول الله ﷺ أو أحد من أصحابه شيئاً من ذلك لما ظفر به الا أن يجاهر بالكذب البحت فلو كان في هذا خير لسبقونا اليه وللدلونا عليه فان كان هذا هدى فقد ضلوا عنه وان كان الذي كانوا عليه هو الهدى والحق فماذا بعد الحق الا الضلال

(ومن أصناف الوسواس) ما يفسد الصلاة ، مثل تكرير بعض الكلمة ، كقوله في التحيات أت أت التحي التحي وفي السلام أس أس وفي التكبير اكككبر ونحو ذلك فهذا الظاهر بطلان الصلاة به وربما كان اماماً فافسد صلاة المؤمنين وصارت الصلاة التي هي أكبر الطاعات اعظم ابعاداً له عن الله من الكبائر ، وما لم تبطل الصلاة من ذلك فكروه وعدول عن السنة ورغبة عن طريقة رسول الله ﷺ وهديه وما كان عليه أصحابه وربما رفع صوته بذلك فأذى سامعيه واغرى الناس بذهمه والوقيعه فيه فجمع على نفسه طاعة ابليس ومخالفة السنة وارتكاب شر الامور ومحدثاتها وتعذيب نفسه واضاعة الوقت والاشتغال بما ينقص اجره وفوات ما هو انفع له وتعريض

نفسه لطعن الناس فيه وتقرير الجاهل بالافتداء به فانه يقول لولا ان ذلك فضل لما اختاره لنفسه واساءة الظن بما جاءت به السنة وأنه لا يكفي وحده وانفعال النفس وضعفها للشيطان حتى يشتد طمعه فيه وتعريضه نفسه للتشديد عليه عقوبة له واقامته على الجهل ورضاه بالخيل في العقل كما قال أبو حامد الغزالي وغيره : الوسوسة سببها إما جهل بالشرع وإما خيل في العقل وكلاهما من أعظم النقائص والعيوب . فهذه نحو خمس عشرة مفسدة في الوسواس ، ومفاسده أضعاف ذلك بكثير

— ٢ —

﴿ صلاة النافلة اذا اقيمت الصلاة ﴾

قالت المالكية يحرم التنفل حين اقامة الصلاة لوجوب الاشتغال بالمقامة وإعلا يطعن في الامام اهـ . ولذا تقطع النافلة عندهم اذا اقيمت وبه قال أبو حامد من الشافعية ايضاً . والاصل في ذلك قوله ﷺ : اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة رواه مسلم وأصحاب السنن وابن خزيمة وابن حبان وفي رواية لأحمد : فلا صلاة الا التي اقيمت ، وروى الامام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهما عن ابن بريدة أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً وقد اقيمت الصلاة يصلي ركعتين فلما انصرف رسول الله ﷺ قال له : الصبح أربعاً الصبح أربعاً ؛ وروى ابن خزيمة وابن حبان والبخاري والحاكم عن ابن عباس قال كنت اصلي وأخذ المؤذن في الاقامة فجدبني النبي ﷺ وقال : أتصلي الصبح أربعاً . قال العارف ابن عربي قدس سره في الفتوحات في سر ذلك : يبطل التيمم

مع وجود الماء والقدرة على استعماله ولا شك أن كل ما زاد على الفرض فهو نافلة سواء أكد أو لم يؤكد فإن الفرض آكد منه بلا شك والوقت للفرض بالاقامة الحاصلة ثم قال فالدخول مع الإمام في الصلاة أو عند سماع الاقامة اولى من ركعتي الفجر وقد اغلظ في ذلك رسول الله ﷺ وأظهر الكراهية لمن فعل ذلك وقال إن صلاهما وصلاة الصبح تقام : اتصلي الصبح اربعا. يكررها عليه كارها منه ذلك الفصل انتهى. ولم ينكر على من قضاها بعد الفريضة كما رواه ابوداود وغيره قال ابن عبد البر : الحجة عند التنازع السنة فمن ادلى بها فقد افلح ، وترك التنقل عند اقامة الصلاة وتداركها بعد قضاء الفرض اقرب الى اتباع السنة ، حكاه الحافظ ابن حجر في الفتح

— ٣ —

﴿إساءة الصلاة﴾

قال الامام الغزالي : مما يشاهد كثيرا في المساجد إساءة الصلاة بترك الطمأنينة في الركوع والسجود ، وهو منكرو مبطل للصلاة بنص الحديث فيجب النهي عنه . ومن رأي مسيئاً في صلاته فسكت عليه فهو شريك . هكذا ورد الاثر . وفي الخبر ما يدل عليه اذ ورد في الغيبة ان المستمع شريك القائل وكذلك كل ما يقدح في صحة الصلاة تجب الحسبة فيه

— ٤ —

﴿ رفض الجماعة الاولى لا انتظار الثانية ﴾

نقل الطحطاوي عن رسالة لابن نجيم فيما اذا تمددت الجماعات في المسجد وسبقت جماعة الشافعية مع حضور الحنفى ان الافضل الاقتداء بالشافعي بل يكره التأخير لان الحنفى حالة صلاة الشافعي لا يخلو إما ان يشتغل بالرواتب لينتظر الحنفى وذلك منهى عنه لقوله ^{صالح} « اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة » وإما أن يجلس وهو مكروه أيضا لأعراضه عن الجماعة من غير كراهة في جماعتهم على المختار . ونحوه في حاشية المدني عن والده الشيخ اكرم ومير بادشاه والشرواني فانهم رجحوا ان الصلاة مع أول جماعة أفضل . وكان مفتي البلد الحرام ابن ظهيرة الحنفى لا يزال صلى مع الشافعية عند تقدم جماعتهم (كذا في رد المختار)

— ٥ —

﴿ الافتئات على الامام الراتب ﴾

يوجد في كثير من الجوامع الكبيرة اناس يفتاتون على الامام الراتب اي يتقدمون بالصلاة جماعة عليه قبل أن تقام له فيختزلون من الجامع ناحية يؤمونها بها اناسا على شاكلتهم رغبة في العجلة أو حبا في الانفراد للشهرة . وقد اتفقت الحنابلة والمالكية على تحريم أن يؤم في مسجد قبل امامه الراتب . قالت الحنابلة الا باذنه والا فلا تصح صلاته كما في الاقناع وشرحه . وقالت المالكية كره اقامتها قبل الراتب وحرم

معه ووجب الخروج عند اقامتها للراغب كما في اقرب المسالك . وكره ذلك الشافعية وافق ابن حجر بمنعه بتاتا . وصرح الامام الماوردي من الشافعية بتحريم ذلك في مسجد له راتب وكره ذلك الحنفية . ولا يخفى ان ما ينشأ عن هذا الافتئات من المفساد يقضى بتحريمه لانه يؤدي الى التباغض والتشاجر وتفريق كلمة المسلمين والتشيع والتحزب في العبادة ، ولخالفه امر السلطان أو نائبه لانه اذن للراغب فقط ، ولا تباغض الهوى ومضادة حكمة مشروعية الجماعة من الاتحاد للتآلف والتعارف والتعاون على البر والتقوى فان في تقسيمها تناكر النفوس وتبديل الانس وحشة ، الى مفساد اخرى تنتهي الى قريب الاربعين مفسدة . وقد جمعت في حظر ذلك رسالة سميتها « اقامة الحجة على المصلي جماعة قبل الامام الراتب ، من الكتاب والسنة وأقوال سائر أئمة المذاهب » فليحذر من هذه البدعة الشنيعة هدى الله المفتاتين للاقلاع عنها

— ٦ —

﴿ صلاة جماعتين فأكثر في محل واحد يشوش بعضهم على بعض ﴾
سئل العلامة مفتي المالكية الشيخ عليش المصري كما في فتاويه :
ما قولكم في صلاة جماعتين فأكثر في محل واحد له راتب أولا ووقت واحد يقيمون الصلاة معا أو يحرمون بها معا ويتقدم بعضهم بركعة أو أكثر ويسمع بعضهم قراءة بعض أو بعضهم يقرأ وبعضهم يركع وبعضهم يسجد وبعضهم يتشهد وقد تختلط صفوف المقتدين بهم فيجتمع في الصف الواحد امامان فأكثر ويلتبس على بعض المقتدين بهم صوت

مامهم بصوت امام غيره مع اشتغاله بسماع قراءة غيره وتكبيره
وتسميعه عن سماع ذلك من امامه. فهل هذا من البدع الشنيعة والمحدثات
الفضيعة التي يجب على أهل العلم وأولى الامر انكارها وهدم منارها
وهل جريان العادة به من بعض العلماء والعوام يسوغه أم لا ؟
فاجاب رحمه الله : نعم هذا من البدع الشنيعة والمحدثات الفضيعة
أول ظهوره في القرن السادس ولم يكن في القرون التي قبله وهو من
الجمع على تحريمه كما نقله جماعة من الأئمة لمنافاته لغرض الشارع من
مشروعية الجماعة الذي هو جمع قلوب المؤمنين وتأليفهم وعمود بركة
بعضهم على بعض ، وله شرع الجمعة والعيد والوقوف بعرفة ، ولتأديته
للتخليط في الصلاة التي هي اعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين
ولتأليب بها فهو مناف لقوله تعالى « ومن يعظم شعائر الله فانها من
تقوى القلوب » وقوله تعالى « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى »
وقوله ﷺ « صلوا كما رأيتموني أصلي » وقوله ﷺ « اتقوا الله في
الصلاة اتقوا الله في الصلاة اتقوا الله في الصلاة » وقوله ﷺ « اتقوا
الصفوف » وقوله ﷺ « اتقوا الصف المقدم » وقوله عليه الصلاة والسلام
« اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة » وفي الموطأ : سمع قوم
الاقامة فقاموا يصلون فخرج اليهم رسول الله ﷺ فقال « أصلاتان معا
أصلاتان معا » وذلك في الصبح في الركعتين اللتين قبل الصبح واذا شرعت
الصلاة حال الجهاد وتلاحم الصفوف وتضارب السيوف بجماعة واحدة
على الصفة المقررة ولم يشرع حالئذ تعدد الجماعات فكيف يشرع حال

السعة والاختيار (انها لا تعمى الابصار) وقد أمر الله تعالى بهدم مسجد
الضرار الذي اتخذ لتفريق المؤمنين فكيف يأذن في تفريقهم وهم بمحل
واحد للصلاة مجتمعين . وقال ﷺ « الجفاء كل الجفاء والكفر والنفاق
من سمع منادي الله تعالى بالصلاة ويدعو الى الفلاح فلا يجيبه » وقال ﷺ
« حسب المؤمن من الشقاء والخيبة ان يسمع المؤذن يشوب بالصلاة فلا
يجيبه » واذا كان هذا حال سامع الاذان المتلاهي عنه فكيف حال
سامع الاقامة المتصلة بالصلاة المتلاهي عنها وهو في المسجد وكيف
يمكن اجابة اقامتين فاكثر لو شرعنا في محل واحد ووقت واحد (انها
لا تعمى الابصار) . وأخرج الامام النسائي عن عرفة رضي الله عنه
قال : قال رسول الله ﷺ « سيكون بعدي هنات وهنات (١) فمن
رأىتموه فارق الجماعة أو يريد تفريق امة محمد وهم جميع فاقتلوه كائنا
من كان » وروى ابن ماجه عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ
« لا يقبل الله لصاحب بدعة صوما ولا صلاة ولا صدقة ولا حجاً
ولا عمرة ولا جهادا لا صرفا ولا عدلا ، يخرج من الاسلام كما
تخرج الشعرة من العجين » وعن ابن عباس رفعه « ابى الله أن يقبل
عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته » وعن ابن مسعود رضي الله عنه
قال قال رسول الله ﷺ « لعلمكم تدركون اقواما يصلون الصلاة لغير
وقتها فاذا ادركتموهم فصلوا في بيوتكم للوقت الذي تعرفون ثم صلوا
معهم واجعلوها سبحة » ونحوه عن عبادة وابي ذر . فلم يأذن لهم في تعدد

(١) أي شرور وفساد اه نهاية

الجماعة ولا في التخلّف عنها فيجب على العلماء واولى الامر وجماعة
المسلمين انكارها وهدم منارها ، وجريان العادة بها من بعض العلماء
والعوام لا يسوغها . وقد ألف في هذه المسألة الشيخ الامام أبو القاسم
عبد الرحمن الحباب السعدي المالكي ، والشيخ أبو ابراهيم اسحاق
الغساني المالكي ، وبسطا الكلام عليها واجادا فكفيا من بعدهما
مؤنّتهما جزاها الله تعالى احسن الجزاء بمنه . ثم اطلال في التشنيع على
من يتشاغل عن الاقتداء بالراتب بنافلة وحديث انتظارا لغيره بانه لم
يقبل به أحد من الفقهاء لافعلا ولا قولاً . ثم قال : فاما اقامة صلاة
المغرب وصلاة العشاء في شهر رمضان في وقت واحد فلم يستحسنها
احد من العلماء بل استتبعها كل من يسأل عنها ومنهم من يادر
للانكار من غير سؤال . ثم قال : وقال الشيخ ابراهيم الغساني ان
افتراق الجماعة عند الاقامة على ائمة متعددة امام ساجد وإمام راكع
وإمام يقول سمع الله لمن حمده لم يوجد من ذكره من الائمة ولا دان به
احد بعد الرسول ﷺ لا من صحت عقيدته ولا من فسدت لا في
سفر ولا حضر ولا عند تلاطم السيوف وتضايق الصفوف في سبيل
الله ولا يوجد في ذلك أثر لمن تقدم فكيف له به اسوة قال جمال الدين بن
ظهير المكي : وبشاعة ذلك وشناعته ظاهرة لمن الهم رشده ولم تضل
به عصبية ودلائل المنع من ذلك من السنة الشريفة النبوية اكثر من
ان تحصر واشهر من ان تذكر . ثم قال : وعلى الجملة فذلك من البدع
التي يجب انكارها والسعي لله تعالى في خفض منارها وازالة شعارها

واجتماع الناس على امام واحد وهو الامام الراتب، وكل من قام في ازالة ذلك فله الاجر الوافر والخير العظيم المتكاثر. قال العلامة الخطاب وما قاله هؤلاء الائمة ظاهر لا شك فيه اذ لا يشك عاقل في ان هذا الفعل المذكور مناقض لمقصود الشارع من مشروعية صلاة الجماعة وهو اجتماع المسلمين وان تعود بركة بعضهم على بعض وان لا يؤدي ذلك الى تفرق الكلمة ولم يسمح الشارع بتفريق الجماعة بامامين عند الضرورة الشديدة وهو حضور القتال مع عدو الدين بل امر بقسم الجماعة وصلاتهم بامام واحد وقد أمر الله سبحانه وتعالى بهدم مسجد الضرار لما اتخذ لتفريق الجماعة وكان بعض الشيوخ يقول: فعل هؤلاء الائمة في تفريق الجماعة يشبه فعل اهل مسجد الضرار، وقال القاضي ابو الوليد بن رشد: الجماعة اذا كانت بموضع فلا يجوز لها ان تتفرق طائفتين فتصلي كل طائفة منها على حدة لقوله تعالى: «والذين اتخذوا مسجدا ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين» ثم نقل ما روى المنذري في الترغيب والترهيب في وعيد المحدثات. منها حديث العرباض وفيه عن النبي ﷺ «وانه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، واياكم ومحدثات الامور فان كل بدعة ضلالة» رواه ابو داود وغيره. ومنها حديث انس قال قال رسول الله ﷺ «من رغب عن سنتي فليس مني» رواه مسلم. ومنها حديث ابن عباس عن النبي ﷺ «ابى الله ان يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته». ومن المعلوم بالتواتر والضرورة

ان سنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين المهديين اتحاد الجماعة في الصلوات الخمس فتعدها فيها بدعة شنيعة وضلالة فظيعة وفي الصحيح « من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وفي رواية لمسلم « من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد » والله أعلم . انتهى كلام الشيخ عlish مملخصا .

— ٧ —

﴿ بدعة السجدين بعد الصلاة بلا سبب مشروع ﴾

قال الامام ابو شامة في كتاب الباعث في عدة الوجوه المخالفة للسنة في بدعة صلاة الرغائب مانصه : الوجه الخامس ان مسجدي هذه الصلاة المقمولتين بعد الفراغ منها مكروهتان فانهما مسجدتان لا سبب لهما والشرعية لم ترد بالتقرب الى الله تعالى في السجود الا في الصلاة أو لسبب خاس في سهو او قراءة سجدة . وفي سجدة الشكر خلاف استحبابها الشافعي وقال أحمد لا بأس بها وقال اسحق وابو ثور هي سنة وكره النخعي ذلك وزعم انه بدعة وكره ذلك مالك والنعمان ثم قال وبالقول الاول أقول لان ذلك قد روي عن النبي ﷺ وابي بكر وعمر وعلي وكمب بن مالك . قال امام الحرمين والغزالي : كان الشيخ ابو محمد الجويني يشدد النكير على من يسجد لله من غير سبب واقراه وقال الامام المتولى صاحب التتمة جرت عادة بعض الناس بالسجود بعد الفراغ من الصلاة يدعو فيه قال وتلك سجدة لا يعرف لها اصل ولا نقلت عن رسول الله ﷺ ولا عن اصحابه انتهى . ولعل مراد

صاحب التتمة ببعض الناس من تابع في ذلك الصوفي الشهير محمد بن علي الترمذي الحكيم فانه ذهب الى استحبابهما لكل مصل جبراً للسهو القلبي اذ لا يخلو ان يغيب ولو لحظة في نفس صلاته عن كونه مصلياً والسهو غالبه من الشيطان فلا يجبر الا بصفة لا يتم كمن الشيطان ان يدنو من العبد فيها وهو السجود لحديث « اذا سجد ابن آدم اعتزل الشيطان يبكي .. الخ » قرره في الفتوحات المكية ونقله عن الترمذي. ولما كانت الصلاة سبيلها الاتباع حكم عليها الائمة بالا بداع . انتهى

— ٨ —

﴿ التأخر عن الصفوف في الرفوف ﴾

قال في الدر المختار : ولو صلى على رفوف المسجد ان وجد في صحنه مكانا كره كقيامه في صف خلف صف فيه فرجة قال الطحطاوي هل الكراهة فيه تنزيهية او تحريمية ويرشد الى الثاني قوله عليه الصلاة والسلام : « ومن قطعه — يعني الصف — قطعه الله » قال صاحب الدر وبالكراهة ايضا صرح الشافعية قال السيوطي في بسط الكف في اتمام الصف وهذا الفعل مفوت لفضيلة الجماعة الذي هو التضعيف لا لاصل بركة الجماعة . انتهى

— ٩ —

﴿ المسيئون صلاة التراويح ﴾

لا يخفى ان صلاة التراويح في كل ليلة من رمضان سنة ماثورة وقد اعتاد كثير من جهلة الائمة في معظم المساجد ان يخففوها الى هيئة

يقعون بسببها في الاخلال بركان الصلاة وسننها كترك الطمأنينة في الركوع والسجود وكسر القراءة وادماج حروف التلاوة بعضها ببعض وكاله من الرغبة في العجلة ، وهذا وما اشبهه من اعظم مكاييد الشيطان لاهل الايمان يبطل على العامل عمله مع اتيانه به بل كثير ممن اطاعوا شيطان العجلة صلاتهم اقرب الى اللعب منها للطاعة . فحق على المصلي فرضا او نفلا ان يقيم الصلاة بصورتها الظاهرة من القراءة والقيام والركوع والسجود ونحوها والباطنة من الخشوع وحضور القلب وكمال الاخلاص والتدبر والتفهم لمعاني القراءة والتسبيح ونحوها فظاهر الصلاة حظ البدن والجوارح وباطنها حظ القلب والسر وذلك محل نظر الحق من العبد

وقد ضرب الغزالي عليه الرحمة مثلا للذي يقيم صورة الصلاة الظاهرة دون باطنها بمن يهدي الملك عظيم وصيفة ميتة لارواح فيها والذي يقصر في شيء من ظاهرها بمن يهدي لذلك الملك وصيفة مقطوعة الاطراف مفقوعة العينين فهو والذي قبله متعرضان من الملك بهديتهما للعقاب والنكال لاستهانتهما بالحرمة واستخفافهما بحق الملك

ثم قال : فانت تهدي صلاتك الى ربك ، فايالك ان تهديها بهذه الصفة فتستوجب العقوبة

﴿ انفراد المصلين للوتر عن القدوة بإمام التراويح ﴾

﴿ المخالف لمذهبهم ﴾

جرت عادة المصلين صلاة التراويح في رمضان في المساجد ان يقتدوا بالامام فيها كلها ثم اذا اراد صلاة الوتر فالمقتدون الموافقون له في مذهبه يكملون معه صلاة الوتر جماعة ايضا والمخالفون له في مذهبه ينفردون في الوتر بجماعة لهم يؤمهم أحدهم أصل هذا الانفراد والتباين والتقسيم في المصلين هو أن الخنفية يرون صلاة الوتر ثلاث ركعات موصولة بتسليمة واحدة والشافعية يرون فصل الركعة الأخيرة عما قبلها واداء الثلاث بتسليمتين . فحافظه على ما تقرر في مذهب كل يقوم كل مقلد بما يتقاضاه به مذهبه تعصبا بدون نظر الى ما روي في هذا الباب من الاحاديث الصحيحة والآثار الحسنة التي تشهد للآتي بكل من الوجهين بالصواب والصحة وبدون تفكر وتدبر فيما ينجم عن تقسيم الجماعة من اظهار المخالفة والمباينة وعدم الرضا بما يصنع كل دع عنك التشويش في بعض المساجد الصغيرة ورفع كل صوته على الآخر في القراءة وغير ذلك مما ينافي مبدأ الجماعة ومشروعيتها وهدى الصحابة كاهم اذ لم يكونوا يقسمون جماعة الوتر بل ربما يرون التقسيم من أنكر النكر اذ ما جمعهم عمر رضي الله عنهم في التراويح على امام واحد الرفع التقسيم والاختلاف ، وللاحرص على التجمع والائتلاف . رواه المحدثون في

أصل مشروعية التراويح والقيام بها في ليالي رمضان
والقصد أني أرى أن مصلي التراويح مع امام المسجد ينبغي لهم
اتمام الاقتداء به في صلاته الى آخرها وعدم الانفراد عنه وطالما قررت
ذلك في دروسي العامة وبينت لهم وجوه ما أخذي

(فأولا) قرر علماء الاصول ان العامي لا مذهب له فاذا دخل
المسجد فما عليه الا ان يقتدي بامامه وينصيح بصيغته بل رأيت استاذنا
لي من الشافعية المحققين يقتدي بامام مسجد حنفي في صلاة الصبح
ويوافقه على ترك القنوت ولا يسجد للسهو - على مقتضى ما طلبه
الشافعية - ويقول لي لا أرى من الادب في العبادة مخالفة من اتخذته
اماماً لي ورضيته لذلك وهو يستند في اداء عبادته الى أدلة مأثورة
صحيحة وحسنة وليس من الفقه والعقل أن ابين امامي وآتي بما لم يأت
به . فرحمه الله ما أوفر عقله واحسن هديه

(المأخذ الثاني) ما كنت اقرره ايضا وهو أن اقتداء الحنفي
بالشافعي في الوتر وموافقته له جائزة فقد نقل الزيلعي في شرح السكندر
عن ابي بكر الرازي قال : اقتداء الحنفي بمن يسلم على رأس الركعتين
في الوتر يجوز ويصلي معه بقية الوتر لان امامه لم يخرج بسلامه عنده
لانه مجتهد فيه وقيل اذا سلم الامام على رأس الركعتين قام المقتدي وأتم
الوتر وحده . انتهى كلام الزيلعي

ففيه ما يدل على ان لا حاجة لانفراد الحنفي بجماعة الوتر
اذا وجد شافعي يؤم في الوتر وكذا يقال للشافعية الذين ينفردون

بالوتر اذا امهم في التراويح حنفي يقال لهم ان الفقهاء الشافعية جوزوا
في ركعة الوتر الاخيرة وصلها وفصلها ورأوا أن الافضل الفصل لصحة
الحديث به واذا كان كل من الفصل والوصل جائزاً عندهم فالافتداء
بالحنفي في الوتر على قواعدهم جائز لا اشكال فيه . نعم قد يستشكل
متعصب منهم بانه يقنت قبل الركوع والشافعي لا يراه فتجيبه بان ما قبل
الركوع وهو القيام يجوز فيه القراءة وغيرها — جواباً مذهبياً — والا
فالجواب الحاسم ثبوت الاثر بصفة وتر الحنفية بما لا يبقى معه للنزاع مجال
(المأخذ الثالث) هو ان الوتر رويت فيه كيفيات متعددة كما بينته
امهات السنة وذكرت خلاصتها في كتابي (الاوراد المأثورة) فثبت
صلاة النبي عليه الصلاة والسلام له باحدى عشرة ركعة مفصولة
الركعة الاخيرة عنها وبثلاث بتسليمة واحدة موصولة ، نعم روايات
الفصل اصح الا ان ذلك لا ينفي ثبوت غيرها ، فحق الفقيه المتعبد ان
يكون ذا بصر بالروايات وبالهدى النبوي فيعلم ان ائمة المذاهب عليهم
الرحمة ادلتهم جلية وان النوافل الليلية رويت على انواع توسعة على
المتجهدين وان اعتماد الامام ليس الا على ما رآه ارجح اجتهاداً مع تسليم
غيره والاعتراف به ، يدل على ذلك اقتداء بعضهم ببعض مع تخالفهم في
الفروع تخالفاً اجتهادياً لا تخالف شقاق في الطاعات
وبالجملة فحق المصلي في المساجد ان يوافق ائمتها مطلقاً لما ذكرناه
ومن خالف فما هو الا متعصب لم يدرس العباداة ولم يفهم حكم التشريع
بصرنا المولى بالحق وألهمنا رشدنا

الفصل الثالث

﴿ في آداب الامام والقدوة — وفيه فروع ﴾

الاول فيه مسائل :

— ١ —

قال التاج السبكي في معيد النعم : من حق الامام النصح للمؤمنين بان يخلص في صلاته ويجار في دعائه ويتضرع في ابتهاله ويحسن طهارته وقرائته ويحضر الى المسجد اول الوقت فان اجتمع الناس بادر بالصلاة والا انتظر الجمع ما لم يفحش الانتظار . وبالجملة فينبغي ان يأتي بصلاته على اكمل ما يطيقه من الاحوال . انتهى

— ٢ —

قال الامام ابن عاشر المالكي : شرط الامام ان يكون قادرا على اداؤها فان عرض للامام ما منعه القيام استخلف ورجع الى الصف مأموماً وان يكون عارفاً بحكم الصلاة اي عالماً بما لا تصح الصلاة الا به من القراءة والفقهاء فلا يصح الاقتداء بمن لا يحفظ من القرآن شيئاً ولا يعرفه والفقهاء هو معرفة كيفية الغسل والوضوء وأن يكون غير فاسق وان يكون غير لحان وان لا يكرهه المؤمنون او اكثرهم وان لا يكون مجهول الحال ما لم يكن راتباً وان لا يكون ضعيف العقل ولا متهما بارتكاب فاحشة تلفظ الالسنه فيها وان لا يكون بدوماً يتأذون

به ومثله من فيه مرض منفر وان لا يشترط اجرة وأما ما وقف فهو عطية لمن قام بتلك المؤونة

— ٣ —

امام المسجد وساكن البيت احق ممن حضر الا ممن ذي سلطان . والحر والحضرى والمقيم والبصير والمختون ومن عليه ثوبان وسائر رأسه اولى من ضدهم (زاد المستقنع)

— ٤ —

يلي الامام من المأمومين الرجال ثم الصبيان ثم النساء (زاد)

— ٥ —

يسن للامام التخفيف مع الاتمام وتطويل الركعة الاولى اكثر من الثانية

— ٦ —

اذا استأذنت المرأة الى المسجد كره منعها ، وبيتها أفضل لها لقوله ﷺ : « لا تمنعوا اماء الله مساجد الله ، ويوتهن خير لهن ، وليخرجن ثقلات » رواه الامام أحمد وأبو داود . وتخرج غير مطيبة ولا لابسة ثياب زينة

— ٧ —

من ركع أو سجد قبل امامه فعليه ان يرجع ليأتي به بعده لتحصل المتابعة الواجبة ويحرم سبق الامام عمدا للوعيد الشديد فيه (زاد)

— ٨ —

لو أحسَّ الإمام في ركوعه أو التشهد الأخير بداخل يريد الاقتداء وإدراك الركن استحب انتظاره بشرط أن لا يطوله وأن يقصده به التقرب إلى الله تعالى ولم يفرق بين داخل وداخل . وأما إذا أقيمت الصلاة فلا يحل الانتظار بلا خلاف (كذا في روضة النووي)

— ٩ —

المسجد الذي يكثر جمعه فالصلاة فيه أفضل إلا في مسألتين : أحدهما إذا تعطل المسجد القريب بنجاسة جماعة فالصلاة فيه أفضل وإن قل جمعه ، الثانية إذا كان إمام مسجد إلاكثر مبتدعاً وجماعة غيره أقل فهو أفضل (كذا في الاستئنا في الفرق والاستئنا في القاعدة ٣٥)

— ١٠ —

يسن للمصلي أن يديم نظره إلى موضع سجوده إلا في مسائل منها حالة التشهد فينظر إلى سياسته ومنها إذا كان بقرب الكعبة استحب له أن ينظر إليها في وجهه ومنها إذا خشي الهلكة ممن يأتيه غفلة ومنها عدم سماع مبلغ على وجهه (كذا في الاستغناء في القاعدة ٣٨)

— ١١ —

قولهم تقبل الله منا ومنك وتقبيل اليد بعد الصلاة بدعة لا أصل لها من السنة (كذا في عمدة المريد في البدع لابن زروق)

— ١٢ —

تعمق الإمام في المحراب وطول قيامه قبل الإحرام ودخوله

قبل استواء الصفوف وقراءته بالثانية باطول من الأولى كله بدعة
(كذا في عمدة المريد)

— ٢ —

﴿ سنية تحية المسجد لكل داخل الآ في صور ﴾

يستحب لمن دخل المسجد ان لا يجلس حتى يصلي ركعتين الا في
مسائل : منها الخطيب اذا دخل المسجد للخطبة فانه يصعد على المنبر
ويجلس عليه ولا يصلي التحية. ومنها اذا كان في وقت الكراهة بقصد
التحية. ومنها اذا دخل والامام في آخر الخطبة لم يصل التحية لثلاث يفوته
ادراك أول الصلاة مع الامام. ومنها اذا دخل من يريد الاقتداء
والامام في المكتوبة. ومنها من دخل المسجد الحرام للطواف
(استغناء)

— ٣ —

﴿ خطر اقامة من سبق الى مكان في المسجد الا في صور ﴾

من جلس في موضع من المسجد لصلاة أو اعتكاف لم يجز
اخرجه. وكذا كل موضع مباح الا في مسألتين احدهما اذا جلس في
موضع من المسجد لصلاة أو اعتكاف وكان يعتاد جلوسه المفتي للافتاء
والمدرس للتدريس فيهما أولا لعموم نفعهما بموضع اعتاده وعرفا به.
المسئلة الثانية اذا اعتاد احد اصحاب البياعات موضعاً للبيع فجاء غيره
فجلس فيه فامن اعتاده اخرجه منه وجالوسه في الموضع الذي اعتاد
(استغناء)

— ٤ —

﴿حظر المرور بين يدي المصلي الا في صور﴾

المرور بين يدي المصلي حرام الا في مسألتين احدهما المرور بين يدي المصلي لسد الفرجة التي في الصف الأول لتقصير من في الصف الثاني . الثانية ما اذا ازدحم الناس فلا نهى ولا دفع . قاله الغزالي والامام وصوب النووي عدم الفرق وفي الكافية : ان كان تقصيراً كما اذا صلى في طريق فلا كراهة - جزماً . ومثله ما اذا صلى حول الكعبة في زمن الحجاج وازدحم الناس عند الكعبة او داخلها

— ٥ —

﴿نهى ذى الریح الخبيثة عن دخول المسجد الا في صورة﴾

اذا أكل شيئاً نيئاً كالثوم والبصل والكراث فلا يدخل المسجد للنهي عنه لعلامة التأذي الحاصل منه الا في مسألة وهي ما اذا كان أكله اضرورة به . روى البيهقي في السنن الكبرى من رواية المغيرة بن شعبه قال اكلت الثوم على عهد رسول الله ﷺ فأُتيت المسجد وقد سبقت بركعة فدخلت معهم في الصلاة فوجد رسول الله ﷺ ريحه فقال من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقربن مصلاًنا حتى يذهب ريحها فأتممت صلاتي فلما سامت قلت يا رسول الله اقسمت عليك الا ما اعطينتني يدك فناولني يده فأدخلتها في كمي حتى انتهيت بها الى صدري فوجده معصوباً فقال ان لك عذراً ورأى ذلك عذراً . هذا لفظه في الحديث فاقتضى الاستثناء (كذا في الاستغناء)

الباب الثاني

في

البدع المادية وفيه فصول

الفصل الأول

في فروع

— ١ —

﴿ زخرفة المساجد ﴾

روى أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال « تزخرفنها كما
زخرفت اليهود والنصارى »

وروى البخاري أن عمر رضي الله عنه أمر ببناء المسجد وقال
« اكن الناس من المطر ، واياك ان تحمّر او تصفر »

قال فاضل : من الذي كان يجسر من أهل البصر في الاجيال التي
كان التنافس بالغاً حده في اقامة جدران المساجد والقباب وزخرفتها
وبذل القناطير المقنطرة في اثائها ودياشها ، من الذي كان يجسر في تلك
الاحيان ان يقول لأولئك المتبرعين انكم انما تبنون صروحاً لا يقاع
العامّة في اشراك البدع وتبذلون اموالكم لاحالة الدين الى العبادات
الصورية كما حصل في كل الامم السالفة التي اعتاضت عن جمال العقيدة

بجمال جدران المعابد ، وعن نور الايمان بانوار الهياكل ، حتى جعلوا شعائر الدين أشبه باحتفالات الولائم واقرب لاجتماعات المآدب لشدة ما تلتهم الأذهان بالنقوش والزخارف وما يشطح الفكر في التأمل في سجوف المنافذ وابداع المنابر ، مع ان القصد من تلك الاجتماعات كان تجريد العقل من ملهيات العالم المادي ، وتخليصه من فائتات المظهر الطيني ، والذهاب بالروح على أجنحة ذلك الاجتماع المندمج الى باب الرحمة القدسية لتطرقه بيد التجريد والعبودية الخالصة لترجع الى عالمها بنور من عالم القدس يثبتها في جهادها ويقسمها على صراطها ويحميها عن فتن الدنيا ومداحضها حتى اذا أدت وظيفتها في هذه الحياة عرجت الى عالمها بتلك القوة التي اكتسبتها ودخلت من جنان الفيض الالهي في الحال التي أعدت لها . انتهى

— ٢ —

﴿ كثرة المساجد في المحلة الواحدة ومزية المسجد العتيق ﴾
قال السيوطي في كتاب (الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع)
ومن تلك المحدثات كثرة المساجد في المحلة الواحدة وذلك لما فيه من تفريق الجمع وتشيت شمل المصلين وحل عروة الانضمام في العبادة وذهاب رونق وفرة المتعبدين وتعدد الكلمة واختلاف المشارب ومضادة حكمة مشروعية الجماعات أعني اتحاد الأصوات على اداء العبادات وعودهم على بعضهم بالمنافع والمعونات والمضارة بالمسجد

القديم أو شبه المضارة أو شجرة الشهرة والسمعة وصرف الأموال فيما لا ضرورة فيه

وجاء في (الاقناع) و (شرحه) : ويحرم أن يبني مسجد إلى جنب مسجد الحاجة كضيق الأول ونحوه كخوف فتنة باجتماعهم في مسجد واحد . وظاهره وإن لم يقصد المضارة
وعبارة (المنتهى) : ويحرم بناء مسجد يراد به الضرر لمسجد بقربه . انتهى

وقال الامام ابن تيمية في تفسير سورة الاخلاص كان السلف يكرهون الصلاة فيما يشبه مسجد الضرار ويرون العتيق أنضلي من الجديد لأن العتيق أبعد عن أن يكون بني ضراراً من الجديد الذي يخاف ذلك فيه . وعتق المسجد مما يحمده به ولهذا قل تعالى « ثم محلها إلى البيت العتيق » وقل سبحانه « ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة » فان قدمه يقتضي كثرة العبادة فيه أيضاً وذلك يقتضي زيادة فضله . اهـ



الفصل الثاني

في

تنوير المساجد في الأشهر الثلاثة وغيرها.

— ٣ —

﴿زيادة التنوير ليلة أول جمعة من رجب﴾

عادة هذا التنوير ليلته في المساجد وما ذكرها هو من بقايا بدع في تلك الليلة ذلك أنها كانت أحدث فيها صلاة بين العشاءين تسمى صلاة الرغائب ثم فشت وعمت وعظمت الفتنة بها فكانت توقد فيها المعاييح وتزدحم الأفواج على أحيائها في المساجد ويقوم أهل القرى لأجلها وتختلط النساء بالرجال وينشأ من المفساد ما لا يحصى كما وصفه الإمام أبو شامة في كتابه (الباعث على انكار البدع والحوادث) واغتر بعض الناس بذكرها في مثل (الاحياء) وقد جزم حفاظ الحديث بوضع الاحاديث المروية فيها : قال الحافظ أبو الخطاب اتهم بوضع حديثها علي بن عبد الله بن جهم . ثم قال وكذلك عمل الحسين بن ابراهيم حديثاً موضوعاً على رجال مجهولين وهو حديث جمع من الكذب والزور غير قليل . قال أبو شامة وما ذكره الحافظ أبو الخطاب في أمر صلاتي رجب وشعبان أي من انهما بدعتان وحديثهما موضوع هو كان سبب تبطيلهما في بلاد مصر بأمر ساطانها الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب رحمه الله تعالى فانه كان مائلاً الى اظهار

السنن وامانة البدع . انتهى

وبه يعلم ان هذا التنوير من بقايا آثار تلك البدعة

— ٤ —

﴿زيادة التنوير ليلة النصف من شعبان ونشر فضائلها﴾

وقراءة أدعية فيها

الكلام على التنوير فيها كالكلام فيما قبلها وهو من بقايا ما كان
ابتدع فيها سنة (٤٤٨) من الصلاة الالفية فيها يقرأ فيها « قل هو
الله أحد » الف مرة في مائة ركعة تتلى بعد الفاتحة عشر مرات سورة
الاخلاص . وكانت تنور المساجد لاجلها ويجتمع الألوف لأدائها
ويحصل من الفساد ما بسطه ابو شامة في كتاب (الباعث) الى ان ابطالها
الملك الكامل جزاه الله خير الجزاء كما اسلفنا من قبل

وقال في كتابه المذكور عن أبي بكر الطرطوشي قال روى ابن
وضاح عن زيد بن اسلم قال : ما ادر كننا احدا من مشايخنا ولا فقهاءنا
يلتفتون الى ليلة النصف من شعبان ولا يلتفتون الى حديث مكحول
ولا يرون لها فضلا على سواها ، قال وقيل لابن أبي ملكية ان
زياداً النميري يقول ان اجر ليلة النصف من شعبان كأجر ليلة القدر
فقال لو سمعته وييدي عصا لضربته ، قال وكان زياد قاصاً

وقال الحافظ ابو الخطاب ابن دحية : روى الناس الأغفال في
صلاة ليلة النصف من شعبان احاديث موضوعه وكلفوا عباد الله
بالاحاديث الموضوعه فوق طاقتهم من صلاة مائة ركعة

وقال اهل التعديل والتجريح : ليس في حديث ليلة النصف من شعبان حديث يصح فتحفظوا عباد الله من مفتر يروي لكم حديثا موضوعا يسوقه في معرض الخير فاستعمال الخير ينبغي ان يكون مشروعا من النبي ﷺ فاذا صح انه كذب خرج من المشروعية وكان مستعمله من خدم الشيطان لاستعماله حديثا على رسول الله ﷺ لم ينزل الله به من سلطان

ثم قال ومما أحدثه المبتدعون وخرجوا به عما وسمه المتشرعون وجروا فيه على سنن المجوس واتخذوا دينهم لهوا ولعبا الوقيد ليلة النصف من شعبان ولم يصح فيها شيء عن رسول الله ﷺ ولا نطق بالصلاة فيها والايقاد وصدق من الرواة وما أحدثه المتلاعب بالشرعية الحمدية ، راغب في دين المجوسية لان النار معبودهم وأول ما حدث ذلك في زمن البرامكة فادخاروا في دين الاسلام ما كان أصلهم عليه من عبادة النيران . . الخ

وأما دعاؤها المشهور فلم يرد من طريق صحيح ولا غيره وانما هو من جمع بعض المشايخ

قال شهاب الدين احمد الشرجي اليميني (مختصر البخاري) في كتابه (الفوائد في الصلوات والعوائد) في الفائدة الرابعة والستين فيما يدعى به ليلة النصف من شعبان قال : من ذلك ما وجد بخط الفقيه العالم الصالح ابي بكر بن احمد دعير رحمه الله تعالى قال أملى علي الاخ الفقيه العلامة عبد الله بن أسد اليافعي في طريق مدينة الرسول ﷺ سنة (٧٣٣)

هذا الدعاء المبارك وهو : اللهم يا ذا المن . . الخ

— ٥ —

﴿زيادة التنوير في رمضان﴾

قل في المدخل : في زيادة وقود القناديل اضاعة المال لا سيما اذا كان الزيت من الوقف فيكون ذلك جرحه في حق الناظر لا سيما إن كان الواقف لم يذكره وان ذكره لم يعتبر شرعا وزيادة الوقود مع ما فيه من اضاعة المال كما تقدم هو سبب لاجتماع من لاخير فيه

وقال أيضا : الا ترى الى ما فعلوه من زيادة الوقود الخارج الخارق حتى لا يبقى في الجامع قنديل ولا شيء مما يوقد الا أوقدوه حتى انهم جعلوا الحبال في الاعمدة والشرافات وعلقوا فيها القناديل واوقدوها . وقد تقدم التعليل الذي لاجله كره العلماء رحيمهم الله تعالى التمسح بالمصحف والمنبر والجدران الى غير ذلك اذ أن ذلك كان السبب في ابتداء عبادة الاصنام وزيادة الوقود فيه تشبيها بعبدة النار في الظاهر وان لم يعتقدوا ذلك لان عبدة النار يوقدونها حتى اذا كانت في قوتها وشعثتها اجتمعوا اليها بنية عبادتها . وقد حث الشارع صلوات الله عليه وسلامه على ترك تشبه المسلمين بفعل أهل الاديان الباطلة حتى في زيهم المختص بهم وانضم الى ذلك اجتماع كثير من النساء والرجال والولدان الذي يتنجس الجامع بفضلاتهم غالبا وكثرة اللغظ والافعال الكثير . فانظر الى هذه البدع كيف يجر بعضها الى بعض حتى ينتهي ذلك الى المحرمات

وقال ايضاً : ما أحدثه الناس من زيادة وقود القناديل الكثيرة الخارجة عن حد المشروع لم يكن من فعل من مضى من السلف وفيه اصابة للمال والسرف والخيلاء ومحبة الظهور والقييل والقال وبعضهم يلون الماء الذي في القناديل بحمرة أو غيرها وكما زادت فضيلة الليالي والايام قابلوها بضدها نسأل الله العافية بمنه . ثم قال رحمه الله : وهذا اذا كان الزيت من مال الانسان نفسه واما ان كان من ربيع الوقف فلا يختلف احد في منعه ولو شرط الواقف ذلك لم يعتبر شرطه لقوله عايه الصلاة والسلام : كل شرط ليس في كتاب الله تعالى فهو باطل ولو كان مائة شرط . وسبب ذلك سكوت بعض العلماء عنه وقد زادوا على ذلك اعتقادهم ان فعل ذلك من اظهار شعائر الاسلام فانا لله وانا اليه راجعون على انقلاب الحقائق . انتهى

وقال أبو شامة في بعض مفاصل الاختلاط في المساجد : كله بسبب الوقيد الخارج عن المعتاد الذي يظن انه قرينة وانما هو اعانة على معاصي الله تعالى واظهار المنكر وتقوية لشعار أهل البدع ولم يأت في الشريعة استحباب زيادة في الوقيد على قدر الحاجة في موضع ما أصلاً وما يفعله عوام الحجاج يوم عرفة بجبال عرفات وليلة يوم النحر بالمشعر الحرام فهو من هذا القبيل يجب انكاره ووصفه بأنه بدعة ومنكر وخلاف الشريعة المظهرة . انتهى

- ٦ -

﴿ ابقاء المصاييح متقدمة الى الضحوة أيام العيد ﴾

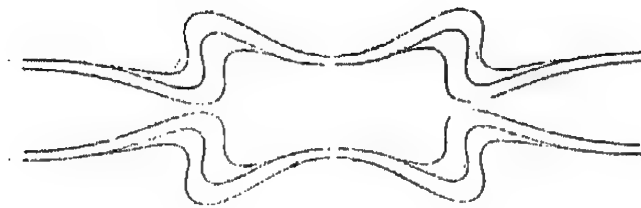
العادة في أغلب المساجد زيادة التنويرات في رمضان وليلة النصف من شعبان وليلة أول جمعة من رجب ويومي العيد . وقد قدمنا الكلام على الأول وبقى الكلام على ابقاء القناديل متقدمة الى الضحوة في العيدين عيد الفطر والاضحى . والأغرب انهم يوقدون الزائد على المعتاد بعد الفجر أعني في الوقت الذي مابقيت الحاجة فيه الى المصاييح الأصلية ، فيأخذ شمال المسجد في ايقادها من ذلك الوقت ثم تطلع الشمس وترتفع وهي متقدمة وقد استغنى عنها . والغالب انهم يطفئونها بعد انصراف القوم . وفي مثل الجامع الأموي والسنانية يطفئونها مصاييح زيت الكاز وأما قناديل الزيت البلدي فيبقونها حتى تنطفئ بأنفسها ولو بعد العصر زعمًا بأن اطفاءها لا فائدة فيه اذ لم يبق فيها زيت يمكن توفيره والشمال يريد بعد هذا الموسم أن يغسل القناديل ويخبئها لمثل هذا الموسم فيتركها حتى تنطفئ . هذا ما يوجد في الجامعين المذكورين

ومعلوم ان ابقاءها متقدمة - ولا حاجة اليها - فيه سرف لا ضاعة المال بلا فائدة ، واعدادها ولا حاجة اليها اعداد محظور ، وقد أسلفنا حظر زيادة التنوير على قدر الحاجة

نعم قد كان بعض أساتذتي ممن له سيطرة ونفوذ على جامعه

بدمشق يأمر الشمال بإطفاء القناديل متى استغنى عنها بالأسفار الزائدة.
أو بطلوع الشمس في أيام الغيم وكنت أستحسنه جداً لما فيه من
إنكار منكّر وتغييره بالفعل . ومن لنا ببقية المساجد أن تحذو حذو
هذا الفعل الحسن

وقد أعجبني في بيروت سنة « ١٣٢٣ » في عيد الفطر في رحلي
الرابعة اليها في جامعها الكبير أن أطفئت القناديل منه عند طلوع
الشمس وهكذا ينبغي أن يكون العمل . وفقنا المولى لاستعمال عقولنا
فيما يرضيه عنا



الفصل الثالث

— ٧ —

﴿ المقاصير والدرابزين في المسجد ﴾

قال الامام ابن الحاج: فعل المقاصير والدرابزين من البدع المحدثه . وقد ترتب بسبب ذلك جملة مفاسد :

أولها ان الموضع وقف للصلاة وما فعل فيه لغيرها فهو غصب .
لما وضع صلاة المسلمين

الثاني ان فيه تقطيع الصفوف وذلك خلاف السنة — ثم قال :

السابع ما في ذلك من مخالفة السنة

الثامن ان ذلك من باب زخرفة المساجد

التاسع ادخال الضرر على نحو أعمى بسببها . انتهى

أقول بقي من المقاصير القديمة العهد مقصورة المسجد الاقصى .
جانب منبره وكان في الجامع الأموي بدمشق مقصورة كبرى حول
منبره . ومجرا به الى ركني القبة أزيات في حدود سنة « ١٢٨٠ » بأمر
والى دمشق وقتئذ وكان احداث هذه المقصورة بأمر معاوية ثم زاد
فيها سنة « ٤٣ » لما وثب عليه البرك^(١) لقتله وفي سنة « ٤٣ » أيضاً

(١) بموحدة ثم راء مهلة ثم كاف على وزن صرد قال الزبيدي في شرح

القاموس والبرك بن عبد الله كصرد هو الذي ضرب معاوية ففلق اليقه لينة .
مقتل علي رضي الله تعالى عنه . هكذا ضبطه الحافظ . ا هـ

أحدث مروان في المسجد النبوي مقصورة وهو وال عليها
ومثل ما ذكره يقال في السدد السفلى التي انشأت في حوائط
المساجد الشمالية والتخوت المؤبدة ففيها من المحذورات ما تقدم ويزاد
عليها ارتفاع المأموم على الامام وإعدادها لمن يريد الانفراد عن
الصفوف والانفئة عن غمار بركة المصلين ومحبة الترفع اذ غالب الاعيان
متى دخلوا المسجد لأمر ما لا يقصدون من المسجد سواها
مشوى ومتكأ

— ٨ —

﴿ كرسى القاريء في المسجد والتشويش بالقراءة عليه ﴾

« وقصد الدنيا بالقرآن »

رأيت في مصر والاسكندرية أيام رحلتي اليها « عام ١٣٢١ »
هذه البدعة المنكرة وهي صعود حافظ على كرسى عريض مرتفع
ذراعاً فأكثر وتلاوته عشراً من القرآن بصوت مرتفع بعد الاذان
وقبل اقامة الصلاة فترى من التشويش على المتنفلين بالرواتب ما لا
يمكن معه اداء الصلاة

ثم رأيت ابن الحاج نبه على هذا في المدخل قال رحمه الله : ومن
هذا الباب الكرسى الكبير الذى يعمالونه في الجامع ويؤبدونه وعليه
المصحف لكي يقرأ على الناس ولا ضرورة تدعو الى ذلك لوجهين
الاول أنه يمسك من المسجد موضعاً كبيراً وهو وقف على المصلين
لصلاتهم ، الثاني انهم يقرأون عند اجتماع الناس لانتظار الصلاة فمنهم

المصلي ومنهم التالى ومنهم الذاكر ومنهم المفكر فاذا قرأ القاريء اذ
ذلك قطع عليهم ما هم فيه وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن رفع
الصوت بالقراءة في المسجد بقوله عليه الصلاة والسلام « لا يجهروا
بعضكم على بعض بالقرآن » وهو نص في عين المسئلة انتهى . ومثل ذلك
في دمشق قراءة سورة الاخلاص ثلاثا قبل إقامة الصلاة اعلانا بأنه
ستقام الصلاة ، فهي بدعة لا اصل لها ولا حاجة اليها . وقرأت في
حواشى متن الشيخ خليل ان من رفع صوته بالقراءة في المسجد يقام
ويخرج منه اذا داوم على ذلك والا فيؤمر بالسكوت أو القراءة سرا .
قالوا لأن الغالب على هؤلاء قصد الدنيا (انظر ابواب سجود التلاوة)
وفي (الاتقان) للامام السيوطي في آخر النوع الخامس والثلاثين ما نصه
(مسئلة) يكره اتخاذ القرآن معيشة يتكسب بها . اخرج الا جري
من حديث عمران بن حصين مرفوعا « من قرأ القرآن فليسأل الله به
فانه سيأتى قوم يقرأون القرآن يسألون الناس به » اهـ



الباب الثالث

في

« الادعية والاذكار والقصص في المساجد »

— وفيه فصول —

الفصل الاول

— ١ —

﴿ السماع في المسجد ﴾

قال الامام العارف ابن الحاج قدس الله سره في (المدخل) في بحث السماع :

وأشد من فعلهم السماع كون بعضهم يتعاطونه في المساجد وقد تقدم توقيف السلف رضي الله عنهم للمساجد وكيف لا يكون كذلك وقد كانوا يكرهون رفع الصوت فيه ذكراً كان أو غيره . وقد نهى النبي ﷺ عن رفع الصوت بالقراءة فيه ومن ذلك ما ورد من انشاد الخالة في المسجد لقوله عليه الصلاة والسلام « من نشد ضالة في المسجد فقموا له لا ردها الله عليكم » اهـ * ونقل الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) عن القرطبي قال : غلبت النفوس الشهوانية على كثير ممن ينسب الى الخير حتى لقد ظهرت من كثير منهم فعاليات المجان

والصبيان ، فرقصوا بحركات متطابقة ، وتقطيعات متلاحقة ، وانتهى
التواقيح بقوم منهم الى ان جعلوها من باب القرب وصالح الاعمال ،
وان ذلك يثمر سني الاحوال ، وهذا على التحقيق من قول اهل
المخرقة ، اه ملخصا . وفي كتاب (الامر بالاتباع والنهي عن الابتداع)
للسيوطي ما مثاله : ومن ذلك - يعني المحدثات - الرقص والغناء في
المساجد وضرب الدف أو الرباب وغير ذلك من آلات الطرب فمن
فعل ذلك في المسجد فهو مبتدع ضال مستحق للطرد والضرب لانه
استخف بما أمر الله بتعظيمه قال الله تعالى « في بيوت اذن الله أن ترفع
ويذكر فيها اسمه » أي يتلى فيها كتابه وبيوت الله هي المساجد .
انتهى بحروفه

— ٢ —

﴿ الذاكرون المغيرون للفظ الجلالة ﴾

قال الامام العارف الكبير السيد محمد وفا بن ناصر الدين القرافي
في كتابه (الادلة القاطعة في الرد على المنتسبة والمطاوعة) ما مثاله في
أول صفحة منه :

ان الانكار على هذه الطائفة المطاوعة (لطف المولى بنا وبهم) من
اجل الطاعات وأعظم القربات لامور منكورة وبدع مستكثرة :

فمنها اتخاذ المرد خلف ظهورهم حال قيامهم وقعودهم وسيرهم
ومنامهم ولم ينقل ذلك عن احد من سلف الامة خصوصا ويلزم على

اتخاذ الامر اذا كان جميلا النظر اليه ، وهو حرام او مكروه عند
العلماء اذا كان بغير شهوة اما بها فحرام اتفاقا

ومما ينكر عليهم تكليفهم للناس في غداء او عشاء كما هو المشهور
عنهم خصوصا ما يسمونه (سيارة) من طوافهم في البلاد واكلهم
اموال الناس بغير حق . وقد عامت حال من يأكل الدنيا بالدين وفي
حديث عند الحاكم « اطلبوا الدنيا بالحرف ولا تطلبوها بالدين فان
الدين لي خاصا . ويل لمن طلب الدنيا بالدين ، ويل له » ومن امورهم
المنكرة ايضا ما يجتمع حال ذكرهم من البدع كالرقص والصفق الذي
هو حال عباد العجل كما صرح به غير واحد من العلماء ممن افق ببطالان
ماهم عليه وشن الغارة عليهم نظما ونثرا ولولا خوف الاطالة لأوردت
لك جملة من فتاوي العلماء فيهم واسكن من نور الله بصيرته لايحتاج
الى ذلك والله ولي التوفيق

ومنها تغييرهم الاسم الكريم حال ذكرهم فمن قائل يقول « اموه »
ومن قائل يقول « انوه » ومن قائل « أن أن » الى غير ذلك كما هو معلوم
بالمشاهدة وكل ذلك لا يسمى ذكرا ولا ثواب فيه قطعا ، وفي (الاسئلة
والاجوبة) للعارف بالله تعالى سيدى زين الدين المرصفي سألته هل
يشترط في الجلالة ان تكون مفسرة الاحرف كلها ؟ قال نعم مادام
حاضرا والا ففي استغراقه بشرطه لا يشترط ذلك ولا خرج عليه
ما دام مسلوب الاختيار والله اعلم . انتهى

وقال بعضهم في ارجوزة له :

ومن شروط الذكر ان لا يسقطا
 في البعض من مناسك الشريعة
 والرقص والصراخ والتصفيق
 وانما المطلوب في الاذكار
 وغير ذا فحركة نفسيه
 فواجب تنزيه ذكر الله
 عن كل ما يفعله اهل البدع
 فقد رأينا فرقة ان ذكروا
 وصنعوا في الذكر صنعا منكرا
 خلوا من اسم الله حرف الهاء
 لقد اتوا والله شيئا إذا
 والالف المحذوف قبل الهاء
 وغرهم اسقاطه في الخط
 قد غيروا اسم الله جل وعلا
 ثم قال :

من كان في نيل الكمال راجيا
 فانه ملبس مفتون
 هذا محال لا يصح ابدا
 وقال بعض السادة الصوفيه
 اذا رأيت رجلا يطير
 وعن شريعة الرسول نائيا
 وعقله مخبل مجنون
 لان سيد الوري باب الهدى
 مقالة جليلة صفيه
 او فوق ماء البحر قد يسير

ولم يقف عند حدود الشرع فانه مستدرج وبدعي
والفرق بين الافك والصواب يعرف بالسنة والكتاب
والشرع ميزان الامور كلها وشاهد لفرعها واصلاها

— ٣ —

﴿ رفع الصوت في المسجد بذكر أو غيره ﴾

قال الامام ابن الحاج : ينبغي ان يمنع من يرفع صوته في المسجد
في حال الخطبة وغيرها لان رفع الصوت في المسجد بدعة لما ورد عنه
عليه الصلاة والسلام انه قال « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم
وخصوماتكم وبيعكم وشراءكم وسل سيوفكم ورفع أصواتكم واقامة
حدودكم وجمروها ايام جمعكم »

وقال أيضاً : ينبغي ان ينهى الذاكرون جماعة في المسجد قبل
الصلاة او بعدها أو في غيرها من الاوقات لانه مما يشوش بها . وفي
الحديث « لا ضرر ولا ضرار » فاي شيء كان فيه تشويش منع

وقال ابن حجر في فتاويه : قال الزركشي السنة في سائر الاذكار
الاسرار الا التلبية . وقال الاذرعى : حمل الشافعي رضي الله عنه أحاديث
الجهر على من يريد التعليم . وفي (العباب) : ويسن الدعاء والذكر سرّاً
ويجهر بهما بعد سلام الامام لتعليم المؤمنين فاذا تعلموا اسروا

وفي (الجامع الكبير) عن ابن المبارك عن عبيد الله بن أبي حفص
أرسله الى النبي ﷺ : من أجاب داعي الله وأحسن عمارة المساجد
قال لا يرفع فيها صوت ولا يتكلم فيها برفث . وروى الترمذى

والنسائي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : من رأى يتموه ينشد شعراً في المسجد فقولوا فض الله فلك ثلاثاً ، من رأى يتموه ينشد ضالة في المسجد فقولوا لا وجدتها ثلاثاً ، ومن رأى يتموه يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا لا أربح الله تجارتك

فما أحق هؤلاء المنشدين للقصاص المأخوذة والموشحات المحرفة بتملك الزعقات المؤلمة والصيحات الموهوة بالدعاء النبوي المذكور عليهم اذ الامر فيه ان لم يكن للوجوب فللندب واذا كان من يرفع صوته لحاجة مهمة كضالة يتعرفها قد شرع الدعاء الثاني عليه فما بالاك برافعي أصواتهم لا حاجة بل الضرر والتشويش . وروى البخاري عن السائب ابن يزيد قال كنت نائماً في المسجد فحسبني رجل فاذا عمر بن الخطاب فقال اذهب فأتني بهذين فجئته بهما فقال من أنما قالا من أهل الطائف قال لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ

فليتأمل العاقل كيف رأى عمر رضي الله عنه أن يؤدب رافع صوته في المسجد بالضرب الوجيع وانظر عدله في الكف عنهما واقامة العذر لهما بسبب جهلهما بالحكم لكونهما ممن بدا عن مدن الفقه والعلم

وروى الامام مالك والبيهقي عن سالم بن عبد الله ان عمر بن الخطاب بنى الى جانب المسجد رحبة فسامها البطيحاء فكان يقول من أراد ان يلغظ أو ينشد شعراً أو يرفع صوتاً فليخرج الى هذه الرحبة

﴿تحقيق وقت السحر ، وما ينتقد على قارئ وردة في المسجد﴾

يفهم كثير من الناس من هذا الوقت غير معناه الوضعي وذلك أن هذا الوقت لغة اسم لا آخر جزء من الليل وأول جزء من النهار وفي مقابلته الاصيل وهو آخر النهار ، يضرب بهما المثل في لطف الوقت وصفاء الهواء . قل الراغب في مفرداته والسحر اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار وجعل ذلك اسما للوقت . قل الزمخشري وانما سمي السحر استعارة لانه وقت ادبار الليل واقبال النهار فهو متنفس الصبح

اذا علمت ذلك فما يزعمه بعض المتعبدین من ان السحر هو قبل الفجر بساعتين أو ساعة مثلا استنادا على ان أوراداً الفتح في ذلك وجرت العادة بقراءتها قبل الفجر في الحصة المذكورة هو خطأ في فهم حقيقة الوقت الوضعية . نعم ما قارب الشيء قد يعطى حكمه فلما قارب السحر عليه الاسم يعرفهم والقصد من ذلك ان من استيقظ قبل الفجر بمقدار مائة وثمانين ركعة ويصلي ولو ركعتين ويدرك الفجر لأول وقته اعني في الناس فهو مما يصدق عليه انه ممن احب السحر ونال فضيلته اذا استغفر وصلى فيه واناب وحينئذ فما يزعمه اهل ذلك الورد . انهم هم اهل السحر خاصة غفلة عن فهم هذا الوقت بلسان الشريعة واللغة

ثم ان مما ينتقد على قارئ ورد السحر في المسجد أمران اذا وجد :

منهم : الاول جهرهم بقراءته ثم الذكر بعده بحيث يشوش على مصلي
أو ذاكر وقد يكون المسجد ضيقا وهو اشد خطرا لما يتألم من رفع
صوتهم كل من حضر اليه ليتعبد

والثاني - وهو منكر كالاول بالاجماع - ان اهل ورد السحر قد
ينفرد شيخهم بامامة جماعته في المسجد قبل امامه الراتب فيقسم الجماعة
ويفتات على الراتب ويهضم حقه ويسمى بهدم سر الاجتماع الى غير
ذلك وقد اوضحت محظورات التقديم على الراتب في رسالة بديعة . ومنهم
من لا ينتظر تمام اذان الفجر بل يأخذ بصلاة سنته قبل فراغ الاذان
حبا بالعجلة ثم يقيم الصلاة بمن حضره ويستعجل عجلة تروق لمن كان
على شاكلته . وقد يتصل صفة بصف الراتب اذا اقيمت الصلاة
للااتب بعده كما يقع في الجامع الاموي في مثل رمضان . ولو قيل لهم
في ذلك لقالوا نحن أدركنا اشيائنا على هذا وهم كانوا اعلم وأصلح
« انا وجدنا آباءنا » . وقد يستند متفقه منهم على ما وجد في كتب
الشافعية المتأخرين من جواز التقديم على الراتب في المسجد المطروق
وقد بينت في رسالتي المذكورة خطأ هذا القول بما راجعته من عدة
كتب في المذهب وآخر من رد هذا القول ابن حجر في فتاويه . على
ان كل قول في المذهب لم ينقل عن نفس الامام فلا يكون مذهبا له
وانما هو رأي لقائله وهما هو (الام) قد طبع الآن ومن كان مقلدا
للشافعي فالام مرجعه فما كان فيه فهو متمسكه ومالا فلا عبرة به لانه
لايسوغ تقليد المقلد وانما يقلد المجتهد كما تقرر في الاصول ، فافهم

فقد تقدم نحو هذه البدعة في بحث الافتئات على الامام الراتب فتذكر

— ٥ —

﴿ الاحتراز عن البدع في الاحتفال بقراءة المولد النبوي ﴾

جرت عادة اكثر المسلمين ان يحتفلوا الليلة الثانية عشرة من ربيع الاول بتلاوة قصة مولده ﷺ ذهابا الى ان في مثل تلك الليلة ولد خاتم الانبياء صلوات الله عليه — وهو قول من اقوال عديدة — وقد شدد النكير الامام ابن الحاج في المدخل على ما حدث في مجامع قراءة المولد من المنكرات واطال في بيان محاذيرها فلتراجع . ورأيت في فتاوى شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية انه سئل عليه الرحمة فيمن يعمل كل سنة ختمة في ليلة مولد النبي ﷺ هل ذلك مستحب أم لا فاجاب بعد الحمدلة : « جمع الناس للطعام في العيدين وايام التشريق سنة ، وهو من شعائر الاسلام التي سنّها رسول الله ﷺ للمسلمين ، واعانة الفقراء بالاطعام في شهر رمضان هو من سنن الاسلام ، فقد قال النبي ﷺ : « من فطر صائما فله مثل اجره » . واعطاء فقراء القراء ما يستعينون به على القرآن عمل صالح في كل وقت ومن اعانهم على ذلك كان شريكهم في الاجر . واما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية لبعض ليالي شهر ربيع الاول التي يقال لها ليلة المولد أو بعض ليالي رجب أو ثامن عشر ذي الحجة أو أول جمعة من رجب أو ثامن شوال الذي تسميه الجهال عيد الابرار فانها من البدع التي لم يستحسنها السلف ولم يفعلوها » اهـ

وقل عليه الرحمة في فتوى أخرى له في آخرها ما مثاله : « فاما الاجتماع في عمل المولد على غناء ورقص ونحو ذلك واتخاذ عبادة فلا يرتاب أحد من أهل العلم والایمان ان هذا من المنكرات التي ينهى عنها ولا يستحب ذلك الا جاهل أو زنديق . واما الاجتماع على قراءة وذكر فضائل النبي ﷺ فهذا من فعله قصداً لتمظيمه ومحبتة فانه يشاب على قصده الحسن ونيتة لفعل الخير . انتهى

وقد ذكرت في خاتمة (الشذرة) التي جمعها في السيرة المحمدية^(١) اصل قصة المولد ولزوم نقد آثارها والتحذير من البدع في مجامع تلاوتها وتاريخ من ابتدع الاحتفال بالمولد ، فليراجعها من شاء

— ٦ —

﴿ التحلق لحديث الدنيا في المسجد ﴾

قل الامام ابن الحاج : ينهى الناس عما يفعلونه من الخلق والجلوس جماعة في المسجد للحديث في أمر الدنيا وما جرى لفلان وما جرى على فلان . ثم ساق آثاراً كثيرة وقال بعد : انما يجلس في المسجد لما تقدم ذكره من الصلاة والتلاوة والذكر والتفكير أو تدريس العلم بشرط عدم رفع الصوت وعدم التشويش على المصلين والذاكرين . وقد أخرج ابن حبان من حديث ابن مسعود والحاكم من حديث انس وقال صحيح الاسناد ورفعہ : « يأتي علي الناس زمان يحلقون

في مساجدهم وليس هم إلا الدنيا وليس لله فيهم حاجة فلا
تجالسهم»

— ٧ —

﴿ كتابة آيات السلام ليلة آخر اربعاء من صفر الخير ﴾

يجتمع في آخر اربعاء من شهر صفر بين العشائين في بعض
المساجد كثير من العامة ويتحلقون الى كاتب يرقم لهم على أوراق
آيات السلام السبعة على الانبياء كآية : سلام على نوح في العالمين . الخ
ثم يضعونها في الاواني ويشربون من ماءها ويعتقدون أن سر كتابتها
في هذا الوقت ثم يتهادونها الى البيوت . ولا أدري من أين سرت لهم
هذه العادة التي لا سلف لهم بها الا مشيخة التأمم . وبديهي ان اعتماد
ذلك واعتقاده يجر الى التشاؤم والتطير بتلك الليلة والمسامون براء من
الطيرة كما قال ابن حجر . ونظير هذا تشاؤم العامة في دمشق من عيادة
المريض يوم الاربعاء وتطيرهم منه فلا يمكن للعامة ولا للخاصة عيادة
المريض يوم الاربعاء ولا لذوي قرباه . والظاهر أن مستندهم حديث
« يوم الاربعاء يوم نحس مستمر » قال الصاغاني موضوع : وكذا قال

ابن الجوزي

قال السخاوي: وفي فضيلة الاربعاء والتنفير منه أحاديث كلها
واهية : ومن خرافاتهم قولهم : من عاد مريضاً يوم الاربعاء زاره
يوم الخميس . يعمنون زيارته في المقبرة . اللهم انا نعوذ بك أن نكون
من الجاهلين

وقد روى الامام أحمد وأصحاب السنن عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ « الطيرة شرك » وروى الطبراني عن عمران بن حصين قال قال رسول الله ﷺ « ليس منا من تطير ولا من تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له » وروى الامام أحمد عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ « من ردت الطيرة عن حاجته فقد أشرك » قالوا يا رسول الله وما كفارة ذلك قال يقول « اللهم لا طير الا طيرك ، ولا خير الا خيرك ، ولا إله غيرك » وروى أبو داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر » ورواه الشيخان مختصراً . وروى ابن جرير عن أبي هريرة مرفوعاً « لا عدوى ولا هامة ولا صفر . خلق الله كل نفس فكتب حياتها ومصيباتها ورزقها »

وفي فتاوى الامام تقي الدين ابن تيمية : مسألة في الايام والليالي مثل أن يقال السفر يكره يوم الاربعاء أو الخميس أو السبت أو يكره التفصيل أو الخياطة أو الغزل في هذه الايام أو يكره الجماع في ليلة من الليالي ويخاف على الولد

الجواب : بعد الحمدلة هذا كله باطل لا أصل له بل الرجل اذا استخار الله وفعل شيئاً مباحاً فليفعله في أى وقت تيسر ولا يكره التفصيل ولا الخياطة ولا الغزل ولا نحو ذلك من الافعال في يوم من الايام ولا يكره الجماع في ليلة من الليالي ولا يوم من الايام والنبي ﷺ قد نهى عن التطير كما ثبت في الصحيح عن معاوية بن الحكم

السامى قال قلت يا رسول الله ان منا قوما يأتون الكهان قال فلا تأتوهم قلت منا قوم يتطيرون قال وذلك شيء يجده احدكم من نفسه فلا يصدنكم فاذا كان قد نهى عن أن تصده الطير عما عزم عليه فكيف بالايام والليالى ولكن يستحب السفر يوم الخميس ويوم السبت ويوم الاثنين من غير نهى عن سائر الايام الا يوم الجمعة اذا كانت الجمعة تفوته بالسفر ففيه نزاع بين العلماء . وأما الصناعات والجماع فلا يكره في شيء من الايام . والله أعلم

ورأيت لابن حجر الهيتمي عليه الرحمة في فتاويه جملة لطيفة قال :
رسخ في أذهان العامة أن أياما مشئومة على المريض اذا عيّد فيها فينبغى لمن علم منه اعتقاد ذلك أن لا يعاد في تلك الايام لأن ذلك يؤذي المريض ويزيد في مرضه لما ركز في عقولهم السخيفة من التشاؤم والطيرة فيحصل بذلك ضرر كبير وقد قال عليه السلام « لا ضرر ولا ضرار » .
وقد تترك السنة لعوارض قوية

فان قلت ينبغى للعالم أن يفعل ذلك اظهاراً للسنة واعلاناً للناس بها ليتذكروا ما في أذهانهم . قلت هذا أوضح ان لم يغلب عليهم الجهل والتشاؤم ورسخ ذلك في أذهانهم حتى يعادوا بسببه العالم ويستسخروا به ويحصل له منهم أذى شديد . أما اذا ترتب عليه ذلك فتركه أولى لان درء المفاسد أولى من جلب المصالح . اهـ

وقد بلغني عن بعض مشايخ اشيائنا انه امر يوم الاربعاء اهله

ان يفتحوا باب داره لميادته وان تدعى المارة لذلك رغبة منه رحمه الله
في امارة هذه البدعة

— ٨ —

﴿ القصاص في المساجد ﴾

قال الغزالي في الاحياء في منكرات المساجد : ومنها كلام
القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدعة ، فالقاص ان كان
يكذب في اخباره فهو فاسق والانكار عليه واجب وكذلك الواعظ
المبتدع . و ذكر رحمه الله في باب الرياء من آفات كبر العالم رغبته في
حفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتمتعهم عليهم ويحفظ
الاحاديث والفاظها وأسانيدها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ، قال فهذا
كابه اخلاق الكبر وآثاره التي يثمرها التميز بالعلم والعمل اه
وقال بعضهم في مقالة انشأها في الوعاظ في المساجد ما لفظه : لو كان
بي من الفصاحة والبلاغة ما اشرح به أحوال الوعاظ الامارين بالمعروف
والناهيين عن المنكر لأثبت لكم بالعجائب التي يتبرأ منها الدين
ولأثبت على براءة الدين منها الادلة الموصلة الى اليقين . ولكني والحمد
لله لا احرم بفضله جل وعلا ان أقضي بعض الواجب على نحو
الاسلام والمسامين بلا ميل مع الشيع والوضاعين مستنداً فيما أقوله
من الادلة والبراهين الى الكتاب القويم وسنة النبي الكريم وهدى
الصحابة والتابعين والامماء الراشدين « من رأى منكم منكراً فليغيره
بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان »

من المعلوم ان وظيفة هؤلاء الوعاظ تنحصر في أمور: (١) إرشاد العامة الى معرفة الله تعالى وما يجب ان يثبت له من صفاته العلية وما يستحيل عليه وما يجوز في حقه تعالى وما للارسل والانبياء من مثل هذا عليهم الصلاة والسلام. (٢) تعليمهم اركان الدين من صلاة وصوم وحج وزكاة وبيان فائدة آدابهم ومنافعها العائدة عليهم في الدنيا والآخرة. (٣) دعوتهم الى الخير وصرفهم عن ناحية الشر وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وحثهم على التمسك بالدين وآدابه وفضائله وما امر الله به ورسوله ﷺ. (٤) تحريضهم على العمل والاجتهاد وتقرير أن لكل نفس ما كسبت وعليها ما اكتسبت « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ». (٥) حضهم على التعاون في المشروعات وتربية البنين والبنات وعلى الدخول الى كل أمر من بابه وطلب كل رغبة من أسبابها وحفظ الامانة واستشعار الاخوة التي هي مصدر حياة الامم ومشرف سعادتها في هذه الدنيا قبل الآخرة « ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ». (٦) تطهير قلوبهم من الاوهام الفاسدة التي قد تجر الى الاعتقادات الباطلة حتى يخضعوا لخالق السموات والارضين ، وقاهر الناس أجمعين ، وحتى يقولوا كما قال ابراهيم عليه السلام « اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفاً وما أنا من المشركين » وكما امر رسول الله ﷺ ان يقول « ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين »

ثم قال : يعلم الله انهم لم يقوموا بهذه الامور الواجبة عليهم ولا كنهم تعلقوا بحبال الابطال والخرافات والاهام والموضوعات فخذوا ينفشون السم في مجالسهم ويدسون الاحاديث الموضوعة في محافلهم ويختلقون على النبي ﷺ على حسب ما تسول لهم انفسهم ويركبون الاسانيد الملققة ثم ينسبون لسيد الخلائق كل ما هو بعيد عن الحقائق ويبالغون في التحذير والترغيب ويطنبون ويسهلون ويشددون كما يشاءون

ثم قال : يا اهل الوعظ ألقم الكذب على النبي سيد المرسلين . وادعيتم أن هذا هو الحق واليقين . وهو الاثم المبين . والمحرم باجماع المسلمين . قال ﷺ « من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » وقال الامام النووي في شرح مسلم بتحريم رواية الاحاديث الموضوعة على من عرفها أو غلب على ظنه وضعها فمن روى حديثا علم وضعه أو ظن وضعه فهو مندرج في الوعيد ولا فرق في تحريم الكذب عليه ﷺ بين ما كان في الاحكام وبين ما لا حكم فيه كالترغيب والترهب والمواعظ وغير ذلك من أنواع الكلام فكله حرام من أكبر الكبائر وأقبح القبائح باجماع المسلمين وقد أجمع أهل الحل والعقد على تحريم الكذب على آحاد الناس فكيف بمن قوله شرع وكلامه وحى والكذب عليه كذب على الله تعالى

ثم قال يا اهل الوعظ ناديتم بالتوسل بالصالحين والاولياء الى الله الذي لا يغيب عنه شيء في الأرض ولا في السماء وقتلتم ما هذا كفراً

ان هذا الا توسط بيننا وبين الله تعالى في قضاء حاجتنا وأمورنا والله
جل شأنه قد صرح بان تلك العقيدة من عقائد المشركين وقد نعاها
عليهم في قوله « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم
ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله »

يا أهل الوعظ شاركتكم عبادة الاوثان في اعتقادهم فان هؤلاء
ما كانوا يعبدونها لذاتها بل باعتقاد أنها تقربهم الى الله تعالى « مانعبدكم
الا ليقربونا الى الله زلفى » وقد جاء في سورة الفاتحة التي نقرأها
ونكررها كل يوم في الصلاة « وإياك نستعين » فلا استعانة الا به
جل شأنه

يا أهل الوعظ جاءنا القرآن بان لا يدعى احد مع الله ولا يقصد
أحد سواه فقال « فلا تدعوا مع الله أحداً » وقال « قل هو الله احد
الله الصمد » والصمد هو الذي يقصد في الحاجات ويتوجه اليه
الربوبون في معونتهم على ما يريدون وما يحبون وما يطلبون . والاثبات
بالخبر على هذه الصورة يفيد الحصر كما هو معروف عند اللغويين فلا
صمد سواه

يا أهل الوعظ أرشدنا القرآن الى وجوب القصد الى الله وحده
باصرح عبارة في قوله « واذا سألك عبادي عني فاني قريب اجيب
دعوة الداع اذا دعان » فلا يتوسل اليه تعالى بغيره فان المقصود
بالتوسل على ما زعمون انما هو طالب القرب منه تعالى وقد أخبرنا الله
تعالى انه قريب وهو اصدق التائلين

يا اهل الوعظ جاءتنا الاخبار الصحيحة ان عمر رضى الله عنه حين
ما كان في الاستسقاء قال « انا كنا نتوسل اليك بنبيك ﷺ فتسقيننا
وانا نتوسل اليك بعم نبيك العباس فاسقنا » قال ذلك رضى الله عنه
والعباس بجانبه يدعو الله تعالى ، فاذا كان هذا حال النبيين والصديقين
فكيف بالاولياء والصالحين

يا اهل الوعظ كانكم تظنون ان في ذلك تعظيما لقدرة الصالحين
والأولياء مع ان أفضل التعظيم والاحترام لهم لا يكون الا باختيار
ما اختاروه لانفسهم ولا يكون الا بالاقتداء بهم في اقوالهم وافعالهم
ولا معنى للتوسل بهم الا هذا الاقتداء كما انه لا معنى للتوسل
بالاحياء الا طلب المشاركة في الدعاء كما ورد في الحديث

يا اهل الوعظ أى حالة تدعوكم الى هذا الاعتقاد وبين ايديكم
القرون الثلاثة الاولى لم يكن فيها شيء من هذا التوسل ولا ما يشبهه
بوجه من الوجوه ، وكتب السنة والتاريخ بين ايدينا ناطقة بذلك فكل
ما حدث بعد ذلك فاقبل اوصافه انه بدعة في الدين وكل بدعة ضلالة
وكل ضلالة في النار

يا اهل الوعظ قوموا وانتبهوا وانتظموا في سلك قوله تعالى
« ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن
المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من
بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم . يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم

فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي
 رحمة الله هم فيها خالدون » نقل هذه المقالة المؤيد في مصر عدد ٤٣٩٧
 في ٧ شعبان سنة ١٣٢٢ لاحد علماء الازهر

الفصل الثاني

في

« القراءة والقراء وغير ذلك »

(١)

﴿ اللفظ وقت القراءة ﴾

جاء في الدرّ وحواشيه . يجب الاستماع للقراءة مطاقاً في الصلاة
 وخارجها لان الآية يعني قوله تعالى « واذا قرأ القرآن فاستمعوا له
 وانصتوا لعلكم ترحمون » وان كانت واردة في — الصلاة فالعبرة
 لعموم اللفظ لا لخصوص السبب . وفي شرح المنية يجب على القارئ
 احترام القرآن بان لا يقرأه في الاسواق ومواضع الاشتغال فاذا قرأه
 فيها كان هو المضيع لحرمة فيكون الاثم عليه دون المشتغلين دفعاً
 للخرج اهـ

— ٢ —

﴿ التشويش بالقراءة على الناس ﴾

في فتاوى الامام تاج الدين الفزاري الدمشقي الشافعي : مسألة

جماعة يقرأون القرآن بأصوات مرتفعة بحيث يشوش على الناس هل يجوز لهم ذلك أم لا . اجاب الشيخ تاج الدين : الاولى ان لا يفعل ذلك والأولى المنع منه . واجاب الشيخ زين الدين الزواوى المالكى لا يحل ذلك وعلى ولى الامر المنع من ذلك . وعن مالك يخرج من المسجد من يفعل ذلك . واجاب الشيخ شمس الدين القاضى الحنبلى قريبا من ذلك . واجاب القاضى الحنفى كذلك اهـ

— ٢ —

﴿ التشويش على القراء في المسجد ﴾

في فتاوى الامام تقي الدين ابن تيمية عليه الرحمة والرضوان : مسألة في مسجد يقرأ فيه القرآن والتلقين بكرة وعشية ثم على باب المسجد شهود يكثرون الكلام ويقع التشويش على القراء فهل يجوز ذلك أم لا . الجواب ليس لاحد ان يؤذى أهل المسجد أهل الصلاة أو القراءة أو الذكر أو الدعاء ونحو ذلك مما بنيت المساجد له فليس لاحد ان يفعل في المسجد ولا على بابه قريبا منه ما يشوش على هؤلاء بل قد خرج النبي ﷺ على أصحابه وهم يصاون ويجهرون بالقراءة فقال « أيها الناس كلكم يناجي ربه فلا يجهر بعضهم على بعض بالقراءة » فإذا كان قد نهى المصلي ان يجهر على المصلي فكيف بغيره ومن فعل ما يشوش به على أهل المسجد أو فعل ما يفضي الى ذلك منع من ذلك والله أعلم

﴿ المعرضون عن مجالس العلم بالمسجد ﴾

يرغب كثير من أغبياء العامة وهم في المساجد عن الجلوس في حلقة عالم يلقي الحكم والفوائد والنصائح ويتحلقون لأنفسهم على قتل الوقت بالمغو وهؤلاء قد يشملهم ما رواه البخاري في صحيحه في باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها ، عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد قال فوففا على رسول الله ﷺ ، فاما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها واما الآخر فجلس خلفهم واما الثالث فادبر ذاهبا فلما فرغ رسول الله ﷺ قال ألا أخبركم عن النذر الثلاثة أما أحدهم فأوى إلى الله تعالى فأواه الله إليه واما الآخر فاستحميا فاستحميا الله منه واما الآخر فأعرض فأعرض الله عنه

قال في فتح الباري : فيه استجاب التعليل في مجالس العلم وفيه استجاب الأدب في مجالس العلم وفضل سد خلل الحلقة وفيه الثناء على من زاحم في طنب الظير وفيه جواز الاخبار عن أهل المصاحي واحوالهم لئلا يجر عنها وان ذلك لا يعد من الغيبة وفيه الثناء على المستحى والجلوس حيث ينتهي به المجلس وفضل ملازمة حلق العلم وجلوس العالم في المسجد اهـ

ولا يخفى ان جلوس العالم لبث العلم من اكبر النعم على العامة ،

اذ يجب عليهم السعى لطلب العلم النافع ولو من مكان بعيد . فاذا كان بين اظهرهم يعظمهم ويذكركم وهم عنه معرضون فما اشقاهم وما انكد حظهم من الخير . عهد في القرون الاولى قرون السلف ان يضرب احدهم كبد الابل مسيرة شهر لسماع حديث نبوى يأخذ منه حكمة صالحة فاصبحت الحكم والاحاديث ينادى بها في اكسد الاسواق . اسواق الراغبين عن الحكمة والموعظة الحسنة النهمين على حفظ النفس وأمانيتها فاننا لله وانا اليه راجعون

— ٥ —

﴿ المعرضون عن سماع خطبة العيد ﴾

ما اجهل العامة بمقاصد الدين ، وما اعماهم عن سر التشريع ! تري كثيرا من العامة ينفضون بعد صلاة العيد ويعرضون عن سماع الخطبة مع ان الاستماع لها من تنمة الصلاة بل هو نتيجته لان الخطب هي الواعظ الشفاهى والصلاة واءظها قابى وليست حججهم جهل بعض الخطباء الذين يتسمنون ذروة المنابر وهم في حضيض الجهالة عن فهم ما اقيموا فيه مما كان مرقى الاكابر اكابر العلماء والحكماء ولا عذرهم انهم لا يفقهون كثيرا من الخطب المتداولة ولا انها لا تهديهم الى سنن السكون بل انصرافهم مجرد اعراض تعجلا الى الرجوع الى اللغو واللهو ، مع ان الخطب المعلومة على ما هي عليه مما ذكرنا لا تخلو مما يفيد العامة من الخض على التقوى ، والتمسك بالسبب الاقوى ، وتلاوة آيات كريمة واحاديث عظيمة يكفي لمن ينصت لها ان يخشع

قلبه وينيب لربه . فعلى العاوي ان يتقى الله في هذه المخالفات وان يطلب
نجاته بطلب العلم والفقه في الدين فانه مرقاة النجاة

— ٦ —

﴿ المشتغلون بنوافل العبادة في المساجد ﴾

« مع الجهل وترك محل العلم »

قال السيوطي في كتابه الامر بالاتباع والنهي عن الابتداع :
ومن الادور المحدثه الاشتغال بنوافل العبادة مع الجهل وترك محل
العلم وهذا خطأ يدخل على العبد منه آفات كثيرة مخالفة للشريعة وقد
قال الله لنبيه ﷺ « وقل رب زدني علما » فامره بطلب الزيادة منه
وقال تعالى مخبرا عن موسى في قوله لاخضر عليهما السلام « هل اتبعك
على ان تعالني مما علمت رشدا » هذا مع ما اعطوا من العلم البارع
وما لهم من المدد من الله تعالى امروا بالطلب وسؤال المزيد فان العلم
لانهاية له ، وقل تعالى « فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا
في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » وروى
الترمذي عن أبي امامة رضي الله عنه قال ذكر لرسول الله ﷺ رجلان
احدهما عابد والآخر عالم فقال فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم
وفي الصحيحين عن معاوية قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من
يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال « كلمة الحق ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو احق
بها » وجاء رجل الى سهل بن عبد الله التستري ويده محبرة وكتاب

فقال سهل أحببت ان اكتب كتابا ينفعني الله به فقال اكتب ان استطعت ان تلقى الله وبذلك المحبرة فافعل . وقال سهل أيضاً سمعت الجراح بن عبد الله يقول : ما طريق الى الله عز وجل افضل من العلم فان عدلت عن طريق العلم خطوة تهت في طريق الجهالة اربعين صباحاً . وبالجملة فتعلم العلم فرض والبعد عن العلم والاعمال يقوى سلطان الجهل

— ٧ —

﴿ المسرعون بقراءة القرآن ﴾

يوجد في بعض المساجد من حفظه القرآن من يأوى اليها ويأخذ في التلاوة عن ظهر قلبه سرّاً أو جهرّاً بسرعة زائدة مخالفة لأدب التلاوة وقد نبه على ذلك الامام الغزالي في باب المغرورين من أحيائه قال : وفرقة اخرى اغتروا بقراءة القرآن فيهدون به هذا وورعاً يختمونه في اليوم والليلة مرة ولسان احدهم يجري به وقلبه يتردد في اودية الاماني اذ لا يتفكر في معاني القرآن ينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويتفكر عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار فيه فهو مغرور يظن ان المتصود من انزال القرآن المهمة به مع الغفلة عنه : ومثاله عبد كتب اليه ماله ككتاباً وأشار عليه فيه بالامر والنواهي فلم يصرف عنايته الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما امره به مولاه الا انه مكرر للكتاب بصوته ونغمته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور . نعم تلاوته انما يراد لكيلا ينسى بل لحفظه وحفظه

يراد لمعناه ومعناه يراد للممل به والالتفاف بمعانيه وقد يكون له صوت طيب فهو يقرأه ويلتذ به ويفتر باستلذاذه ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وانما همه لذته في صوته ولو ردد الحانه بشعر أو كلام آخر لالتذ به ذلك الالتذاذ ، فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه فيعرفه ان لذته من كلام الله من حيث نظمه ومعانيه اهـ

— ٨ —

﴿اللاحنون بالقرآن في المسجد﴾

قال الامام النزالي في الاحياء في منكرات المساجد : ومنها قراءة القرآن بالمحن يجب النهي عنه ويجب تلقين الصحيح فان كان المعتكف في المسجد يضييع اكثر اوقاته في امثال ذلك ويشتمل به عن التطوع والذكر فليشتمل به فان هذا افضل له من ذكره وتطوعه لان هذا فرض وهي قرينة تتعدى فائدها فهي افضل من نافلة تقتصر عليه فائدها وان كان ذلك يمنعه عن الوراقة مثلاً أو عن الكسب الذي هو ملتمسته فان كان منه مقدار كفايته لزمه الاشتغال بذلك ولم يجز له ترك الحسبة لطلب زيادة الدنيا وان احتاج الى الكسب لقوت يومه فهو عذر له فيستعمل الوجوب عنه لعجزه

والذي يكثر المحن في القرآن ان كان قادراً على التعلم فامتنع من القراءة قبل التعلم فانه عاص به وان كان لا يطاوعه اللسان فان كان اكثر ما يقرأه لحناً فليتركه وليجتهد في تعلم الفاتحة وتصحيحها وان كان الاكثر صحيحاً وليس يقدر على التسوية فلا بأس له أن يقرأ

ولكن ينبغي ان يخفض به الصوت حتى لا يسمع غيره ولمنعه سرّاً
منه أيضاً وجهه ولكن اذا كان ذلك منتهى قدرته وكان له انس بالقراءة
وحرص عليها فلست ارى به بأساً والله أعلم . ثم قال وقراءة القرآن بين
يدي الوعاظ مع التمديد والالحان على وجه يغير نظم القرآن ويجاوز حد
الترتيل منكر وشديد الكراهة انكره جماعة من السلف اهـ

— ٩ —

﴿ دعاء ليلتي اول السنة وآخرها ﴾

تتقاضى العامة في بعض المساجد ائمتها في قراءة دعاء ليلتي أول
العام وآخره وهو دعاء مخترع لم يؤثر عن النبي ﷺ ولا عن اصحابه ولا
عن التابعين ولم يرو في مسند من المسانيد ولا في كتب الموضوعات
وهو من مخترعات بعض المتشيخين المتفقيرين . والاغرب ان بعض
الخطباء دسه في ديوان خطبه فاضحى من يقرأ ذلك الديوان من المتطفلين
على هذه المنزلة السامية يتبع ماسطر فيه من الخس على قراءته كأنه
مروى في الصحيحين أو احدهما

ومن اعظم الفرى فيه على الله ورسوله قول مخترعه عليه ما يستحق
ان من قرأه يقول الشيطان قد تعبنا معه طول السنة فافسد عملنا في
ساعة . فيالله ما ادهى هذا الخطب في الخطب ، وما أمر هذا التغرير
والتجربة على المعاصي وما الاعجب الا تلقى بعض المتعاملين له بالقبول
واقرارهم عليه لانه دعاء وهو خير ، وقد غفل عما قاله العز بن عبد
السلام فيما نقله الامام ابو شامة ان استعمال الخير ينبغي ان يكون

مشروعاً من النبي ﷺ فإذا علمنا أنه كذب خرج من المشروعية .
انظر تنمة البحث في كتاب الباعث له رحمه الله



الفصل الثالث

في

المؤذنين

— ١ —

﴿ آداب الاذان والاقامة ﴾

يوجد في بعض المساجد اخلال بآدابهما . ولا تخفى اهميتهما في الصلوات وكونهما على قول كثير من الأئمة من فروض الكفايات . لذلك ينبغي تعرف آدابهما ودرسهما ليكون من يريد ان يندرج في سلك المؤذنين والمقيمين على بصيرة في التفقه بهما . وهالك ما جاء في (الاقناع) وشرحه (والدر) وغيرها :

فاما الآداب في الاذان

- (١) ليس ان يكون المؤذن صبيها اي رفيع الصوت لانه ابلغ في الاعلام
- (٢) حسن الصوت لانه ارق لسامعه (٣) امينا اي عدلا لانه مؤتمن يرجع اليه في الصلاة (٤) عالما بالوقت ليتجراه فيؤذن في اوله
- (٥) مرتلا لا ألفاظ الاذان يقف على كل جملة منها بالسكون اذ لم ينقل

عن السلف والخلف انه نطق به الا موقوفا عدا عن التكبيرتين.
 الاوليين كما قال ابن رشد (٦) قائماً على علو لانه ابلغ في الاعلام
 (٧) متطهراً من الحدثين الاصغر والاكبر فيكره اذان جنب واقامة
 محدث (٨) متطهراً من نجاسة بدنه وثوبه (٩) مستقبل القبلة

واما الآداب في الاقامة

(١) يسن ان يحذرهما اي يسرع فيها (٢) ان يقف على كل جملة
 كالاذان (٣) ان يقيم من اذن

— ٢ —

﴿ فروع في الأذان ﴾

(١) يجزئ اذان من مميز (٢) يحرم ان يؤذن غير المؤذن الراتب
 الا باذنه الا ان يخاف خروج وقت التأذين كالامام (٣) لا يجوز التأذين
 بالاذان اي التغني فيه بزيادة حرف او حركة او مدا او غيرها في الاوائل
 والاواخر وكذا بالتطريب وهو تقطيع الصوت وترعيده (٤) يبطل
 الاذان والاقامة فصل^٥ كثير بسكوت او كلام ولو مباحا وقذف وشتم
 (٥) لا يجزئ الاذان قبل الوقت الا الفجر بعد نصف الليل (٦) يسن
 تمهل المؤذن يسيرا قبل الاقامة قدر ما يدرك الملازمون ، وفي البحر
 يمكن بين الاذان والاقامة قدر قراءة اربعين آية (٧) يسن اجابة المؤذن
 بمثل ما يقول الا في الحيلة فيحوقل (٨) يسن قول المؤذن والسماع
 بعد الفراغ من الاذان « اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة

آت تشهداً الوسيطة والفضيلة وابعثه مقاماً شتودا الذي وعده (٩) يحرم خروج من وجبت عليه الصلاة بعد الاذان في الوقت من مسجد بلا عذر او نية رجوع (١٠) قل البجيرى في حواشي الاقناع : ليحذر من أغلاط تبطل الاذان بل يكفر متعمداً بعضها كدباء اكبر وهمزته وهمزة أشهد والفاء الله ومن عدم النطق بهاء الصلاة وغير ذلك ويحرم بالحنه ان ادى لتغير معنى او ايها محذورا هـ

وقال الامام (ابن زروق) في كتابه (عمدة المريد في البدع) في بحث اغلاط المؤذنين : ومنها اسقاط الهاء من الصلاة وكذا اسقاط حاء الفلاح ، وما يدعوهم لهذا الا الجهل وطلب التلحين والتطريب الذي يكاد صاحبه ان يكون به خارجاً عن الاذان في فعله بل هو خارج عنه عند جماعة من العلماء (١١) من البدع وجود اذنين بين يدي الخطيب في بعض الجوامع يقوم احدهما امام المنبر والثاني على السدة العليا يلقن الاول الثاني الفاظ الاذان ياتي الاول بجملة جملة منه سرّاً ثم يجهر بها الثاني وانما كانت بدعة لكون الاذان المشروع بين يدي الخطيب واحداً فاما ان يقف على السدة او بين يديه امام المنبر (١٢) لا ينادى على الجنائزة . واشد منه ما يفعل عند الصلاة على الجنائزة من انشاد الشعر وذكر الاوصاف التي قد يكون اكثرها كذباً بل هو من النياحة انتهى من الاقناع (١٣) التبليغ جماعة بدعة قل الامام ابن الحاج رضي الله عنه : فانها جرّت الى وقوع الخلل في الصلاة فقد يبنون على بعضهم مع زعقاتهم التي تذهب الخشوع

والحضور وتذهب السكينة والوقار (١٤) حديث مسيح العينين بباطن
أعلى السبابتين عند قول المؤذن أشهد أن محمداً رسول الله الخ رواه
الديلمي في (مسند الفردوس) عن أبي بكر رضي الله عنه مرفوعاً
قال ابن طاهر في التذكرة لا يصح . كذا في (الفوائد المجموعة في
الاحاديث الموضوعة)

— ٣ —

﴿الاذان داخل المسجد في المغرب والعشاء مع الاذان في المنائر﴾

رأى بعض أئمة المساجد ان اذان الجمع في منائر المساجد الكبيرة
لا تؤدي به السنة لانه بدعة فكان يأمر بالاذان قبل الاقامة في المغرب
والعشاء ، وليت شعري لم لا يفعله في الظهر والعصر . والذي أرى أن
الاذان انما القصد به الاعلام فاذا احتيج الى مؤذنين في محلة كبيرة فلا
مانع منه والاذان صحيح اذيت به سنة الاعلام . قال في الاقناع فان لم
يحصل الاعلام باذان واحد زيد بقدر الحاجة كل واحد بجانب او
يؤذنون دفعة واحدة بمكان واحد اهـ . نعم بناء بعضهم على صوت من
سمعه وترك ما فاتة وتأذين بعضهم من نصف الكلمة وتقطيع لفظ
الجلالة جهل بالاداء من فاعله وهذا ملاحظ من كرهه كابن الحاج فحق
المؤذن أن يتعلم السنة أو ينبيهه من سمعه وحينئذ فلا حاجة الى هذا
المؤذن قبل المغرب والعشاء بل الاولى ان ينتظر الفراغ من الاذان
على المنارة ثم يقام للصلاة . وقد نقل الامام ابن الحاج في المدخل

كراهة الاذان في جوف المسجد من وجوه (أحدها) انه لم يكن من فعل من مضى ممن يقتدى بهم (ثانيا) ان الاذان انما هو لنداء الناس ليأتوا المسجد ومن كان فيه لا يصح نداؤه لانه تحصيل حاصل ومن كان في بيته لا يسمعه (وثالثها) قد يكون في الاذان تشويش على متنفل أو ذاكر قال : ثم ان هذه البدعة جرت الى بدع آخر . الا ترى أنهم لما أحدثوا الاذان في المسجد اقتدى العوام بهم فصار كل من خطر له ان يؤذن قام وأذن في موضعه

— ٤ —

﴿الزيادة على الاذان المشروع وبدعة التنعيم﴾

قال في شرح العمدة من كتب الحنابلة : يكره قول المؤذن قبل الاذان « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً » الآية . وكذلك ان وصله بعد بذكر لانه محدث ويكره قوله قبل الاقامة « اللهم صل على محمد » ونحو ذلك من المحدثات . وفي الاقناع وشرحه من كتبهم ايضاً : وما سوى التأذين قبل الفجر من التسبيح والنشيد ورفع الصوت بالدعاء ونحو ذلك في المآذن فليس بمسنون . وما أحد من العلماء قال انه يستحب بل هو من جملة البدع المكروهة لانه لم يكن في عهده عليه السلام ولا عهد اصحابه وليس له أصل فيما كان على عهد ثم يرد اليه فليس لاحد أن يأمر به ولا ينكر على من تركه ولا يعلق استحقاق الرزق به لانه اعانة على بدعة ولا يلزم فعله ولو شرطه واقف لمخالفته السنة . وقال عبد الرحمن

ابن الجوزي في كتاب تلبيس ابليس وقد رأيت من يقوم بالليل كثير على المنارة فيحفظ ويذكر ويقرأ سورة من القرآن بصوت مرتفع فيمنع الناس من نومهم ويخلط على المتعبدين قراءتهم وكل ذلك من المنكرات . وقال (ابن الحاج) رحمه الله تعالى في المدخل : وينهى المؤذنون عما أحدثوه من التسييح بالليل ، وإن كان ذكر الله تعالى حسناً سرّاً وعلناً ، لكن في المواضع التي تركها الشارع صلوات الله عليه وسلامه ولم يعين فيها شيئاً معلوماً . ثم قال : وهذا ضد ما شرع الاذان له لأن الاذان إنما شرع لأعلام الناس بالوقت . وقال أيضاً : وينهى المؤذنون أيضاً عما أحدثوه من التذكار يوم الجمعة لأن النبي ﷺ لم يفعله ولا أمر به ولا فعله أحد بعده من السلف الماضين رضي الله عنهم بل هو قريب العهد بالحدوث أحدثه بعض الأمراء وهو الذي أحدث التنغي بالاذان وأطال في ذلك . وقال الامام ابن حجر في فتاويه قد أحدث المؤذنون الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ عقب الاذان . ثم ساق حديث تاريخ حدوث ذلك وذكر بعد ذلك أن الكيفية التي يفعلونها بدعة . وذكر المؤرخون في حوادث سنة ٢٥٣ أن أرجوز صاحب شرطة مزاحم بن خاقان أمر بالاذان في يوم الجمعة في مؤخر المسجد كما أمر أهل الخلق بالتحول إلى القبلة قبل إقامة الصلاة ومنع من الجهر بالبسلة . انتهى

أقول : ونحو هذا ما يوجد في بعض الجوامع من بدعة تسمى في عرف الناس « التنعيم » ومعناه قول نعم وهي كلمة يقولها بعض المؤذنين

قبل دخول وقت العصر خاصة بنحو نصف ساعة اما في منارة المسجد أو في صحنه ويصرخ بها بصوت جهورى ويمد المين مدأ طويلا يربو على المد الثقيل باضعاف اضعافه اذ لا يزال يمد صوته حتى ينقطع نفسه. ويقصد مبتدع هذه البدعة تذكير الغافل عن صلاة الظهر بقرب دخول وقت العصر ليأخذ بفعلها. وقد تسبب عن هذه العادة عدا عن كونها بدعة أن يؤخر كثير من الناس صلاة الظهر الى سماع هذا التنعيم وقد أبطلت من بعض الجوامع والحمد لله ولم تزل في غيره ولا حول ولا قوة الا بالله

— ٥ —

﴿ ايقاع الاذان الثاني قبل الفجر في رمضان تعجيلا للسجود ﴾

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في فتح الباري « في باب تعجيل الافطار » من البخاري ما مثاله : من البدع المنكرة ما احدث في هذا الزمان من ايقاع الاذان الثاني قبل الفجر بنحو ثلث ساعة في رمضان واطفاء المصابيح التي جعلت علامة لتحريم الاكل والشرب على من يريد الصيام زعموا ممن احدثه انه للاحتياط في العبادة ولا يعلم بذلك الا آحاد الناس وقد جرهم ذلك الى أن صاروا لا يؤذنون الا بعد الغروب بدرجة لتمكين الوقت زعموا فأخروا الفطور وعجلوا السجود وخالفوا السنة فلذلك قلّ عنهم الخير وكثر فيهم الشر والله المستعان . اهقلت ومثله في دمشق تمطيط أذان السجود وترعيد الصوت فيه بنغمة خاصة واطالة السكوت بين كل جملة من جمل الاذان اطالة زائدة وذلك

لأن المؤذن يبقى في أذانه نصف ساعة فيضطر الى تمضية الحصة المذكورة بتمطيط الكلمات وإطالة السكّنات. وأما قلنا ان هذا هو الاذان الثاني لان الاول يسمى عند الشاميين بالمراسلة بضم الميم وفتح السين. نعم لو قلنا ان أذان السحور الآن الذي تقدم هو أذان الفجر الاول وجوزناه لما ورد من أن للفجر أذاناً أول قبل دخول وقته وثانياً عند دخول وقته لكان ينبغي أيضاً اجتناب التتمطيط فيه لما قدمنا ولا يخفى انه حيث جرت العادة الآن بتنبيه الناس وإيقاظهم للسحور أولاً بطبل المسحر وطرقه الابواب في الحارات والازقة في آخر الليل وثانياً بضرب مدفعين في الولايات أو بندقيتين في الاقضية الاول لتناول الطعام والثاني للتبهيء للامساك عن الطعام والشراب فاللازم ترك هذا الاذان الاول رأساً اكتفاء بما مر والصعود الى المنارة اذا دخل الفجر الصادق كما رأيت ذلك في بعلبك فانه يؤذن المؤذن في فجر رمضان وغيره في وقته على المنارة وهذا أقرب الى الحالة السالفة

ثم هناك بدعة اخرى في رمضان وهي أنه اذا فرغ المؤذن من أذان الامساك المتقدم حاله يكون بقى لدخول الفجر ربع ساعة أى خمس عشرة دقيقة فاذا نزل المؤذن من المنارة يقف في آخر صفوف المصلين على مرتقى أو سدة وينشد نثراً ونظماً جملة تسمى « امة خير الانام » لان ذلك مطلبها يحضهم فيها على اغتنام ليالي الصيام ويذكّر فوز من قام بأوقات السحور بنعمة خاصة. وكل هذا من البدع لاسيما

رفع الصوت بهن هؤلأ المتظرين لصلاة الصبح وفيهم المتعبد
والذاكر والمراقب والتألى للقرآن والمساجد التي لا يوجد فيها من يحفظ
« أمة خير الأنام » — لأنه لا يحفظها إلا الماهر من المؤذنين والمتفنين
المتخرج على أساتذة ذاك الفن — ربما يقوم مؤذنها في تلك الحصة
فينشد صلوات نبوية ويشوش بها كتلك . وقد سميت لا بطل ذلك
من جامع السنانية وقبله من جامع العناية كما سميت في الثاني بأبطال
نشد وداع رمضان نسأله تعالى أن يوفق لا بطاله من الجامع الأول
ومن سائر الجوامع بمنه وكرمه . ويأللعجب من تأثير بدع رؤساء
النوبات والأذان الموظفين في جامع بني أمية وفي سائر مساجد الشام
حرصاً على تقليدهم ورغبة في مجاراتهم بحيث أضحي من يحاكيهم أو
يقاربهم ذامرية في رأيه ففسبنا الله . ولا أدري كيف لم يقم أرباب
النفوذ من العلماء قديماً في وجوه هذه البدع فيطمسوها ولعل السيطرة
لم تكن للعلماء الكاملين بل لغيرهم ممن يعد ذلك — لطمس بصيرته —
من شعائر الدين

— ٦ —

﴿ الموقتون في بعض المساجد ﴾

أغلب المساجد الكبيرة في دمشق لها موقتون وظيفتهم على
حسب شروط الواقف أن يراقبوا الوقت مراقبة يقتضيها الحساب
الفني وذلك بمراجعة المزاويل على الحيطان أو البسيط وضبطه ساعته
على ظل قائمة ثم الحضور قبل الوقت إلى المسجد ثم إشارته إلى المؤذنين

وهم في المنارة بالأذان اذا دخل الوقت . هذه حقيقة وظيفتهم ، وقد وجد ذلك قديماً في الجامع الاموي اذ كان من موقتيه رجال لهم المام بفن الفلك فكانوا يراعون ذلك أما الآن فبقى ذلك رسماً وتقليداً لمن مضى فلا ترى في الموقتين من يحسن رسالة الربيع ولا يديرها أو لا يسمع بها وإنما يتقاضى معاشه من نظار المسجد زوراً وظلماً اذ كل من لم يقيم بوظيفته على شرطها فأكله المال سحت باتفاق فقهاء المذاهب بل والاديان السماوية قاطبة لانه تعالى حرم اكل أموال الناس بالباطل على لسان كل نبي . ومثله يقال فيمن عليه وظيفة تدريس يأخذ معاشها وليس هو أهلاً لذلك وإنما تولى التدريس لوجهة أو بوسيلة أو بارت مجرد فان معاشه حرام ، فليحذر من كان كذلك الا باداء وظيفته على شرطها والسعى فيما يخلصه من غضب الله ونقمته

— ٧ —

﴿ اقامة من يؤذن ﴾

اتفق الفقهاء على انه يستحب ان لا يقيم الا المؤذن . والسرف في ذلك ان الاقامة من تنمة الاذان وهي حق للمؤذن وقد يتألم بالافتئات عليه وفي اقامة غيره افتئات عليه . واعظم حكمة في ذلك هو انتظار الجمع حتى يكمل ، والا فلو اقام غير المؤذن قبل نزوله من المنارة لفات كثيراً من الملازمين للمسجد الركعة الاولى او ما بعدها مع الجماعة . على ان في اقامة الغير محبة العجلة . وقد اعتاد كثير من الجوامع في المغرب والعشاء انه بمجرد اذان الجمع في المنارة يؤذن واحد من الحاضرين أمام

المحراب و يقيم كما قدمنا . وفي الجوامع التي لها مؤذن واحد قد لا ينتظر المؤذن بل يقيم غيره . والاحسن والاكمل الذي هو السنة ان ينتظر نزول المؤذن فيقيم هو او واحد من المؤذنين جمعاً ففيه تأنٍ وتمهل . وانتظار للقدام من دكان أو منزل ومحاكاة للسنة النبوية فقد قال عليه الصلاة والسلام « يا بلال اجعل بين اذانك واقامتك نفساً حتى يقضي المتوضيء وضوءه على مهل » . على ان المصلين في الصيف في صحون المساجد التي يؤذن لها جمع تتشوش عليهم الصلاة باصوات المؤذنين . ولا يسمع اكثرهم قراءة الامام وقد يشرع في الركعة الثانية وهم في المنارة افليس الا صوب انتظار فراغ اذانهم ونزولهم ثم اقامة الصلاة والمقدار يسير لو قاسه المحبون للعجلة بالساعات التي يميتونها سدى في آناء الليل وأطراف النهار ولا حول ولا قوة الا بالله

ولقد امتن الله تعالى علينا في هذا العام عام ١٣٢٤ في جامع السنانية حيث سهل رفع اذان الواحد في المغرب والعشاء امام المحراب ورجع فيه الى فراغ المؤذنين من المنارة وبعده يشرع في اقامة الصلاة على هدوء ووفرة جمع . اساله تعالى ان يسهل رفع ماشا كلها من البدع فانه المستعان

— ٨ —

﴿ زيادة لفظ « سيدنا » في ألفاظ اقامة الصلاة ﴾

رأيت أيام رحلتي لبيت المقدس من يقيم الصلاة وأحياناً يؤم بالقوم وكالة فيزيد لفظ « سيدنا » في قوله : اشهد ان سيدنا محمداً رسول

الله . فقلت له بعد الصلاة : لم تزيد هذه اللفظة وهي سيدنا وليست مشروعة في الاقامة . فقال لي : هذه مسألة كان وقع فيها نزاع بين علماء القدس ويافا (يعني أحدثها مبتدع) فمن قائل ينبغي الاقتصار في الفاظ الاذان والاقامة على الوارد دون زيادة ، ومن قائل تستحب زيادة سيدنا عند ذكر النبي صلوات الله عليه قال ثم اشتد النزاع وتراسلوا وكاد الأمر يفضي الى تجاوز الحد والآن نحن نقولها اتباعا لمن استحبهها وقطعا للقاله فيها

فقلت يا أخي ان الفاظ الاذنين مأثورة متعبد بها رويت بالتواتر خلفا عن سلف في كتب الحديث الصحيح والحسان والمسانيد والمعجم ولم يرو أحد قط استحباب هذه الزيادة عن صحابي ولا تابعي بل ولا فقيه من فقهاء الائمة ولا اتباعهم وهذه كتبهم بين ايديكم وانتم تقلدونهم ولا تخالفونهم فما هذا الابتداع وليس تعظيمه صلوات الله عليه بزيادة الفاظ في عبادات مشروعة لم يسنها هو ولم يستحبها خلفاؤه الراشدون مما يرضاه صلوات الله عليه لان لكل مقام مقالا على انه ثبت انه نهى من خاطبه بقوله ياسيدنا وابن سيدنا روى النسائي باسناد جيد عن أنس رضي الله عنه ان ناسا قالوا يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال يا أيها الناس قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب ان ترفعوني فوق منزلي التي انزلني الله عز وجل . وروى ابو داود باسناد جيد عن عبد الله بن الشيخير قال انطلقت في وفد بني عامر الى رسول الله ﷺ فقلنا أنت

سيدنا فقال « السيد الله تبارك وتعالى »

ومع ذلك فلا ترى الحظر من إطلاق ذلك عليه — كما يراه بعض الظاهريين وحكي عن مالك كما في بدائع الفوائد كيف وهو عليه السلام قال عن الحسن « ان ابني هذا سيد » وقال الانصار لما أقبل سعد بن معاذ « قوموا لسيدكم » فهو سيد السادة وخير البشر صلوات الله عليه وأما البحث في الالفاظ المشروعة فلا أعلم أحداً قال باستحبابه . وتذكرت أن للحافظ (ابن حجر) فتوى في زيادة « سيدنا » في الصلاة الابراهيمية استفتى عن استحبابها فيها فكان رأيہ بعد كلام أنه لا يزداد ذلك في الكلمات المأثورة ويجوز أن يزداد في غيرها وقد سقتها في شرحي على الاربعين العجلونية فارجع اليه وبالجملة فلا تباع خير من الابتداع . والا عجب أن بعض المتفقهة يقول ان في ذلك تعظيماً له عليه السلام فلا حسن ذكره فلو قلنا له هل أنت معظم له أكثر أم ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وأبو محذورة وابن ام مكتوم وأضرابهم فبالضرورة يقول هم فنقول له هؤلاء خلفاؤه الراشدون والبقية مؤذنوه وقد روى صيغة أذانهم من لا يحصى من حفاظ السنة فأوجدنا عن أحد لفظ سيدنا فإن لم توجد وإن توجد فلا جرم انك لم تفهم معنى تعظيمه عليه السلام وان تعظيمه إنما هو باتباع ما سنه وطلبه بلا زيادة ولا نقصان لا بالتطرف والانحراف عن سنته واحداث القاب كان نهى عنها لكون الاعاجم كانوا يرغبون فيها ويؤلمون بها رؤساءهم فنعوذ بالله من الجهل بالهدي النبوي ومن عدم التفقه بالدين

— ٩ —

﴿ الزعق بالتأمين عقب الصلوات ﴾

« وترك الورد المأثور بالجهر بالصلاة الكجالية »

في بعض المساجد اذا سلم الامام من فريضة العصر يزعق المؤذن بالتأمين ودعاء بعده . وفي بعضها متى سلم الامام منها اخذ المقتدون في الجهر بالصلاة على النبي ﷺ في ذلك مخالفة للسنة اذ السنة الاشتغال عقب الفريضة بالايراد المأثورة بعدها سرّاً كل مصل لنفسه وكذلك من أدب الدعاء خفض الصوت فيه قال تعالى : « ادعوا ربكم تضرعاً وخفية » وهو لا أعرضوا عن التضرع والخفية بالعياط ^(١) والزعقات واللعب في الخلال . وقد اخرج الترمذي عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ « اذا اتخذ النبيء دولة والامانة مغنما والزكاة مغرماً وتعلم العلم لغير الدين واطاع الرجل امرأته وعق امه وادنى صديقه وأنصى أباه وظهرت الاصوات في المساجد وساد القبيلة فاسدهم وكان زعيم القوم أرذلهم واكرم الرجل مخافة شره وظهرت القينات والمعازف وشربت الخمر ولعن آخر هذه الامة أولها فايرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء وزلزلة وخسفاً ومسخاً وقذفاً وآيات تتابع كنظام لا آىء قطع سلكه فتتابع »

(١) في تاج العروس العياط كسكتاب الصراخ والزعقة . وفي الاساس عيط مد صوته بالصراخ وهو مجاز . وفي القاموس التعيط الجلبة والصياح . اهـ

قالت : ومما أحمده الله عليه وأشكره عدد خلقه أن وفقنا لازالة
منكر الزعق بالتأمين عقب السلام من فريضة العصر في جامع السنانية
وذلك في أواخر جمادى الثانية سنة ١٣٢٤ ، وسببه أن أحد المصلين
اخبرني بعد الفريضة المذكورة يوما بأنه حين ما زعق المبلغ بالتأمين
هوى من القيام الى السجود ونسى الركوع وكانت قبل يوم زارني
بعض علماء بيروت وصلى العصر عندي فافزعه هذا الصراخ بالتأمين
فوجدت حينئذ للكلام مع شيخ المؤذنين بابا . فقلت له : الائمة
والمؤذنون في المسجد ينبغي أن يدفعوا عن أنفسهم الملام فيما ينكره
الشرع عليهم وهم في المسجد بمثابة العضو الواحد فينبغي أن يتعاونوا
على ما فيه صلاح حالهم في وظائفهم ، فهذا الزعق بالتأمين قد شكى
منه غير واحد لان المبلغين أكثرهم شبان وفي أصواتهم قوة زائدة
تشوش على المصلين فان رأيتم ترك هذا التأمين رأسا . فقال لي : أو
نأمرهم بخفض الصوت به . فقلت : يمثلون أيأما ثم يعودون ، فسد
الباب أولى وفيه ثواب كبير . حينئذ امتثل وأمر جماعته بتركه . ثم اني
كلمتهم أيضا وبينت لهم فضل ذلك ثم قلت كل ما يبلغكم انكاره
فيلزمكم تركه اذا كان محدثا استبقاء لقلوب المنكرين وصيانة لانفسكم
عن غيبتكم

- ١٠ -

﴿ الانشاد قبل خطبة الجمعة ﴾

يجتمع المؤذنون على السدة المقابلة للمنبر في الجوامع ويتحلقون للزق بالصلوات النبوية قبل صعود الخطيب وبعد صعوده ينتهون بالصلوات الى ثلاث مرات ويزعقون في قوتهم « وعلى آل محمد » زعقا شديداً . وقد رأيت في بيروت في بعض جوامعها شخصا ينشد مدائح نبوية (يقوم بهذا عن الجمع) ويختار لذلك في الجوامع المهمة من يكون صوته حسنا مطربا وهي وان كانت بدعتها أخف من زعق الجمع إلا أن الكل مما لا حاجة اليه بل السنة هو خروج الامام الى المنبر ولا صوت ولا لفظ حتى اذا استقر قام المؤذن فاذن . ولكن من اين لنا من يكف سيطرة هؤلاء المؤذنين الذين لا يدرون شيئا من الفقه في الدين اصباح المولى احوالنا وهيا لنا من امرنا رشداً

- ١١ -

﴿ تبليغ المؤذنين جماعة ﴾

أسهب الامام ابن الحاج في (المدخل) في محذورات هذه البدعة وذكر منها ان المبلغين يتواكلون في التكبير ويديرونه بينهم ويقطعونه ويوصلونه وذلك ان بعضهم يبتديء به ثم يبتديء الآخر من اثناء الكلمة واصلاً صوته بصوت صاحبه قبل انقطاعه مبالغاً في رفع صوته على سبيل العمد فلا يأتي بالتكبير على وجهه ومنها ما في زعقاتهم من ذهاب الحضور والخشوع أو بعضه .

وذهب السكينة والوقار أيضا

ومنها مفسدة انتظار الامام لهم وذلك ان الامام يكبر للركوع ويركع فيكبرون خلفه ويطولون برفع أصواتهم عليه فاما ان يرفع رأسه من الركوع قبل ان ينتقضى تكبيرهم واما ان ينتظر فراغهم منه فينعكس الامر ويصير الامام تابعا للمأموم

ومنها مخالفة السنة ، ولا يقال قد يكون في الجامع جمع كثير فلا يبلغهم صوت الواحد لانه يقال الواحد الصيت يكفي في ذلك كما يكفي لاسماعهم وهو بين يدي الخطيب يؤذن وخلافه مكابرة . انتهى

- ١٢ -

﴿ التبليغ بالانعام المعروفة ﴾

التبليغ هو التسميع وراء الامام وانما يتسامح به للحاجة من كثرة المصلين أو عدم بلوغ صوت الامام لجميعهم فينشد يسمع واحد بصوته الطبيعي بلا تكليف ولا تمطيط ولا تصور لتلاحين مخصوصة وقد جرى اكثر المبلغين - في الجوامع المهمة بدمشق - على حصر كل نعم لليلة مخصوصة فليلة الاحد نعم الصبا وليلة الاثنين البيات وليلة الثلاثاء النوى وليلة الاربعاء السيكاه وليلة الخميس العراق وليلة الجمعة الحجاز وليلة السبت الراست وعادتهم ان يجعلوا للركعتين الاوليين نعم الراست دائما وللآخرين ما ذكرنا ترتيبه وكذلك للتراويح نعم العراق ولو ترها البيات عادة لا يخل بها منهم الا حديث العهد بصنعهم ومن اخل زجروه ليتروا على نهجهم وهذه عادة غريبة في التبليغ

وفي التكلف لهذه التلاحين مافيه من صرف القلب عن معنى الذكر
المطلوب وجمل التكبير على وزان الموشحات والاغاني التي لكل
منها نغم على حدة ، فانا لله

— ١٣ —

﴿ حكم التبليغ عند عدم الحاجة اليه ﴾

جاء في حواشي الدر : رفع الصوت لغير حاجة كما يكره للامام .
يكره للمبلغ . وفي حاشية ابى السعود ان التبليغ عند عدم الحاجة اليه
بان بلغهم صوت الامام مكروه . وفي السيرة الحلبية : اتفق الائمة
الأربعة على ان التبليغ حينئذ بدعة منكرة أى مكروهة وأما عند
الاحتياج اليه فمستحب . وفي الفتوح ما تعرف من التبليغ جماعة في
زماننا لا يبعد انه مفسد ، وذلك لانهم يبالغون في الصياح زيادة على
حاجة الابلاغ والاشتغال بتحرير النغم اظهاراً للصناعة النغمية لا اقامة
للعادة والصياح ماحق بالكلام . وكم من مسجد يكفيه صوت الامام
ومع ذلك فترى وراءه مبلغا يزعم الناس بصوته ويشوش عليهم بصيحته
وقد رأيت ماقل العلماء فيه فليكن المبلغ على حذر من التعرض لافساد
عبادته من حيث لا يعلم أو يعلم ولا يعمل

— ١٤ —

﴿ جهر المؤذنين بالورد المعلوم وبالا ناشيد ﴾

الكلام في هذا كما تقدم في محذور الزعق اذ الادب خفض
الصوت كما ذكرنا واعظم منه رفع الصوت بالا ناشيد والقصائد كل

ليلة أو كل ليلة الاثنين والجمعة في الجوامع الشهيرة بدمشق ، فانا لله

- ١٥ -

﴿ انشاد الغزليات في المنارات ﴾

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن مؤذن يصعد الى
المأذنة ينشد ابياتا يذكر فيها الفراق والبين وتفرق الاحباب فانكر
عليه رجل قائلاً له لا تفعل هذا وعليك بالتسبيح والتحميد والقصائد
الربانية فهل اصاب أم لا

فاجاب رضى الله عنه نعم ينهي المؤذن ان ينشد الابيات التي
هى من جنس النياحة والمرائي وكذلك ما كان من جنس الغزل فان
في ذلك مفاسد كثيرة وليس ذلك من ذكر الله المشروع المؤذن ولا
بأس بالابيات المتضمنة لذكر الآيات والاعبار والتوبة والاستغفار
والله اعلم

(فائدة) قل السيوطي في الأوائل : ان أول من رقى منارة مصر
للأذان شرحبيل بن عامر المرادي ، وبني ' سامة المنائر للأذان بأمر
معاوية ولم تكن قبل ذلك . وقال ابن سعد بالسند الى أم زيد بن
ثابت : كان يتي أطول بيت حول المسجد فكان بلال يؤذن فوقه من
أول ما أذن الى أن بنى ' رسول الله ﷺ مسجده فكان يؤذن بعد ذلك
على ظهر المسجد وقد رفع له شيء فوق ظهره اهـ

- ١٦ -

﴿ نشيد وداع رمضان ﴾

هذه العادة المستهجنة جارية في أغلب المساجد ، ذلك انه اذا بقي من رمضان خمس ليال أو ثلاث يجتمع المؤذنون والمتطوعون من أصحابهم ، فاذا فرغ الامام من سلام وتر رمضان تركوا قراءة المأثور من التسبيح وأخذوا يتناوبون مقاطيع منظومة في التأسف على انسلاخ رمضان فتمت فرغ أحدهم من نشيد مقطوعة بصوته الجمهوري أخذ رفقاءه بمقطوعة دورية ، باذنين قصارى جهدهم في الصيحة والضراخ بضجيج يصم الآذان ويسمع الصم ، ويساعدهم على ذلك جمهور المصلين بقرار نفهم . ولعلم الناس بأن مثل تلك الليالي هي ليالي الوداع ترى في اطراف المساجد وعلى سنده وأبوابه وداخل صحنه النساء والرجال والشبان والولدان ، بحالة تقشمر لقبحها الأبدان ؛ وقد اشتملت هذه البدعة على عدة منكرات منها رفع الأصوات بالمسجد وهو مكروه كراهة شديدة . ومنها التغني والتطرب في بيوت لم تشيد الا للذكر والعبادة . ومنها كون هذه العادة مجلبة للنساء والاولاد والرعاع الذين لا يحضرون الا بعد انقضاء الصلاة للتفرج والسماع . ومنها كونها داعية لاختلاط النساء بالرجال . ومنها كونها ينشأ عنها هتك حرمة المسجد لالتساخه وتبذله بهؤلاء المتفرجين وكثرة الضوضاء والصياح من اطرافه الى غير ذلك مما لو رآه السلف لضربوا

على أيدي مبتدعيه ، وقاوموا بكل قواهم من أحدث فيه ، والمستعان
بالله نسأله تعالى العون على تغيير هذا الحال بمنه وكرمه

ومن العجائب أن خطيباً في آخر جمعة من رمضان يندب فراقه
كل عام ويتحزن على مضيه ويقول لا أوحش الله منك يا شهر كذا
وكذا ، ويكرر هذه الوحشيات مسجعات مرات عديدة ، ومنها
« لا أوحش الله منك يا شهر المصاييح ، لا أوحش الله منك يا شهر
المفاتيح » فتأمل هداك الله لما آلت إليه الخطب لاسيما خطبة هي آخر
شهر جليل والناس في حاجة الى آداب يتعاملونها لما يستقبلهم من صدقة
الفطر ومواساة الفقراء والمشي على ما ينتجه الصوم من الكمالات
والتطبيع على آثاره الفضلى وتجنب البدع وغير ذلك مما يقتضيه المقام ،
وما اللطف ما جاء في طهارة القلوب : مما يجدر أن تنسج الخطباء على
منواله « يا هذا تهباً لسماع المواعظ بحضور قلبك ينفعك ما تسمع ،
إذا فاض النهر ولم تحفر ساقية الى زرعك لم يصل الماء اليه ، يانائماً
في سفينة الأمن لا تنظر الى سكونك فانما يسار بك وأنت لا تشعر .
عباد الله اشكروا نعمته على ما يسر لكم من صيام رمضان ، وأعطاكم
من نعمة الايمان ، فقد أمركم بذلك من بنوره يهتدي المهتدون ، فقال
تعالى « ولتكمّلوا المدّة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون »
ودّعوا شهر رمضان بكثرة الاستغفار من التقصير ، والعزم على دوام
الجد والتشمير ، فلقد كان للمتقين روضة وانساً ، والغافلين قيداً وحبساً .
كان نزهة الأبرار ، وقيداً للأشرار ، فطوبى لمن حل فيه عقدة

الاصرار ، وحل في روضة التقوى في منزل الافتقار ،

أى شهر قد تولّى يا عباد الله عنا
 حق أن نبكي عليه بدماء لو عقلنا
 كيف لا نبكي لشهر مر بالغفلة عنا
 ثم لا نعلم انا قد قبلنا أو طردنا
 ليت شعري من هو المحروم والمطرود منا
 ومن المقبول ممن صام منا فَيُهِنَّا
 كان هذا الشهر نوراً بيننا يزهر حسنا
 فاجعل اللهم عقبا ه لنا نوراً وحسنا

عليكم بالاجتهاد في باقيه ، وتلافوا تفريطكم ما أمكن تلافيه . فكم
 متأهب ليوم فطره ، يصبح يوم العيد في قبره . قد فارق الاخوان ،
 وعدم الخلان . وكم بين من يرعى رمضان ، كأنه حبيب زار بعد طول
 بعاد ، وطيف خيال الم في طيب سهاد . هجر فيه المنكرات ، ولزم
 الوقوف على قدم الصالحات . وآخر يرى رمضان موسما لنيل الشهوات ،
 ويعد أيامه استعجالا لأوقات البطالات . وآخر قد فرط في الانابة
 والتوبة ، وقصر عن الاجابة والابوة . فازداد بر رمضان وزراً على وزره ،
 واكتسب بأيامه خسراً على خسره ، ولم يتزود منه ليوم حشره

﴿ بيان انه لا عبرة بوجود هذه البدع بالجامع الاموي ﴾
« وسكوت الاقدمين عليها »

يحتاج بعض الناس في دمشق على جواز هذه البدع واستحسانها
بكونها موجودة في جامع بني أمية - وهو شيخ الجوامع في الشام -
وبكون مدرسيه الماضين سكتوا عليها ، وهذه حجة فاشية في كثير
من الامور التي تساهل بها أهل النفوذ الماضون فترى العامي اذا ليم
على بدعة وأرشد الى الصواب فيها يستدل بفعل شيخه أو العالم الفلاني
أو المكان الفلاني أو البلدة الفلانية أو من يعتقدوه ويزعم انها مشروعة
أو حسنة بسبب ذلك . وكل ذلك غرور فان فعل المشايخ أو اقرارهم ليس
بحجة شرعية اذ الشريعة كتاب الله وسنة رسوله المعصوم وما عداه
صلى الله عليه وسلم فليس بمعصوم ولو كان فعل غيره حجة على الدين لوقع
الخلل في الشريعة بسببه فكل من استحسنت شيئاً وفعله أو كره شيئاً
وتركه يقع الاقتداء به فيكون ذلك نسخاً للدين (نعوذ بالله) والشريعة
المطهرة قد عصمت من التغيير والتبديل بنقل التنزيل الكريم والهدي
النبوي القديم . فكل من أتى بشيء مخالف لما أمر به فهو مردود
عليه محجوج بهما وبالجملة فلا يصح الاقتداء باحد كائناً من كان لا بقوله
ولا بفعله ولا بسكوته حيث كان مخالفاً لسنة وان الامكنة لا دخل
لها في تشريع الاحكام وان كانت فاضلة . ثم ما يدرينا ان كان فيها

من العلماء سكنت عنها سهواً أو نسياناً أو عدم تفكير أو خوفاً من
الرعاع أو ضعفاً. نعم أرباب النفوذ لا أرى لهم عذراً لأن الأمر بيدهم
والسنة لديهم ، وأرى أن الجامع الأموي في دمشق ومثله كل جامع
كبير في غيرها من البلاد متى صلح من البدع صلحت سائر الجوامع
فليحرص على اصلاحه زعماءه والله متولي معونتهم برحمته

الباب الرابع

في الدروس الخاصة والعامة

وفيه مباحث

- ١ -

﴿ تعصب بعض المدرسين ﴾

يدرس كثير من العلماء للطلبة في المساجد . وهؤلاء المدرسون
ندر من يكون منهم غير متعصب أولاً ووجد ، ولذلك لا تخلو المساجد
العامة التي يكثر مدرسوها من ثورات علمية تتناقضها الافواه وما
منشؤها الا التعصب وهاك بيان ذلك :

ترى مدرس الفقه الغير الحكيم يقرأ الفروع قراءة مشوبة بهضم
المخالف لمذهبه وعدم رؤياه بشيء وعدم الاعتداد بمذهبه كلياً الا
ظاهراً فلا ينصرف تلامذته من درسه الا وهم ممثلون قوة بها يدافعون
من خالفهم في تلك الفروع وقد يرون بطلان ما عليه غيرهم كما يعلمونه

في كراهة الاقتداء بالمخالف مما يتبرأ منه هدى الساف والائمة المتبوعين عليهم الرحمة والرضوان وكما يحاولون ويحاولون في تقوية دليل ضعيف في مقابلة قوي كمرسل في مقابلة مسند واشار ما رواه غير الشيخين على ما رواه مما يتبرأ منه الانصاف الذي يطرح لديه كل اعتساف ، فالواجب في تعليم الفقه لمن لم يكن له قوة النظر في الدليل ان يلحق تلك الفروع لتلامذته ويغرس في قلوبهم أولا حب الائمة وكل المجتهدين سواء المدونة فروعهم أو غيرهم ثم يبين ان ما يدرسه الآن هو فروع مذهب الامام الفلاني وانه أثر قراءته لانه على مذهبه نشأ مع اعتقاد ان من خالفنا في المذهب على خير وهدى وتقوى وكلهم اتباع دين واحد وكتاب منزل واحد واننا بركة الدين اخوان في اليقين وان الاقتداء بالغير صحيح وتقليده جائز مادما لا نقدر على الاخذ من الاصاين وان البعثة النبوية انما كانت لتأليف القلوب وجمعها لا لتناكرها وتنافرها وهكذا فيمتلئ فؤاد الطالب حبا للائمة ولأتباعهم وللاخذين بأقوالهم فلا تراه بعدها يشن الغارة على مخالفه ولا يحط من كرامة غيره ولا يتخذ الفقه سلاحا يقاتل به عن متبوعه بل تراه فقيها نبيا صالحا كاملا مجالا لساف ولكل من تقلد من أقوالهم أو رأى رأيهم عملاً بما قيل « وكلهم من رسول الله ملتس » وكذلك مدرس الحديث يجب عليه أن تكون طريقته نحو التعصب والقيام على تأليف القلوب وإطالما كان يشتكي العقلاء من قارئ كتب الحديث تعصبا يفضي الى ما هو شر من تعصب الفقيه وذلك لان قارئه

المتصدي لاسمائه اذا كان غير حكيم فقد يقرأ الحديث - وناهيك جلالته في القلوب - ويكون مما يستدل به على حكم مختلف فيه فتراه هناك اذا كان موافقا لمذهبه يأخذ في شرحه وما يستفاد منه ويهش له وتبرق أسارير وجهه وقد يكون في مجلسه مقلد لم ير أمامه هذا الحديث دليلا لما قام لديه والمقلد بعد لم يتنور ففكره بالتبصر التام فتراه علمته كآبة وربما أخذته رعدة تألماً من ان يحتاج على مذهبه او يضعف دليله ، واذا كان في المجلس عدد وهم مختلفون في المذهب ومقلدون على ما شرحنا فلا تسمع الا صيحات ومناقشات وتمحلات واعتسافات مدافعة عن المذهب ، وقد يكون الشيخ مع أحد الفريقين ، فترى الحديث المصان ، كانه اكرة بين أيدي صبيان ، مما تنفطر له أفئدة العقلاء . فالطريقة العليا في رفع هذا الخلاف ، وجذب الافئدة الى الائتلاف هو أن يكون الشيخ متهيئا في مجلسه ، وقورا في قراءته ، حكيما في اسلوبه ، فاذا ورد عليه حديث يعلم أن من الائمة من تمسك بغيره وتوابع عليه ان يقول دل هذا الحديث على كذا وبه اخذ الامام فلان عليه الرحمة وقد تمسك غيره بحديث آخر اما لانه لم يبلغه أو بلغه ورأى غيره اقوى من هذا فان انظار الائمة دقيقة وليس الاخذ بالصحيح بمجرد كونه روي في الصحاح فقط بل لابد للاحتجاج به من شروط أخرى معروفة في الاصول

ومعلوم أن الائمة قصدتهم حماية الدين النبوى وحفظه والرغبة في

التمسك به لا الحيادة عن سبيله حاشا فحينئذ من تمسك بما قرأناه الآن فهو على هدى وبينة ومن تمسك بغيره فهو على هدى وبينة . ثم يقول لهم : بقى ان التراجيح دقيقة فقد يرجح امام مالم يرجحه الآخر لاختلاف مشاربهم وحينئذ فلا ملام ، على امام . نعم قد يؤسف لمن يرى قوة احد المأخذين ويتمسك في التأويل لمجرد التقليد فحق العاقل الذي منح هذه المنحة العظمى منحة العقل منحة نور الفهم والتمييز ان ينظر كما نظروا ويفحص كما فحصوا ، فاذا تبين له قوة دليل اعتنقه لكونه الحق لا تحزباً لفلان بل وقوفاً مع الاقوى فان الرجال تعرف بالحق لا الحق بالرجال . وهكذا يرشدكم بلطف ويجمع قلوبهم على الحب ويأخذ بأيديهم الى النظر الصحيح ، اما من يبقى على تعصبيه وتحزبه بلا تأويل صحيح ولا ارشاد ولا رغبة في الصحيح والقوي او اهتمام باعمال الفكر في ذلك فيحرم عليه قراءة الحديث حرمة لا يرتاب فيها احد لانه يكون عرض كلام الرسول صاوات الله عليه لتمزيق حواشيه والتلاعب فيه ، ومثاله مثال من عرض سلامة على راغب عنها ، ومعلوم ما في ذلك

بقى شيء آخر في مدرّس الحديث وهو أن يكون ممن يقرأ الصحيحين ويكون روى في غيرها رواية تخالف ما فيهما فتراه يأخذ في الجمع بينهما مع ان الرواية الاخرى ماهي على شرط الصحيح ولا يحتاج الى النظر فيها فضلاً عن الجمع وقد تكون الاخرى ضعيفة أو منكرة لا مورد يعامها الراسخون فاي حاجة لذكرها والتفصي عنها

وقد يقال ان الشراح ذكروها ولا يخفى ان ليس كل ما ذكره الشراح بالواجب اتباعه والمشي عليه فالمتصدي اذ لم يضم الى الفقه علوم اخرى من تاريخ وطب واصول وحكمة وذوق لسر التشريع والا فلا تراه الا يخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء

هذا تعصب مدرسي العلوم النقلية ولا يقل عنه تعصب مدرسي العلوم العقلية ، فكثيراً ما ترى من يتعصب في النحو للبصريين ويرد ماراه الكوفيون وان وضحت شواهدهم مع أن هذا خلاف الانصاف فالحكيم هو المتبع للشاهد العربي والمتبري من تكلف تأويله وما ألطف ما قال ابو حيان : ما تعبدنا الله باتباع مذهب البصريين ولا الكوفيين ولكن بالدليل القوي . او كلاما هذا معناه . وهكذا قاريء الاصول فقد يتحزب لما في الكتاب مما صححه مؤلفه أو ضعفه بدون نظر وتأمل وكله خلاف الحكمة فالواجب على المدرس النظر الصحيح والبحث بالعقل والحكمة من غير لوم أو حط من كرامة وتدريب صحبه على ذلك وغرس الود والحب في قلوبهم وتدعيم ذلك بتقوى الله تعالى والانابة اليه والتوكل في كل حال عليه

— ٢ —

﴿ تساهل بعض المدرسين الدروس العامة ﴾

للتدريس العام اهمية عظيمة في القيام على تثقيف العقول وتهذيب الاخلاق لذلك يحتاج المتصدي للقيام بواجبه أن يكون حكيما واسع الاطلاع وقافا على الفروع المختلف فيها ناهجا منهج التيسير المعروف

من الاصول الصحيحة وبقدر تمكنه من ذلك ووفور عقله بقدر أخذه
 بيد الناس الى الصواب وهدايتهم الى السنن القويم فمن أثم واجباته
 أن ينتقى من الكتب التي يقرأها عليهم ما يجمع بين العبادات
 والمعاملات والاخلاق جمعاً مجرداً عن شوائب الواهيات والضمايف
 والخرافيات والمسائل الفرضيات والغرائب الفضوليات والتي بطلت
 ببطلان صفة الزمان أو المكان وذلك لان رواية الاحاديث الضعيفة
 كما ذكره الامام مسلم في مقدمة صحيحه محظورة وأن راويها غاش
 آثم، وفي محكم الكتاب وصحاح السنة كفاية عن تقحم أبواب
 الواهيات من الآثار والنقول على الرسول الاكرم صلوات الله عليه
 وليس الدين في حاجة اليها لا كماله ولا لاترغيب ولا لالترهيب كما زعمه
 الوضاعون عليهم ما يستحقون فان أصل الكتاب الكريم لم يفرط
 فيه من شيء كما نطقت بذلك آيات ذكره الحكيم، وقد صرح أئمة
 المصطاح بانه لا يجوز في الحديث الضعيف أن يقال قال رسول الله
 ﷺ

وأما الخرافيات وهي كل حكاية لا يقبلها العقل السليم وينبذها
 العلم الصحيح فلا يجوز قصها على العامة لا لترويح النفس ولا للاغراب
 فضلاً عن الاعتقاد بصحتها وربما يعتذر بعضهم بأنها مروية في كتاب
 كذا ولا يخفى عليك أنه ليس كل ما دون مما يسوغ ذكره وليس
 كل تأليف متممناً للصحيح من الانباء فقد حشيت التفاسير وكتب
 السير وأسفار الوعظ والرقائق وكثير من الشروح والخواشي من

الاقاصيص الموضوعة والحكايات المفققة والمسائل المولدات مالا يحصىه
قلم كاتب . فالواجب اذن على المتصدي للتدريس أن يعرض عنها
جانبا ويهذب درسه للصحيح من الاصول والمهم من الفروع والا فانه
يكون جنى على الدين جناية لا تغتفر^(١)

وأما المسائل الفرضيات فالوقت أثمن من أن يصرف فيها ولا
فائدة فيها عاجلة ولا آجلة وليس توليدها من سعة العلم كما يتوهمه
الاغرار بل هي شين في وجنة العلم انما سعة العلم بالوقوف على اصول
الدين وأسراره ودقائق ما تشير اليه الآيات القرآنية التي لا تنتهي
فوائدها والتي ينبغي صرف العمر في اجتناء ثمراتها واعمال الفكر
في جواهرها ودررها

واما الفضوليات اعنى سوق مسألة من فن وضمها الى فن لا

(١) في كتاب (مختصر الفوائد المكية) لاسيد علوي السقاف ذكر في
خاتمها التنبيه على بعض الكتب وأحاديث وحكايات لا ينبغي الاشتغال
بها نقلا عن (المشرع الروي) : ويمنع في المسجد ما ذكره المؤرخون من
قصص الانبياء كفتوح الشام للواقدي فان غالبه موضوع او مأخوذ ممن
لا يوثق به (ثم قال السقاف) ومن ذلك تعلم حرمة قراءة نزهة المجالس ونحوها
مما اختلط الباطل فيه بغيره حيث لا يميز لان الامام برهان الدين محدث
دمشق شنع على قارئها خصوصا في مجامع الناس وقدم جملة من احاديثها للجلال
السيوطي يستفتيه فيها فاجابه بان فيها احاديث واردة بعضها مقبول وبعضها
فيه مقال وعددها أربعين حديثا ثم قال وما عدا ذلك من الاحاديث المستول
عنها فمقطوع ببطالانه اهـ

مناسبة لها ولا يقتضيها المقام فكذلك مما ينبغي تهذيب الفن والدرس منها كي لا تختلط المواضيع ولقد كان يشكو الي كثير ممن يحضر ببعض دروس الحشوية ويراه يخوض في مسائل هندسية واقيسة منطقية وسرد عبارات فلسفية مما لا يعود على العامة بشيء ما بل ولا العلماء في محفل التدريس العام لانها من الامور التي تحقق في الدروس الخاصة للطلبة في كتبها . نعم ربما كانت الفائدة ان يقال ان هذا المدرس واسع الحفظ يحكي علومًا غريبة او « مايفرق سامعه في بحره » كما تحكيه العامة وهذا هو الرياء المحبط للاعمال نسأله تعالى العافية

وأما المسائل التي بطلت باختلاف الزمان والمكان فهي كثيرة تمر بقاريء كتب القرون المتقدمة مما كان حلية زمانهم أو مكانهم أو علاج عصرهم فكله مما لا يلزم ذكره وانما يشي مع حالة الزمان والمكان اذ القصد الفائدة وأي فائدة في ذكر ما لا يعلم الآن أو يعلم ولا يعمل به افليس من أضاعة الوقت سدى الخوض فيه . وليقس مالم يذكر على ما ذكرناه . وانا لنود لاخواننا المتصدين للارشاد ان لا يكونوا مضغة في أفواه أبناء العصر النباه بما ينتقدون عليهم مما ذكرناه ومن غيره وذلك حفظا لشرف مظهرهم وما اللطف ماروي عن مالك « العالم البصير بزمانه » وفقنا المولى واياهم

— ٣ —

﴿ توسيد التدريس الى غير أهله ﴾

بعلم كل احد ان الذي يناط به التدريس العام والخاص هو المأذون

له في ذلك المشهود له المعروف فضله واثره فثله يوسد اليه التدريس
ليقوم على اخلاق الامة بالتهذيب وينشر بينهم العلم الصحيح والهدى
النبوي والفقه في الدين وتفسير التنزيل واستخراج الفوائد بالافادة
والتعليم وهذا من البديهييات التي لا حاجة للتنبيه عليها لانها من
المغروزة في الفطر والجبيلات ولكن من الاسف أن ينكب الخلف عن
طريقة السلف فكهم تواتر النقل وشاهد الحس افاضل كانوا نجوما في
العلم قادة لافضل تشرق بهم معاهدهم وتؤمهم من الاقاصي طلابهم
ثم إن خلفهم اهلوا هدى سلفهم ونكبوا عن نهجهم وأضحوا يشار
اليهم بالبنان في الجهل وسقم الفهم بل ثم من الدعوى في العلم ما يقصر
عنها مناط الثريا وان كانت في اسفل دركات الثرى هذا بدلا من
الاجتهاد في التحصيل واحياء ربوع العلم الجليل والسعي وراء الاستفادة
والتجافي عن المضاجع للحفاظ والافادة نعم لهم سمر في شراب الشاي
وسماع النشيد ونفخ الناي وامانة الوقت باللغو وحكايات المسخر
واللهو وما نال فلان من الرتب وما أخذ من النياشين وفلان زار
الباشا فقام في حجرة الخدم والبوابين وهكذا فوا اسفاه على معاهد
السلف العلمية التي اخذت بالارث فغدت شبيحا بلا روح ولفظا بلا
معنى فصارت يرث الابن ابيه وان كان اجهل الجاهلين وينصب الارشاد
وان كان افسق الفاسقين . وما السبب الا سيطرة الجهلاء وتسليمهم
مراتب الامر والنهي على جهلهم الفاضح وعوارهم الواضح ومن
ضرورة تقدم هؤلاء تقديمهم امثالهم ويبيعهم دينهم بدنياهم تفريرا للناس

وتمهيداً لا أنفسهم فنتج من ذلك اقضاء الاختيار وامانة ذكرهم ولم يكفهم ذلك فقد يسمعون في الخط من كرامتهم وانتظار الفرص للايقاع بهم فان الله ولا قوة الا بالله

— ٤ —

﴿ عدم جواز توسيد التدريس لغير الاهل ﴾

« وانه لا تصح توليته ولا اعطاؤه الراتب المعلوم »

كتب بعضهم^(١) تحت عنوان « المدرسون وطلبة العلوم » جاء منها : فكم طرأت مسامي شكوى عامة الناس من جهل الذين تصدروا للتدريس والوعظ . ولما كان تأخير الامتحان مما اخر العلم والدين جئت بهذه المقالة انبه افكار الناس وألفت أنظار اللجنة التي ستمين بحسب المادة (١١١) من القانون الاساسي فتخلص المدارس من أيدي غير الكفاء وبديهي ان المدرسين والوعاظ الذين حينما توفي آباؤهم استولوا على وظائف « معاش » التدريس من غير استحقاق واضاعوا آمال الفقراء من الطلبة وجعلوهم يعتقدون ان العلم يزق زقا مثل زق الحمام او ينتقل بطريق الارث بين المخلفات من متاع وعقار ولا يخفى على حملة العلم ان السلف الصالح وقف تلك الوظائف ترغيبا لطلبة العلم والعماء ، فن الاسف والعار العظيم ان نرى بعض الخائنين جعلوها كالملك يتوارثها الابناء بعد الآباء ويتقاسمونها بالقراريط فخرموا بعملهم هذا اولئك المساكين واضطروهم الى ترك تحصيل

العلوم والسعي وراء الرزق في طلب الحياة الدنيا
 فبلدة كدمشق خرج منها ابن عساكر وابن تيمية وابن عابدين
 وكثير من مشاهير العلماء الذين انتشرت علومهم في الآفاق أصبحت
 محرومة من العلم والعلماء بسبب تأخير الامتحان وحصر رواتب العلم
 في عائلات معلومة وقد فات اولئك الظالمين ومن نصب هؤلاء على
 منصات العلم ان الامة ستفقد من رقادها وتطالب بحقوقها وترجع
 الى اقوال الفقهاء المتقدمين فتجد خلاصا من الذين حطوا بقدر الدين
 وكانوا عاراً على الاسلام والمسلمين

فيامدعي العلم زوراً وبهتاناً هل تنازلت عن عرش جهلك ونظرت
 الى حاشية ابن عابدين وصادف نظرك الصحيفة (٣٩٢) من الجزء
 الرابع فرأيت ما جاء بالحرف : « وفي الاشباه : اذا ولي السلطان
 مدرساً ليس بأهل لم تصح توليته لان فعله مقيد بالمصاحبة ولا مصلحة
 في تولية غير الاهل واذا عزل الاهل لم يعزل . وقال وفي معيد النعم
 ومبيد النعم : المدرس اذا لم يكن صالحاً للتدريس لم يحل له تناول
 المعلوم ثم قال وانه اذا مات الامام والمدرس لا يصلح توجيه وظيفته
 على ابنه الصغير اهـ » وقد جوز بعضهم ابقاء ابناء الميت ولو كانوا
 صغاراً على وظائف آبائهم من امامة وخطابة وغير ذلك عرفاً مرضياً لان
 فيه احياء خلف العلماء ومساعدتهم على بذل الجهد في الاشتغال بالعلم
 فقال ابن عابدين رحمه الله « وقيدنا ذلك بما اذا اشتغل الابن بالعلم اما لو
 ركه وكبر وهو جاهل فانه يعزل وتعطى الوظيفة للاهل لفوات العلة اهـ »

افبعد هذا نصبر على جهل الجاهلين و نتركهم في مناصب العلم
 يأخذون الرواتب ويدعون حماية الدين وقد هتكوا حرمة الدين ولذلك
 ادى ان عزل كل جاهل من منصبه ونصب اولى الفضل والعلم مكانهم
 امر لازم وفرض عين على أننا لو نظرنا لما نقله ابن عابدين « اذا لم
 يكن صالحا للتدريس لم يحل له تناول المعلوم » يجب علينا استرداد ما
 اخذه الجاهل بطلا وارجاءه الى وقف المدرسة أو الجامع ليصرف على
 المصلحة العامة

— ٥ —

﴿ تنازل كثير من الاخيار عن وظائفهم بالتوكيل او الاستقالة ﴾
 لا يحصى ما يمر بقاري تراجم الاخيار في اسفار التاريخ من توكيل
 كثير من الموظفين للتدريس او للامامة او تنازلهم عن ذلك لمن هو
 اكفأ او امثل حتى في باب القضاء بل الملك ولا اقدر الآن ان اسبر
 اسمائهم لان ذلك يحوج الى كتاب على حدة الا اني اذكر نموذجاً مما
 اثر عن وجهاء الشاميين واعيانهم من هذه المكارم في القرن الماضي
 لان الحاجة الى تعريف اخواننا الشاميين مكارم سلفهم امس بالمقام
 لان الكتاب مؤلف لهم اولا وبالذات ولغيرهم ثانياً وبالعرض فاقول
 من ذلك تنازل أحد المفتين من بني المرادي في اوائل القرن الماضي
 عن تدريس (كتاب الهداية) في الفقه الحنفي في التكية السلجمانية كل
 خميس من شهرى رجب وشعبان للشيخ المحدث الشهير الشيخ أحمد
 العطار واستعاضة المذكور عن الهداية بقراءة صحيح البخاري لكون

المذكور شافعيًا وقد عُددَ صنيع المفتي هذا من عقله وحكمته لسكون
المذكور كان منقطعاً للقراءة والاقراء

ومن ذلك تنازل السيد محمد المطار - احد اجداد بني الحسيني -
عن تدريس صحيح البخاري تحت قبة النسر لما سمى في توجيهه عليه
الى الشيخ يوسف الشهير بابن شمس وقراءة المذكور عنه بالوكالة الى وفاته
ومن ذلك نزول الوجيه احمد افندي المنيني عن تدريس الحديث
تحت قبة النسر بعد صلاة الجمعة الى العلامة الشيخ سعيد الحلبي وقراءة
المذكور عنه الى وفاته ثم قراءة ابنه الشيخ عبد الله الحلبي بالوكالة عن
ابن صاحب الوظيفة الى ان نفى في حادثة الشام سنة ١٢٢٦ المعروفة
وذلك من نزول أبي السعود افندي المرادي عن وظيفة الفتوى
بدمشق لما وجهت عليه بعد وفاة أبيه حسني أفندي المرادي ورغبته من
والى دمشق اختيار مفت واصرارته على ذلك وإبائه اشد الالباء الى
ان اختير طاهر افندي الآمدي وعين مفتيا للشام

هذا ما نحفظه ونأثره عن اشيائنا وكله مما يشف عن عقل وفضل
بل وراحة نفس من عناء ما قد لا يتفرغ له أو يكون الساخط عليه
فيه أكثر من الراضي . اين هذا من التكالب والتماوت على نقل ما كان
لسلفهم اليهم والسمي وراءه وان كانوا ليسوا له بأهل وكم من منصب
يبيع لصغير وجاهل لنقده فيه من الاصفر الرنان ما ابكم من اولئك كل
لسان . الا ان التاريخ بالمرصاد فهو لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
فرحم الله من عرف قدره ، ولم يتعد طوره

الباب الخامس

وفيه فصلان

الفصل الأول

(فيما يفعلونه للميت في المسجد من البدع والمحدثات وهو أمور)

— ١ —

﴿ نعي الميت في المآذن والنداء للصلاة عليه ﴾

قال الشمس ابن القيم كان من هديه ﷺ ترك نعي الميت بل كان ينهى عنه ويقول هو من عمل الجاهلية . وقد كره حذيفة أن يُعلم به أهله الناس اذا مات وقال أخاف أن يكون من النعي . وقال القاضي أبو الوليد بن رشد رحمه الله في (البيان والتحصيل) : أما النداء بالجنائز في داخل المسجد فلا ينبغي ولا يجوز باتفاق لكرامة رفع الصوت في المسجد فقد كره ذلك حتى في العلم وأما النداء بها على أبواب المسجد فكرهه مالك وراه من النعي المنهي عنه وروى أن رسول الله ﷺ قال « اياكم والنعي فان النعي من عمل الجاهلية » والنعي عندهم أن ينادى في الناس « الا ان فلانا قد مات فاتهموا جنازته » وأما الايدان بها والأعلام من غير نداء فذلك جائز باجماع وقد قال رسول الله ﷺ في المرأة التي توفيت ليلا - وكانت تقم المسجد - « أفلا آذنتوني بها » اهـ

وفي النهاية نهي الميت ينهيه نعيًا ونعيًا إذا أذاع موته واخبر به.
وإذا نذبه

— ٢ —

﴿ رفع الاصوات أمام الميت بالاناشيد ﴾

« حين دخول المسجد وقبلة وبعده »

قال الامام ابن الحاج : ما يفعله القراء والفقراء والمريدون حين
اتيئهم بالميت الى الصلاة عليه في المسجد بدعة ينبغي أن تمنع وهي بدعة
في غير المسجد فكيف بها فيه ولان ذلك يشوش على المتنفل والتالي
والذاكر والمتفكر . والمسجد انما بنى لهؤلاء لا لغيرهم وقد استفتى
الامام النووي رحمه الله فقيل له : هذه القراءة التي يقرأها بعض الجهال
على الجنائز بدمشق بالتعطيط الفاحش والتفني الزائد وادخال حروف
زائدة ونحو ذلك مما هو مشاهد منهم هل هو مذموم أم لا . فاجاب بما
هذا لفظه : هذا منكر ظاهر مذموم فاحش وهو حرام باجماع العلماء
وقد نقل الاجماع فيه الماوردي وغير واحد وعلى ولي الامر وفقه الله
زجرهم عنه وتمزييرهم واستتابتهم ويجب انكاره على كل مكلف تمكن
من انكاره . انتهى . وقرأت ذلك أيضاً في فتاويه وهي عندي

وأما الاذان عند دفنه فقال ابن حجر في فتاويه : هو بدعة اذ لم
يصح فيه شيء ومثله لا يثبت الا بتوقيف ومن زعم أنه سنة عند
نزول الامر قياسا على نذبه في المولود الخافاً لخاتمة الامر بابتدائه فلم
يصب ، وأي جامع بين الامرين ، ومجرد أن ذاك في الابتداء وهذا في

الانتهاء لا يقتضي حاققه به . فضعف القياس ظاهر جلي دفعه بادنى
توجه . اهـ

— ٣ —

﴿ رثاء الميت في المسجد وقراءة نسبه وحسبه ﴾

جاء في (الفصول) من كتب الحنابلة : يحرم النحيب وتعداد
الحاسن والازايا واظهار الجزع لان ذلك يشبه التظلم من الظالم وهو
عدل من الله تعالى . وقال الشيخ تقي الدين : وما هيج المصيبة من
وعظاؤا انشاد شعر فن النياحة . نقله في شرح (الاقناع)

وقال ابن الحاج : ينهى المؤذنون عما أحدثوه من النداء بالالفاظ
التي فيها التزكية والتعظيم لان النبي ﷺ قال « لا تزكوا على الله احدا
والميت مضطر الى الدعاء ، والتزكية ضد ما هو مضطر اليه من الدعاء ،
اذ أنها قد تكون سببا لعذابه أو توبيخه فيقال له : اهكذا كنت ؟
وفي فتاوي ابن حجر : ان المراثي التي تبعث على النوح وتجديد
الحزن - كما يصنعه الشعراء في عظماء الدنيا ، وينشد في المحافل عقب
الموت - فهي نياحة محرمة بلا شك . نقله الاذرعى

وقال ابن عبد السلام : بعض المراثي حرام كالنوح لما فيه من
التبرم بالقضاء الا اذا ذكر مناقب عالم ورع أو صالح لبحث على سلوك
طريقته وحسن الظن به . اهـ

— ٤ —

﴿ تأخير الميـت في المسجد ﴾

وردت السنة بتعجيل الصلاة على الميت ودفنه وان ذلك من اكرامه . قال ابن الحاج : فاذا اريد الصلاة عليه فلا تؤخر لا تقضاء جماعة فريضة ولا جمعة أيضا . وقد كان بعض العلماء ممن كان يحافظ على السنة اذا جاءوا بالميت الى المسجد صلى عليه قبل الخطبة ويأمر أهله أن يخرجوا الى دفنه ويعلمهم أن الجمعة سافطة عنهم ان لم يدركوها بعد دفنه . قال ابن الحاج : فجزاه الله خيراً عن نفسه على محافظته على السنة والتنبيه على البدعة فلو كان العلماء ماشين على ما مشى عليه هذا السيد لانسدت هذه الثامة التي وقعت وهي أن من أحدث شيئاً سككت له عليه فتزايد الامر بذلك فانا لله وانا اليه راجعون

— ٥ —

﴿ الجالوس للتعزية في المسجد ﴾

في الاقناع وشرحه من فقه الحنابلة : وكره الجالوس للتعزية بان يجلس المصاب في مكان ليعزوه أو يجلس المعزي عند المصاب للتعزية لما في ذلك من استدامة الحزن قال احمد في رواية ابي داود : وما يعجبني ان يتعد اولياء الميت في المسجد يعزون اخشى ان يكون تعظيما للموت وقال ابن القيم في زاد المعاد : وكان هديه ﷺ تعزية اهل الميت

ولم يكن من هديه ان يجتمع للعزاء ولا يقرأ له القرآن ولا عند قبره ولا غيره وكل هذا بدعة حادثة مكروهة ، وكان من هديه السكون والرضاء بقضاء الله والحمد لله والاسترجاع

وجزم شارح النية وصاحب البحر والفتح من أئمة الحنفية بكراهتها في المسجد ايضا وقال النووي في الروضة التعزية سنة ويكره الجلوس لها . ومعنى التعزية الامر بالصبر ، والجلوس عليه بوعده الاجر ، والتحذير من الوزر بالجزع ، والدعاء للميت بالمغفرة والمصاب بجبر المصيبة . ثم قال النووي قال صاحب الشامل واما اصلاح اهل الميت طعاما وجمعهم للناس عاينهم فهو بدعة غير مستحب لانه عكس السنة من تهيئة اقارب الميت وجيرانه لاهله طعاما يشبعهم لشفاعهم بما نزل بهم اه وقال ابن الحاج ولا بأس بفعله للصدقة عن الميت للمحتاجين والمضطرين لا للجمع عليه مالم يتخذ ذلك شعاراً يستن به لان افعال القرب افضلها ما كان سرا اه

— ٦ —

﴿ دفن الميت في المسجد او بناء مسجد عليه ﴾

في فتاوى الامام النووي رحمه الله : سئل عن مقبرة مسجلة للمسلمين بنى فيها انسان وجعل فيها محرابا هل يجوز له ذلك وهل يجب هدمه . فاجاب بانه لا يجوز له ذلك ويجب هدمه اه

وقال ابن حنجر في الزواجر : الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعون اتخاذ القبور مساجد وايقاد

السرّج عليها واتخاذها أوثانا والطواف بها واستلامها والصلاة اليها ثم
ساق الأحاديث في ذلك فانظره . وقال ابن القيم في زاد المعاد : ان
الوقف لا يصح على غير بر ولا قرينة كما لم يصح وقف هذا المسجد (١)
وعلى هذا فيهدم المسجد اذا بني على قبر كما ينبش الميت اذا دفن في
المسجد نص على ذلك الامام أحمد وغيره فلا يجتمع في دين الاسلام
مسجد وقبر بل أيهما طراً على الآخر منع منه وكان الحكم للسابق
فلو وضعنا معاً لم يجز ولا يصح هذا الوقف ولا تصح الصلاة في هذا
المسجد لنهي رسول الله ﷺ عن ذلك ولعنه من اتخذ القبر مسجداً
أو أوقد عليه سراجاً . فهذا دين الاسلام الذي بعث به رسوله ونبيه ،
وغرته بين الناس كما ترى . اهـ

والمشار اليه في قوله كما لم يصح وقف هذا المسجد هو مسجد
الضرار في قوله قبل ذلك في فوائد غزوة تبوك « ومنها تحريق امكنة
المعصية التي يعصى الله وسوله فيها وهدمها كما حرق رسول الله ﷺ
مسجد الضرار وامر بهدمه وهو مسجد يصلى فيه ويذكر اسم الله فيه
لما كان بناؤه ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين ومأوى للمنافقين وكل مكان
هذا شأنه فواجب على الامام تعطيله ، اما بهدم او تحريق واما بتغيير
صورته واخراجه عما وضع له واذا كان هذا شأن مسجد الضرار
فشاهد الشرك التي تدعو سدنها الى اتخاذ من فيها اندادا من دون

(١) يعني مسجد الضرار الذي أمر بهدمه صلى الله عليه وسلم لما بناه
المنافقون ضراراً وتفريقاً بين المؤمنين كما سنده عليه

الله احق بذلك واوجب اهـ ماخصاً

— ٧ —

﴿ نعي الامام الشهيد الحسين عليه السلام على المنبر ﴾

« في جمعة عاشوراء »

ماذا يعد العاقل من منكرات بعض الخطباء ، لعمر الحق ان
اللسان ليعجز عن احصاء تلك الكوارث . ومن فظائعها نعي الحسين
عليه السلام في جمعة المحرم على رؤوس الملائكة وذكرى شهادته سنة (٦١)
في كربلاء وسرد ما نزل بالمسامين من مصابه الجلل بما يستدر دمع
المجمعين ويثير في أفئدتهم لواعج الاحزان وكوامن العلل ولا يعود
بادنى فائدة عليهم ومثله مما نهي عنه كما قدمنا وقد سرى لهم هذا الداء
من الرافضة . قال صاحب (المجالس) ان الرافضة تغالوا في حزنهم لهذه
المصيبة واتخذوا يوم عاشوراء مأتما لقتل الحسين رضي الله عنه
فيقيمون فيه العزاء ويجلبون النوح والبكاء ويظهرون الحزن والكآبة
ويقولون ما ليس فيه اصابة اما سمعوا قول النبي ﷺ : لا يحل لامرأة
تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحمد على ميت فوق ثلاث الا على
زوج أربعة اشهر وعشرا . ثم قال وكان الغلاة من الناصبة يكيّدون
الرافضة يوم عاشوراء باظهار الفرح والسرور والسكج ولبس الثياب
الفاخرة وطبخ الاطعمة المنوعة واوردوا فيه حديثا كذبا على رسول
الله ﷺ في احياء ليالته وفيه من صلى ومن اغتسل ومن اکتحل ومن
مرّ يده على رأس يتيم وهو حديث كذب قبح الله من وضعه وافتراه

فلقد تبوأ بيتاً من جهنم يصير مأواه اهـ .

وقد اسهب في تقبيح تينك البدعتين الامام تقي الدين ابن تيمية في منهاج السنة وعبارته ^(١) وصار الشيطان بسبب قتل الحسين رضي الله عنه يحدث للناس بدعتين بدعة الحزن والنوح يوم عاشوراء من اللطم والصراخ والبكاء والعطش وانشاد المراثي وما يفضي اليه ذلك من سب السلف ولعنهم حتى يسب السابقون الاولون وتقرأ اخبار مصرعه التي كثير منها كذب وكان قصد من سن ذلك فتح باب الفتنة والفرقة بين الامة فان هذا ليس واجباً ولا مستحباً باتفاق المسامحين بل احداث الجزع والنياحة للمصائب القديمة من أعظم ما حرمة الله ورسوله وكذلك بدعة السرور والفرح وكانت الكوفة بها قوم من الشيعة المنتصرين للحسين وكان رأسهم المختار بن عبيد الكذاب وقوم من الناصبة المبغضين لعلي رضي الله عنه واولاده ومنهم الحجاج بن يوسف الثقفي وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ انه قال سيكون في ثقيف كذاب ومبير فكان ذلك الشيعي هو الكذاب وهذا الناصبي هو المبير فأحدث أولئك الحزن وحدث هؤلاء السرور ورووا انه من وسع على أهله يوم عاشوراء وسع الله عليه سائر سنته قال حرب الكرماني سألت احمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال لا اصل له ورووا انه من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد ذلك العام ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام فصار قوم يستحبون

يوم عاشوراء الا كتحال والاغتسال والتوسعة على العيال واتخاذ
اطعمة غير معتادة وهذه بدعة اصلها من المتعصبين على الحسين رضي
الله عنه وتلك بدعة اصلها من المتعصبين بالباطل له وكل بدعة ضلالة
ولم يستصحب أحد من الائمة الاربعة وغيرهم لا هذا ولا هذا ولا في
شيء من استحباب ذلك حجة شرعية بل المستحب يوم عاشوراء
الصيام عند جمهور العلماء

ثم قال رحمه الله بعد : ولا ديب ان قتل الحسين من اعظم
الذنوب لكن قتله ليس باعظم من قتل من هو افضل منه من النبيين
والسابقين الاولين ومن قتل في حرب مسيامة وكشهداء أحد والذين
قتلوا ببئر معونة وكقتل عثمان وقتل علي . وذكر رحمه الله قبل : ان
الواجب عند المصائب الصبر والاسترجاع كما يحبه الله ورسوله . قال
ورفع الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه نائحة فامر بضربها فقييل يا امير
المؤمنين انه قد بدا شعرها فقال انه لاحرمة لها انها تنهى عن الصبر
وقد أمر الله به وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه وتفتن الحي وتؤدي
الميت وتبيع عبرتها وتبكي بشجوة غيرها ، انها لا تبكي على ميتكم انما
تبكي على أخذ دراهمكم



الفصل الثاني

في أمور ينبغي التنبيه لها

— ١ —

﴿ ما ينويه المالك في المسجد من النيات الحسنة ﴾

« ليبلغ بها درجات المقرّبين »

قل الامام الغزالي في بيان فضيلة الاعمال المتعلقة بالنية : اعلم ان الاعمال وان انقسمت اقساماً كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر ، وغير ذلك مما لا يتصور احصاؤه ولا استقصاؤه ، فهي ثلاثة اقسام : طاعات ومعاص ومباحات . ثم قال : القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلها . اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فان نوي الرياء صارت معصية واما تضاعف الفضل فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف كل حسنة عشر امثالها كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضائل اعمال المتقين ويبلغ به درجات المقرّبين

اولها ان يعتقد انه بيت الله وان داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعد به رسول الله ﷺ حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله تعالى وحق على المزور اكرام زائره

وثانيها ان ينتظر الصلاة بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى : «ورابطوا»

وثالثها الترهّب بكف السمع والبصر والاعضاء عن الحركات والترددات ، فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهّب وفي حديث : رهبانة امتي القعود في المساجد

ورابعها عكوف الهم على الله ولزوم السر للفسكر في الآخرة ودفع الشواغل الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد

وخامسها التجرد لذكر الله أو لاستماع ذكره وللتذكر به

وسادسها أن يقصد افادة العلم بامر بمعروف ونهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يسيء في صلاته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف ويرشده الى الدين فيكون شريكاً معه في خيره الذي يعلم منه ففتضاعف خيراته

وسابعها أن يستفيد أخاً في الله فان ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد معشش اهل الدين المحبين لله وفي الله

وثامنها أن يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من أن يتعاطى في يد الله ما يقتضي هتك الحرمه وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما « من أدمن الاختلاف الى المسجد رزقه الله احدى سبع خصال : أخا مستفاداً في الله أو رحمة مستنزلة أو عاملاً مستظرفاً أو كلمة تدل على هدى أو تصرفه عن ردى أو يترك الذنوب خشية أو حياء فهذا طريق تكثير النيات ، وقس به سائر الطاعات والمباحات ،

اذما من طاعة الا وتحتمل نيات كثيرة وانما تحضر في قلب العبد المؤمن بقدر جده في طلب الخير و تشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال وتتضاعف الحسنات . انتهى

-- ٢ --

﴿الاتقطاع في المسجد لحظ النفس﴾

قل الامام ابن القيم في اغاثة الالهفان : ومن كيده و خداعه - يعني الشيطان - انه يأمر الرجل بانقطاعه في مسجد أو رباط أو زاوية أو تربة ويحبسه هناك وينهاه عن الخروج ويقول له متى خرجت تبذلت للناس وسقطت من أعينهم وذهبت هيبتك من قلوبهم وربما ترى في طريقك منكراً . ولاعدو في ذلك مقاصد خفية يريدونها منها الكبر واحتقار الناس وحفظ الناموس وقيام الرياسة ومخالطة الناس تذهب ذلك وهو يريد أن يزار ولا يزور ويقصده الناس ولا يقصدهم ويفرح بمجيء الامراء اليه واجتماع الناس عنده وتقبيل يده فيترك من الواجبات والمستحبات والقربات ما يقربه الى الله ويتعوض عنه بما يقرب الناس اليه ، وقد كان رسول الله ﷺ يخرج الى السوق قال بعض الحفاظ ويشترى حاجته ويحملها بنفسه ذكره أبو الفرج ابن الجوزي وغيره ، وكان أبو بكر رضي الله عنه يخرج الى السوق يحمل الشباب فيبيع ويشترى ، ومر عبد الله بن سلام رضي الله عنه وعلى رأسه حزمة حطب فقيل له : ما يحلك على هذا وقد أغناك الله عز وجل ؟ فقال اردت أن ادفع به الكبر فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يدخ

الجنة عبد في قلبه مثقال ذرة من الكبر . وكان أبو هريرة رضي الله عنه يحمل الخطب وغيره من حوائج نفسه وهو أمير على المدينة ويقول : افسحوا لأئمةكم افسحوا لأئمةكم . وخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً وهو خليفة في حاجة له ما شياً فأعيا فأرأى غلاماً على حمار له فقال يا غلام احملني فقد اعيتت فنزل الغلام عن الدابة وقال اركب يا أمير المؤمنين فقال : لا ، اركب انت وانا خلفك . فركب خلف الغلام حتى دخل المدينة والناس يرونه

— ٣ —

﴿ القانمون بسكنى المساجد عن الكسب ﴾

قال الامام الفزالي في باب المغرورين من إحيائه : وفرقة اخرى زهت في المال وقنعت من اللباس والطعام بالادون ومن المسكن بالمساجد وظنت أنها ادركت رتبة الزهادة وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه إما بالعلم أو بالوعظ أو بمجرد الزهد فقد ترك أهون الامرين وباء بأعظم المهلكين فان الجاه أعظم من المال ولو ترك الجاه وأخذ المال كان الى السلامة أقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم معنى الدنيا ولم يدر أن منتهى لذاتها الرياسة وان الراغب فيها لا بد وأن يكون منافقاً وحسوداً ومتكبراً ومرائياً ومتصفاً بجميع خبائث الاخلاق . نعم وقد يترك الرياسة ويؤثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك مغرور اذ يتطاول بذلك على الاغنياء ويحسن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستعقار ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو

لهم ويعجب بعمله ويتصف بحملة من خبائث القلوب وهو لا يدري
وربما يعطي المال فلا يأخذه خيفة من أن يقال بطل زهده ولو قيل له :
انه حلال فخذ في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا من
ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من ألد ابواب الدنيا ويرى
نفسه أنه زاهد في الدنيا وهو مغرور ومع ذلك فربما لا يخلو من توقيف
الاغنياء وتقديمهم على الفقراء والميل الى المرئدين له والمثنين عليه
والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من
الشیطان نعوذ بالله منه . وفي العباد من يشدد على نفسه في اعمال
الجوارح حتى ربما يصلي في اليوم والليلة مثلاً الف ركعة ويحتم القرآن
وهو في جميع ذلك لا يخطر له مراعاة القلب وتفقدته واطمئنه من الرياء
والكبر والمجب وسائر المهلكات فلا يدري أن ذلك مهلك وان علم
فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك توهم انه مغفور له لعمله
الظاهر وانه غير مؤاخذ باحوال القلب وان توهم فيظن أن العبادات
الظاهرة تترجح بها كفة حسناته وهيبات !! وذرة من ذي تقوى
وخلق واحد من اخلاق الاكياس أفضل من أمثال الجبال عملاً
بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور مع سوء خلقه مع الناس وخشونته
وتلوث باطنه عن الرياء وحب الثناء فاذا قيل له : انت من أوتاد الارض
وأولياء الله وأحبابه فرح المغرور بذلك وصدق به وزاده ذلك غروراً
وظن أن تزكية الناس له دليل على كونه مرضياً عند الله ولا يدري أن
ذلك لجهل الناس بخبائث باطنه . انتهى كلامه رحمه الله تعالى

﴿ المعتزلون في المساجد والمدارس وآفات الاعتزال ﴾

خلق الله الإنسان وألهمه النطق والبيان ليكون مفيداً في هذا العمران كاسباً مجداً طول الزمان وقد وجد من لم يفهم الحكمة من خلقه فظن أن الخيرة أن يمود كالوحش لا يألف ولا يؤلف ولا يكلم ولا يكلم يرضى بما يرى إليه أو يتصدق عليه ويرغم أنه على شيء حسن وما هو إلا آفة بني نوعه والوطن

واياك أن تظن من هذا القسم من أثر عنهم العزلة من السلف فذلك منهم لا مرسى سياسي اقتضاه ، أو اجتهاد اداه ، وإن لم يعصم من الخطأ في متحاده. أو لمزاج فطر عليه فكان يغلبه وينقاد قسراً إليه أو اثرية العلم وجمع الفكرة على استنباط المعارف أو نحو ذلك من النيات والأفهام هدى رسول الله صلوات الله عليه وهذه سنته وهذا هدى الخلفاء الراشدين وكل لا تجهل سيرته من منهم اعتزل وكان حاس بيتته راضياً أن يكون كلاً على غيره رافضاً واجباته في امته

وجلي أن يستفاد من المخالطة ما يفوت بالعزلة قال الامام الغزالي عليه الرحمة: انظر الى فوائد المخالطة والدواعي اليها ما هي : هي التعليم والتعلم والنفع والانتفاع والتأديب والتأدب والاستئناس والايئناس ونيل الثواب وانالته في القيام بالحقوق واعتياد التواضع واستفادة التجارب من مشاهدة الاحوال والاعتبار بها . ثم فصلها في احيائه قدس الله سره وأبان في خلال الفائدة السادسة من فوائد المخالطة

غايات بعض المعتزلين من المتصوّلين . وعبارته :

فكم من معتزل في بيته وباعثه الكبر وما نفعه عن المحافل أن لا يوقر أو لا يقدم أو يرى الترفع عن مخالطتهم أرفع لمحله وابقى لطرأوة ذكره بين الناس وقد يعتزل خيفة من أن تظهر مقابحه لو خالط فلا يعتقد فيه الزهد والاشتغال بالعبادة فيتخذ من البيت سترًا على مقابحه ابقاء على اعتقاد الناس في زهده وتعبدده . وعلامة هؤلاء أنهم يحبون أن يزاروا ولا يحبون أن يزوروا ويفرحون بتقرب العوام والساطين اليهم واجتماعهم على بابهم وطرقهم وتقبيلهم ايديهم على سبيل التبرك ولو كان الاشتغال بنفسه هو الذي يبغض اليه الخالطة وزيارة الناس بغض اليه زيارتهم له فاذن من حبس نفسه في البيت ليحسن اعتقادات الناس وأقوالهم فيه فهو في عناء حاضر في الدنيا ولعذاب الآخرة اكبر لو كانوا يعلمون . انتهى كلامه عليه الرحمة

— ه —

﴿ البصراء والمتعففون الذين يألفون المساجد ﴾

كثير من البصراء الحافظون لكتاب الله تعالى يأوون الى المساجد ويتعلقون بها ليدكروا الناس بمآثم ومحضرم تفقدتهم والاحسان اليهم ولكن أكثر الناس عنهم غافلون اذ لا يدعونهم الا في المآثم والمواسم وتلك أوقاتها قليلة لا يكفي ما يعطونه فيها لسد ضرورتهم وحاجاتهم وفيهم من له عيال وأولاد وحاجات مهمة لا تخفى من كراء بيت وما يستتبعه فما أحق الناس بالعناية بهم وبرهم

ويعلم الله اني كلما رأيت بصيراً منهم يكاد قلبي يتفطر أسفاً على حاله
لا سيما اذا رأيتَه يستجدي بالتلاوة فحسبنا الله ونعم الوكيل فأين المياسير
وأيّن أهل الخير وأيّن الذين يذكرون قوله تعالى « لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون » فوارحمتهاء للبرّساء ولا سيما البصرء ، ألم ينظروا الى
البلاد التي يقال بأن عنايتهم تجاوزت الى البصرء فشادوا لهم ملاجئ
لتعليمهم الكتابة والقراءة والصناعة فأين نحن عن الاحاق بهذه الفضائل
ومتى نرى روح الخير والبر دبّت في عروق الذين لا يهتمهم الا ان
يجمعوا ويمنعوا ويتقاطعوا ولا يتواصلوا وبالجملة فالبصير الحافظ للقرآن
الكریم احق بالاحسان من غيره لجمعه بين المسكنة والتعفف وفضيلة
الحفظ ، وهكذا يقال عن خدمة المسجد ومؤذنيه والمنقطعين اليه ،
ومثلهم المتعففون الذين يأوون الى المساجد او الزوايا من ذوي الحسب
او النسب او من هم من ذرية صوفية وصالحين ممن قعد بهم الحفظ
وأضعفهم العجز عن الكسب والتكسب فهو لاء من اجدر الناس
بالاحسان اليهم والتصدق عليهم وان كان عليهم لباس الفنى فان
ذا الفراسة الايمانية يعلم ان لباسهم هذا ينطوي على حاجة ومسكنة
الا ان التعفف والحياء سترها وقد قال تعالى في مثل هؤلاء « وما تنفقوا
من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون . للفقراء الذين احصروا في سبيل
الله لا يستطيعون ضرباً في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف
تعرفهم بسياهم لا يسألون الناس الخافا وما تنفقوا من خير فان الله به
عليم » وقال ^{صلى الله عليه وسلم} ليس المسكين الذي يطوف على الناس فترده الائمة

واللعمتان والتمرة والتمران ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يفنيه
ولا يتفطن له فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس . رواه مالك
والامام أحمد والشيخان عن ابي هريرة . وما أظف قول حافظ
ابراهيم اديب مصر :

أيها المصلحون ضاق بنا العيد	ش ولم تحسنوا عليه القياما
عزّت السلامة الذليلة حتى	بات مسح الحذاء خطبا جساما
وغدا القوت في يد الناس كاليا	قوت حتى نوى الفقير الصياما
يقطع اليوم طاويا ولديه	دون ربح القطار ربح الخزامى
ويخال الرغيف في البعد بدرا	ويظن اللحوم صيدا حراما
ان اصاب الرغيف من بعد كد	صاح من لى بان اصاب الاداما
أيها المصلحون اصلحتم الار	ض وبتم عن النفوس نياما
اصلحوا أنفسا اضر بها الفقر	واحيا بموتها الاثاما
ليس في طوقها الرحيل ولا الجد	ولا ان تواصل الاقداما

الى ان قال :

أيها المصلحون رفقا بقوم	قيد العجز شيخهم والغلاما
واغيشوا من الغلاء نفوسا	قد تمت مع الغلاء الحماما

ومنها :

قد شقينا ونحن كرمنا الله بعصر يكرم الانعاما
وأذكر انى مرة سألتى سلفي عما يعمل به بعض الفقهاء من كفارة
الصلاة وايهاب صرة الدراهم المهيأة لاجلها ^(١) للفقير ثم استيها بها منه ثم

اعطاؤه بعد تكرير ذلك ما تيسر من الدراهم فهل ذلك مأثور وإذا كان غير مأثور أفليس الأولى تركه تحرزا من الابتداع ؟ فاجبته بان هذه الحالة التي تعمل الآن غير مأثورة قطعا وانما اجازها بعض الأئمة قياسا على كفارة الصيام والأيمان والنذور وحيث جرت نفعا للفقراء والصدقة مندوب اليها كان عملها لا بأس به الا ان احتيال الاغنياء بدلالة بعض الفقهاء على ايهاب الضرر المليئة ثم استردادها فيه تحيل على اسقاط حق للفقراء كبير وتلاعب باصل المسئلة وقياسها وجلي ان كل حيلة أدت الى اسقاط واجب فلا تخلص فاعلمها عند الله تعالى كما بينه الفقهاء وبسطه الامام ابن القيم في اغاثة الالهفان . ثم قلت ومع ما هي عليه الآن من التحيل والحيف على الفقير فاني لا اكرهها ولا اقبحها خيفة ان يسد على الفقراء نوع من الصدقة وحاجتهم تضطرهم الى تقبل الصدقة بأي سبب كان مشروعا أو غيره ولا حول ولا قوة الا بالله .

نعم الملام على الاغنياء من استنثارهم بالاموال الطائلة كانها خلقت لهم خاصة ولم يوجب الله عليهم فيها حقوقا وعلى الفقهاء الذين يعلمون الاغنياء تلك الحيل لاسقاط ما وجب عليهم بزعمهم وعلى قادة الامة وسادتها الذين لا يفتكرون فيما يخفف بؤس هؤلاء وفاقتهم فاذا عملوا جميعا على الاصلاح وعم العلم وانتشر في كل الطبقات فلا تلبث تلك البدع أو الامور التي في النفس منها حزازات ان تنقشع غيومها عن البصائر فان الجهل لا يثبت امام العلم والحق يدفع الباطل « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق »

﴿اتخاذ الجوامع خانقاهات﴾

من المعلوم ان الامراء السالفين شادوا للصوفية خانقاهات (تكايا) يقيمون بها اذكارهم واورادهم وكل ما اصطالحوا عليه من الاوضاع والرسوم وقد عد صاحب (الدارس) عدة منها وما اثر عن الامراء انهم رتبوا في المساجد العامة صوفية لاقامة رسومهم ، وذلك لان المساجد المطروقة انما بنيت للصلاة والجمعة والجماعة فلو اقيم بها تلك الرسوم لتشوش على المصلين اداء العبادة وقد يضطرون الى مبارحة ذلك المسجد الى غيره اذا جاء ميعاد الاجتماع للذكر ، فلذا كان من التنظيمات الحسنة ايواؤهم في زوايا وخانقاهات خاصة بهم وباخوانهم وبمن يرغب ان يحضر احتفالهم واوقات مواعيدهم

بيد انه في الازمنة المتأخرة صار بعض المتصوفة يسمى بتوجيه مشيخة عليه في بعض الجوامع العامة ويوهم انه تكية خداعا وتليسا فاذا وجه عليه مشيخة مريديها أخذ في اقامة رسوم طريقته وقد يتفق ذلك في اوقات قدوم مصلين فيجيء المحذور المتقدم . ومن ارباب الطريق من لا يجوز دخول من ليس من طريقته الى حلقة ذكرهم ولا حضوره وهو يراهم ولو على بعد فاذا حضر ميعاد ذكرهم وتأخر في المسجد بعض المصلين أو العاكفين ممن ليس باخوانهم اضطروه الى الخروج اما مشافهة أو بدق حلقة باب حرم المسجد دقا مكررا فيضطر الى الخروج وقد يكون الوقت باردا وقصد ذلك المسكين

ان يستدفع بالمسجد أو يعتمد بالاعتكاف فيه ساعة مثلاً فيخرج متأثراً
متكديراً وان تكن نية بمض الصوفية في ذلك صالحة - وهو الذي
اراه تحسبنا للظن - ولكن لا حاجة الى الولوج في امور متشابهة
والتكاف المخرج منها فالرجوع من هؤلاء الى زوايا خاصة أودع
واتقى وابراً للدين والله ولي المتقين

- ٧ -

﴿ اتخاذ المساجد مكاتب أو مخافر ﴾

يرغب بعض الناس أو يشير باتخاذ بعض مساجد المحلات مكاتب
للأطفال يتعلمون فيها القرآن والكتابة ومبادئ الفنون . ولا يخفى ان
محل الترخيص بذلك اذا هجرت تلك المساجد أو استعويض عنها بغيرها
أو لم يعمرها أحد من جيرانها والا ففي ذلك اخراج لها عن موضوعها
وأما اتخاذها مخافر فذلك مما لا يغتفر ، الا اذا اضطر اليه لعدم وجود
مكان سواه لذلك وحاجة جواره الى الامن بالخبراء ، والا فلا يجوز
قطعا . وطالما ذكر لي عن بعض المساجد انه ارسل للاقامة بها بعض
الشرط للمحافظة على تلك المحلة وان جيران ذلك المسجد قلقوا وضجروا
لحاجتهم اليه ووجود ما يصلح لهم سواه الا انه باجرة والمسجد بدونها
وذكر لي أيضاً من الخزيات والمنكرات فيه من بعض الشرط ما نبجل
كتابنا عن ذكره وهذا مما لا يرضاه شرع ولا عقل . ومثله يقال في
اتخاذ بعض المساجد مجالس للحكومة كالتحقيق على العسكر الذين
بلغوا السن الذي يطالبون فيه ولا يخفى ما في كل ذلك من منع مساجد

الله عن ان يذكر فيها اسمه تعالى والخوض في المحظورات فليحذر
الموفقون عن مثل ذلك وعن المساعدة عليه ، والله المستعان

— ٨ —

﴿ التماوت واطراق الرأس واحناء الظهر في المسجد وغيره ﴾
قال الامام ابو شامة في كتابه الباعث على انكار البدع والحوادث
ومما ابتدع واستعملت قلوب الجهال والعوام بسببه التماوت في المشي
والكلام حتى صار ذلك شعار من يريد ان يظن فيه التنسك والتورع
فليعلم ان الدين خلاف ذلك وهو ما كان عليه النبي ﷺ واصحابه رضي
الله عنهم ثم السلف الصالح في احاديث صفة النبي ﷺ وشماؤه انه كان
اذا مشى تقلم قال ابو عبيد أي كان قوي المشية يرفع رجليه من
الارض رفعا بائنا بقوة

وروى المبرد في كامله ان عائشة رضي الله عنها نظرت الى رجل
متماوت فقالت ما هذا فقالوا أحد القراء - الفقهاء - فنالت قد كان عمر
رضي الله عنه قارئاً فكان اذا مشى اسرع ، واذا قال اسمع ، واذا ضرب
اوجع . قال : ويروى ان عمر رأى رجلاً مظهراً للنسك متماوتاً خفقه
بالدرة وقال لا تمت علينا ديننا املك الله ، وروى الامام احمد عن ابي
الدرداء قال استعينوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال
ان ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع ، وقال المدائني كتب عمر بن
الخطاب رضي الله الى عمرو بن العاص وهو واليه بمصر رفع اليك انك تبكي
بمجلسك فاذا جلست فمكن كسائر الناس ولا تبك . وروى ابن عساكر

عن ابن المبارك قال ما رأيت ابراهيم بن ادهم يظهر تسبيحا ولا شيئا من الخير ولا اكل مع قوم طعاما الا كان آخر من يرفع يديه من الطعام ، وعنه أيضا قال انه ليعجبني من القراء كل طلق ضحك فاما من تلقاه بالبشر ويلقاك بالعبوس كانه يمن عليك بعامه فلا اكثر الله في القراء مثله . قال ابو شامة : وهذه الطلاقة التي أشار اليها هي التي كانت تعرف من حسن اخلاق النبي ﷺ وهي كانت الغالب على اصحابه رضى الله عنهم وسادات المتقدمين من الأئمة الجامعين بين العلم والعمل كسميد بن المسيب امام اهل المدينة وسيد التابعين في وقته مع خشونته المعروفة في امر الله تعالى وكعامر الشعبي من أئمة الكوفة وابن سيرين من أئمة البصرة والاوزاعي من أئمة الشام والليث بن سعد من أئمة مصر وغيرهم رضى الله عنهم قد عرف ذلك من أخبارهم ثم هي طريقة الشافعي رحمه الله تعالى وطريقة من ارتضيناه من مشايخنا الذين عاصرناهم وبالله التوفيق اهـ كلامه

— ٩ —

﴿ جهل بعض أئمة القرى ﴾

كنت في عيد الاضحى عام (١٣٢٣) في احدى قرى الغوطة ، فذهبتا بعد الاشراف لصلاة العيد في مسجدنا وقد منا امامه فصلى واتفق أنه اساء في هيئة الصلاة فانه نسي تكبيرات الركعة الثانية ثم عاد اليها وسجد للسهو والحال انه لا سجود عليه ولا حاجة للعود اليه قال الشافعي في الام : فان نسي التكبير أو بعضه حتى يفتتح القراءة

فقطع القراءة وكبر ثم عاد الى القراءة لم تفسد صلاته ولا أمره اذا
افتتح القراءة أن يقطعها ، ولا اذا فرغ منها أن يكبر ، وأمره أن يكبر
في الثانية تكبيرها لا يزيد عليه لأنه ذكر في موضع اذا مضى الموضع
لم يكن على تاركه قضاؤه في غيره ، كما لا أمره أن يسبح قائماً اذا ترك
التسبيح راكعاً أو ساجداً . قال الشافعي : ولو ترك التكبيرات السبع
والخمس عامداً أو ناسياً لم يكن عليه إعادة . ولا سجود سهو عليه ،
لأنه ذكر لا يفسد تركه الصلاة وأنه ليس عملاً يوجب سجود السهو .
قال الشافعي : فان ترك التكبير ثم ذكره فكبر أحببت أن يعود لقراءة
ثانية وان لم يفعل لم يجب عليه أن يعود ولم تفسد صلاته ، فان نقص
أو زاد ما أمرته من التكبير فلا إعادة ولا سجود للسهو عليه لأنه ذكر
لا يفسد الصلاة . وذكر الشافعي قبل بسنده عن أبي بكر وعمر وعلي
وإبي أيوب وزيد وأبي هريرة جميعاً كبروا في الركعة الأولى سبعاً
وإنما استدللنا بكلام الشافعي لأن أكثر أهالي الغوطة شافعيون فأوردنا
لهم كلام الإمام بحروفه ليكون اوثق لهم وإين
ولا يخفى ما يلزم أئمة القري من الفقه في الدين والتبصر بالسنة
ولعمري أنهم مقصرون ولا عذر لهم والواجب تنبيههم على ذلك ، وإذا
امكن ارسال احد يعلمهم أو الجأؤهم بقوة لينفر بعض منهم للتفقه في
الدين كان متعيناً امتثالاً لأمر الحق سبحانه ، وبالله التوفيق ولا حول
ولا قوة الا بالله

﴿ تقصير اكابر القرى في عمارة مساجدكم ﴾

قلَّ أن يدخل المرء لقرية من القرى الظاهرة عن المدن فيرى مساجدها معتنى بحاجياتها فضلاً عن كلياتها . ترى مسجد القرية متعفن الأرض لا يقي حصره عن العفونة دف خشب مع أن الدفوف إنما تجلب الى المدن من القرى ، تراه لاسجادات فيه ولا بسط لطيفة تقي المصلي برودة أرضه ، تراه غير متقن البناء . تراه مفتقراً الى زيادة التنوير ، ترى بيوت اخليته لا يستطيع قضاء الحاجة فيها الاعراض عن كسحها أو عمل مصرف لقاذوراتها . اذا قيل ما السبب ؟ فالجواب أن السبب إما أكل ريع أوقافه أو إعراض أكابر جيرانه عن الالتفات الى اشادته وتعميره . سألت فقيه الجراكسة بعثان البلقاء عام رحلي الى بيت المقدس من طريقها وقلت له ما بال أغنياء عمان لا يتممون ما نقص جامعهم هذا الفخيم ، وما بالهم لا يزيلون عن أرض برانيه التراب المتراكم حتى يصلوا الى أرضه القديمة وبلاطه العتيق ، وهلا التفتوا الى تشييد منارته ولقد اوشك بنيانها ان يتداعى للسقوط ؟ فقال لي : الاغنياء يعمرّون الدنيا ولا يعمرّون الآخرة . وهكذا يقال في غير عمان ، نعم يوجد في بعض القرى مساجد حسنة البناء كمسجد قرية التل ومسجد دوما ومسجد آخر في قضاء القامون فما أجد ربقية القرى أن تحذو حذوها ، وفق الله الاغنياء والنظار لذلك وبصرهم بالعواقب

- ١١ -

﴿ تنطع من يدخل حافيا المسجد وهو يعمر ﴾

يتفق ان بعض المساجد يستدعى الحال تعميرها واصلاح بنائها
او تجصيصها فيمتلي صحنه بالادوات والاتربة وينتشر الغبار في جوانبه
وارجائه كلها بحيث لا يمكن دخول صحنه الا بالنعل صونا للرجل عن
اذى والجوارب عن اتساخ لاحطاً من كرامة المسجد فان المؤمن
لا يخطر له ذلك على بال فترى حالته بعض المتنطعين او المتغالين يدخل
المسجد حافيا او يهيئ نعلًا لم تلبس لينتعلها اذا دخله وهذا التنطع
والغلو لم تامر به الشريعة السمحة ولا حرجت فيه بل صح في السنة
خلافة اذ كان الصحابة يدخلون بنعالهم الى المسجد النبوي ويصلون بها
وان تنجست يعمون ان طهارتها بدهسها على الارض كما بسط ذلك
ابن القيم في اغاثة اللفان . نعم لا ننكر لزوم صون المساجد عن النعال
الآن اذا فرشت بنفيس الزرابي (السجادات) مما يدعو الى كرامتها
من القمامات والاوساخ ولذا كان موضوع بحثنا في وقت خاص وهو
وقت عمارتها في صحنها

- ١٢ -

﴿ ايلاف مسجد لا اعتقاد فضل فيه غير المساجد الثلاثة ﴾

نقل الامام ابو شامة في كتاب (الباعث) عن محمد بن مسامة قال
لا يؤتى شيء من المساجد يعتقد فيه الفضل بعد المساجد الثلاثة الا
مسجد (قباء) قال وكره ان يعد له يوم بعينه فيؤتى فيه خوفا من البدعة

وان يطول بالناس زمان فيجعل ذلك عيداً يعتمد او فريضة تؤخذ
ولا بأس ان يؤتى كل حين ما لم تجيء فيه بدعة اه وقد صح ان النبي
ﷺ كان يأتي قباء كل سبت ولكن معنى هذا انه كان يزوره في كل
اسبوع وعبر بالسبت عن الاسبوع كما يعبر عنه بالجمعة ونظيره ما في
الصحيحين من حديث انس بن مالك رضي الله عنه في استسقاء النبي
ﷺ يوم الجمعة قال فيه فلا والله مارأينا الشمس سبتاً اه

— ١٣ —

﴿المحافظون لنعال الناس في المسجد﴾

يوجد في بعض المساجد من يأخذ نعال الداخلين اليها ويحفظها
لهم في موضع يفصلها منها بفلوس تدفع له بعد قضائهم الصلاة وانتشارهم
فهؤلاء المحافظون ينهون عن ذلك لانهم يضيقون على المسامين طريقهم
ويمسكون من المسجد موضعاً لم يوضع له وفيه اعانة لهم على ترك الصلاة
وكذلك المحافظون للنعال على ابواب المساجد فانهم لا يحضرون جمعة
ولا جماعة

— ١٤ —

﴿ايواء القطط في المسجد﴾

قال ابن الحاج: كان الناس يوقرون بيوت ربهم ويحترمونها
وينزهونها عما لا يليق بها فانعكس الامر الى ان صار المسجد مأوى
للقطا والمؤذية فكل من كان عنده هر مؤذ ارسله الى الجامع ولا

يفكر في أنهم يائسونه بنجاستهم كما شهده ذلك مرارا فانا لله وانه
اليه راجعون

— ١٥ —

﴿ اواء المجاذيب في بعض المساجد ﴾

يوجد في بعض المساجد مجاذيب يأوون الى حجرات فيها او
يتوطنون اروقها فيقذرون جانبها وهو لاء الاجدر لهم اما المستشفيات
او البيمارستانات وهم من البلاء المصوب على الامكنة التي يحلون بها
فكم ترى منهم من يتسول عاريا من اللباس وآخر مشوه الخلقة يخيف
الاطفال بشناعة منظره وبشاعة سيره وطورا يشاهد منهم من يهيمون
على وجوههم في الشوارع مقلتين راحة السكان بما يأتونه من الامور
المغايرة من رعوس مكشوفة وعورة غير مستورة واسدال شعور
للاطفال والنساء مخيفة وغير ذلك مما لا يحمل ذكره ولا يحل امره
كزعق بمكفرات وصياح بشتائم وتأبط لاججار ، ومن العامة من
يعتقد في مثل هؤلاء الولاية نموذ بالله من الجهل والضلال

واين مقام الولاية من هؤلاء المجانين قال تقي الدين في الفرقان بين
اولياء الرحمن وأولياء الشيطان : العبد لا يكون وليا لله الا اذا كان
مؤمنا تقيا فن يتقرب الى الله لا بفعل الحسنات ولا بترك السيئات لم
يكن من اولياء الله وكذلك المجنون فان كونه مجنونا يناقض ان يصح
منه الايمان والعبادات التي هي شرط في ولاية الله تعالى ، ومن كان
جنونه مطبقا فهذا ممن رفع عنه القلم ومن كان جنونه متقطعا فان صدر

عنه في حال افاقته كفر او نفاق او معصية كان كافرا او منافقا او فاسقا او وقع ذلك في حال جنونه فلا مؤاخذه . ومن ادعى الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم بل يأتي بما يناقض ذلك فان ادعى انه لا يجب عليه اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر (انظر تتمته في الفرقان)

— ١٦ —

﴿ دخول الصبيان للمساجد ﴾

تقدم في الحديث « وجنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم » وذلك لان الصبي دأبه اللعب فبلعبه يشوش على المصلين وربما اتخذه ملعبا فنافي ذلك موضع المسجد فلذا يجنب عنه

— ١٧ —

﴿ بيع الادوية والاطعمة والتعويذات وتخلل السؤال الصفوف ﴾
« ونحوها في المسجد »

قال ابن الحاج ويمنع بالعمو القضاة وغيرها في المساجد وينهون عن ذلك . وقال الفزالي في الاحياء في منكرات المساجد : ومنها الخلق يوم الجمعة لبيع الادوية والاطعمة والتعويذات وكقيام السؤال وقراءتهم القرآن وانشاد الاشعار وما يجري مجراه فهذه الاشياء منها ما هو محرم لكونه تلبيسا وكذبا كالكذابين من طريقة الاطباء وكأهل الشعبة والتلبيسات وكذا ارباب التعويذات في الاغلب يتوصلون الى بيعها بتلبيسات على الصبيان والسوادية فهذا حرام في المسجد وخارج المسجد

ويجب المنع منه بل كل بيع فيه كذب وتلبيس واخفاء عيب على المشتري فهو حرام اهـ. وقوله كقيام السؤال النخ مثله هؤلاء الهنود الذين يتخللون صفوف المصايين يوم الجمعة والخطيب على المنبر ويضعون أمام المستمعين اوراقا مكتوبا فيها آية أو حديث في الصدقة هؤلاء يمنعون ويخرجون لانهم يشوشون بفعلهم هذا على الحضور وكأنهم ليسوا ممن يجب عليه الانصات والاستماع والصلاة وكثيرا ما اجتازوا أمام مصل واخترقوا حرمة ومثلهم من يدور لسقي الماء والاستجداء به فيمنعون لان هذا الوقت لا يجوز شغله بغير ما وضع له من الانصات والتفكير والتخشع والتذكر

— ١٨ —

﴿ الايطان في موضع من المسجد ﴾

يهوى بعض ملازمي الجماعات مكانا مخصوصا أو ناحية من المسجد إما وراء الامام أو جانب المنبر أو امامه أو طرف حائطه اليمين أو الشمال أو الصفة المرتفعة في آخره بحيث لا يلذ له التعبد ولا الاقامة الا بها واذا ابصر من سبقة اليها فرجما اضطره الى ان يتنحى له عنها لانها مكترة أو يذهب عنها مغضبا أو متحوقلا أو مسترجعا وقد يفاجيء المالك بها بانها مقامه من كذا وكذا سنة وقد يستعين بأشكاله من جهلة المتنسكين على ان يقام منها الى غير ذلك من ضروب الجبهالات التي ابتليت بها أكثر المساجد ولا يخفى ان محبة مكان من المسجد على حدة تنشأ من الجهل أو الرياء والسمعة وان يقال انه لا يصلي

الا في المكان الثقلاني أو أنه من أهل الصف الاول مما يحبط العمل
ملاحظاته ومحجته نعوذ بالله . وهب ان هذا المتوطن لم يقصد ذلك فلا
اقل انه يفقد لذة العبادة بكثرة الالف والحرص على هذا المكان بحيث
لا يدعوه الى المسجد الا موضعه وقد ورد النهي عن ذلك فيما روي
عنه عليه السلام انه نهى عن نقرة الخراب وان يوطن الرجل في المكان بالمسجد
كما يوطن البعير » قل المجذ ابن الاثير في النهاية معناه ان يألف مكانا
معلوما من المسجد مخصوصا به يصلي فيه كالبعير لا يأوي من عطن الا
الى مبرك دمت قد اوطنه واتخذة مناخا يقال اوطنت الارض ووطنتها
واستوطنتها أي اتخذتها وطنا ومجلا ومنه الحديث : « نهى عن ايطان
المساجد » أي اتخذها وطنا . وفي شرح الاقناع يكره لغير الامام
مداومة موضع منه لا يصلي الا فيه . وفي فتح القدير نقلا عن النهاية
للحلواني انه يكره ان يتخذ في المسجد مكانا معيننا يصلي فيه لان العبادة
تصير له طبعيا فيه وتثقل في غيره والعبادات اذا صارت طبعيا فسبيلها
الترك ولذا كره صوم الابد . اه كلامه

— ١٩ —

﴿ واجبات نظار المساجد ﴾

يعلم كل أحد انه ما من مكان موقوف مسجد أو غيره الا وشرط
له نظار يتولون أمر أوقافه وجباية ريعها ويرى قارىء وقفيات المساجد
والمدارس وغيرها ما يشترطه الواقف على من يتولى نظارة وقفه من
الشروط وما يحذره به من الزيغ عن المشروط وما يخوفه به من حلول

غضب الله عليه ووصول أليم العقاب اليه ، ترى الوقف المسكين بما
يشترطه ويحذر وينذر كأنه يتفرس ما سيؤول اليه أمر وقفه من أكل
زيعه وخراب جداره وسقفيه فيقف وقفة المتأسف والجزع المتلهف .
اقرأ ما قاله الوزير سنان باشا في وقفيته على جامع الكبير بدمشق في
شرط الناظر : ان يكون متوليا عاقلا أميناً كاملاً ذا رأي رصين وفكر
صائب رزين ، معروف بالامانة والديانة موصوفاً بالاستكانة ، والصيانة
يجدد في تعمير الاوقاف وتحصيل الغلات ولا يفوت دقيقة في جهة
من الجهات ثم قال في خاتمتها ولا يحل لاحد ممن يؤمن بالله تعالى واليوم
الآخر من حاكم أو قاض أو واث غائب أو حاضر تغيير هذا الوقف
بعد ما تقرر من نسقه المسطور المقرر ومن تعرض لتحويله وتغييره
وسعى في ابطاله بتزويره فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين
وماواه جهنم فيسقى فيها من حميم وغساقين . وهكذا كل وقفية يصرح
الوقف بالامن على من غير وبدل وأكل الربيع واستأكل . ترى هل
افاد ما شرطه وما هدد به من عذاب الله ولعنته وما ذكر عن نصوص
كتاب الله وموعظته ؛ كلا فقد اكلت الاوقاف وتسلط عليها من
لا يراقب الله ولا يخاف وتهدمت بالفعل أكثر المدارس وأضحى أكثر
المساجد كالشبح المدارس

هذه مدارس (الصالحية) يندهش المار بها حينما يراها صارت
يساتيز ويوتا وما بقي منها فرسم شاخص وهذه ثلة من مساجد البلدة
لا وقف عليها دار ، ولا ناظر بها بار حقا ان هذا المصاب وأى مصاب

وانه ممن يدعي الايمان لعجب عجاب. أين تقوى الله أين الخوف من المرض أين الوجل من الفزع الا كبر أين الغيرة على الحقوق أين السعي وراء تنمية الموقوفات واصلاح المرمات . والسفاه وانا لله ما الحيلة لا يرد الفئات النحيب ولا يعيد الحياة حذق الطيب بيد ان للامل مجالاً في تراجع الانفس عن غيها ونشر الواجبات بعد طيها واجبات النظر في نظارتهم وآدابهم المطاوعة من قبلهم واجبات كثيرة وآداب غزيرة لاجلها كانت تحقق قلوب الاخيار عن أن يعد أحدهم في مصاف النظر اذ كر لك نبذة منها وقس ما شابهها عليها :

على ناظر المسجد أن يكون همه اصلاح المسجد وتمميره وتشمير أوقافه وتنميتها بما تصل اليه يد الامكان وأن يكون غيوراً على انتهاك شيء من موقوفاته كما يفار التقي على انتهاك حدود الله وحرماته وأن يكون أميناً على دخله فلا يخطئه بماله ولا يتساهل في بارة من ريعه . اذا دعت كثرة ريعه الى جابٍ يجبي له المال فليختر أميناً مستقيماً مجدداً في السعي وليراقبه في عمله كيلا يقرر على زلله وخلاه ، أو الى كاتب فلينظر الى كاتب ماهر بالكتابة والحساب يكتب القليل والكثير ويحسب الدخل والخرج بغاية التدقيق

وأن يتعاهد على المدى حال المسجد كيلا يقصر خادمه في كونه وتنظيفه وحفظ فرشته وحصيره ولا يتهاون مؤذنه في أذانه ولا إمامه

في امامته ولا الشمال في تنويره
 وأن يتفقد العقارات وما تحتاج اليه من المرمات
 وأن يلاحظ أمر بيوت الطهارة وما يعروها من الخلل وما يهدم
 من مجاريها

وأن ينظر لأملاكه وما يتحصل منها ومن غلاته نظر العاقل
 الحكيم ويوازن ما بين قيمتها الآن وموردها من قبل فيرفع من
 رواتب القائمين بوظائف المسجد على نسبة ما رفع من قيم الأملاك
 والعقارات أو يتحقق أن الرواتب القديمة إنما كانت على حسب مظهر
 الزمان وحال أهله فكان يكفي ما رتب أولاً وإن الحالة الحديثة
 تقتضى من الصرف أضعاف ما كان يكفي قبل ، فيزيد الناظر في
 اجور قوام المسجد كما زيدت موارده ولا يكون هذا مخالفا لشرط
 الواقف لان الراتب الشهري القديم إنما كان بالنسبة الى اجور
 العقارات ومخالاتها السالفة فيحسب مقداره بالنسبة الى مورده الاول
 ويقاس عليه حالته الآن ضرورة

وقد اهتمت بعض الحكومات الاسلامية^(١) في هذا الموضوع
 كما قرأته في بعض مجلاتها ، ومما قرأته :

أوقف الساميين نزداد ريعا ونموا وغالب المساجد في خراب
 حسي ومعنوي ورأيت الخطيب والامام اليوم كما كان منذ قرن أو
 قرون اذ كان مالك الالف يعد غنيا كبيرا ، والالف لا تشبع في

(١) يشير الى مصر

سنتنا الحمار شعيرا

وان مساعدة أهل العلم والدين على معاشهم من أفضل المبرات
التي تنشأ لها الاوقاف الخيرية لهذا كان من الموضوع المهم به - يعني
في تلك الحكومة - أن يجعل للامام والخطيب راتب يتراوح بين
خسمائة قرش وثمانمائة قرش وللمؤذن والخدام راتب يرتقي الى ثمانمائة
قرش وذلك بعد انتقائهم بحسب الشروط التي تؤهلهم للقيام بعملهم
على اكمل وجه . بهذا الفكر المهم به تصرف اموال الاوقاف المكنوزة
في أفضل مصارفها . بهذا تقام صلاة الجماعة على وجهها . بهذا تكون
الخطابة مؤدية للحكمة التي شرعت لاجلها . بهذا تكون بيوت الله
نظيفة طاهرة كما يليق بها . بهذا ينمو علم الدين بما وجد لاهله من
المعاش الطبيعي الذي يليق بكرامتهم بعد ان اقفلت في وجوه المنقطعين
له ابواب الرزق واحتقرهم الناس ولو بغير حق اه . وليقس على ما ذكرناه
ناظر وقف المدارس والتكايا وما شرط عليه من ترتيب الطعام وايتاء
الاجور على التمام والتورع عن القليل مما يشتهه عليه فضلا عن الكثير
ومن تدعيم البناء وتجديده اذا اقتضى الحال مثل ما كان وأحسن منه اذا
كان الاول لم يبن على القواعد الصحيحة المرعية

والجامع لكل ذلك تقوى الله ومراقبته وتحقق ان المؤمنين اخوة
وانه لا يؤمن عبد حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وان السعادة
الحقيقية هي السعادة الاخرية ونيل رضا الله تعالى وان الدنيا دار
ابتلاء للتسابق في احسان العمل وان من خالف وصايا الله وأكل اموال

الناس ظالما فلا يكون عاقبته الا النار وغضب الجبار وينحط الى
دركات الفجار فالسميد من وفر حظه من اخراه والشقي من باع عقباه
بدنياه

بقي هنا كلمة اقولها للنظار المقصرين عن القيام بواجباتهم في
رعاية بعض المساجد والمدارس : لو تبصرتم فيما يأتيه بقية الطوائف
في تشييد معابدهم وتحسينها والقيام على رعايتها وتوفير دخلها وتثمين
وارداتها كما يراه القارئ في التقويم السنوي الذي يطبع وينشر
في مجلاتها لعلمتم انكم الا حق بهذا ولا ازيدكم تصريحاً وفي هذا القدر
كفاية

— ٢٠ —

﴿ الاجتماع في المسجد للدعاء برفع الوباء ﴾

قال العلامة عصام الدين احمد الحنفي الشهير بطا شكبري زاده
في رسالته (الشفاء لادواء الوباء) تحت عنوان « المطلب السادس في
الدعاء برفع الطاعون من البلاد » ما مثاله :

قال الشيخ السيوطي : وقع السؤال عن ذلك وعن الاجتماع له .
والجواب ان ذلك بدعة لا أصل له وبيانه من وجوه (احدها) انه لم يثبت
عن النبي ﷺ الدعاء برفعه بل ثبت انه دعا به وطلبه لامته كما تقدم
(الثاني) ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه دعا به ايضا اخرج عبد
الرزاق في المصنف قال اخبرنا معمر بن قتادة ان ابا بكر كان اذا بعث
جيوشا الى الشام قال اللهم ارزقهم الشهادة طعنا وطاعونا (الثالث) انه

وقع في زمن امام الهدى عمر بن الخطاب والصحابة يومئذ متوافرون
 واكابرهم موجودون فلم ينقل عن أحد منهم انه فعل شيئاً من ذلك ولا
 امر به كما ورد انهم دعوا برفع القحط (الرابع) ان القرن الاول
 وقع فيه الطاعون مرات متعددة وفيه من الصحابة والتابعين ما لا يحصى
 وهم خيار الامة فلم يفعل أحد منهم ذلك ولا أمر به . وكذا في القرن
 الثاني وفيه خيار التابعين واتباعهم وكذا في القرن الثالث والرابع وانما
 حدث الداء برفعه في الزمن الاخير وذلك في سنة تسع واربعين
 وسبعمائة كما نقله ابن حجر ونقل عن الرافعي والنووي ان القنوت يشرع
 في سائر الصلوات ولنازلة كالوباء ، الا ان السيوطي خص هذا الحكم
 بالوباء دون الطاعون ولذلك نهى عن الفرار من الطاعون دون الوباء
 وسائر الحميات مما يتوقى منها كسائر اسباب الهلاك بالاجماع قال بعض
 الحنابلة لا يقنن للطاعون لانه لم يثبت القنوت من السلف في طاعون
 عمواس وغيره وقال التيمي في تأليف له في الطاعون يكره الدعاء برفعه
 لان معاذاً امتنع من ذلك واعتل بكونه شهادة ورحمة ودعوة نبينا ^{صلوات}
 به لامته ومال ابن حجر الى مشروعية الدعاء فرادى ومنع الاجتماع له
 كما في الاستسقاء وقال هو بدعة حدثت سنة تسع واربعين وسبعمائة
 ولم يفد ذلك شيئاً بل ازداد الامر شدة قال ولو كان مشروعاً لم يخف
 على السلف ولا على فقهاء الامصار واتباعهم في الاعصار الماضية
 فلم يبلغنا في ذلك خبر ولا أثر عن المحدثين ولا فرع مسطور عن أحد
 من الفقهاء

الباب السادس

« في المشروع في المساجد الثلاثة المشرفة والمبتدع »

— وفيه فصول —

الفصل الأول

﴿ في بيت المقدس ﴾

قال شيخ الاسلام تقي الدين ابن تيمية رحمه الله تعالى في فتواه في زيارة بيت المقدس : اتفق العلماء على استحباب السفر الى بيت المقدس للعبادة المشروعة فيه كالصلاة والدعاء والذكر وقراءة القرآن والاعتكاف . ثم قال :

العبادات المشروعة في المسجد الاقصى هي من جنس العبادات المشروعة في مسجد النبي ﷺ وغيره من سائر المساجد الا المسجد الحرام فانه يشرع فيه زيادة على سائر المساجد الطواف بالكعبة واستلام الركنين اليمانيين وتقبيل الحجر الاسود وأما مسجد النبي ﷺ والمسجد الاقصى وسائر المساجد فليس فيها ما يطاف فيه ولا فيها ما يتمسح به ولا ما يقبل فلا يجوز لاحد ان يطوف بحجرة النبي ﷺ ولا بغير ذلك من مقابر الانبياء والصالحين ولا بصخرة بيت المقدس ولا بغيرها بل ليس في الارض مكان يطاف به كما يطاف بالكعبة ، ومن اعتقد ان الطواف بغيرها مشروع فهو شر ممن يعتقد جواز

الصلاة الى غير الكعبة فان النبي ﷺ لما هاجر من مكة الى المدينة
 صلى بالمسامين ثمانية عشر شهراً الى بيت المقدس فكانت قبلة المسلمين
 هذه المدة ثم ان الله حول القبلة الى الكعبة وانزل الله في ذلك القرآن
 كما ذكر في سورة البقرة وصلى النبي ﷺ والمسالمون الى الكعبة
 وصارت هي القبلة وهي قبلة ابراهيم وغيره من الانبياء فمن اتخذ
 الصخرة اليوم قبلة يصلي اليها فهو كافر مرتد يستتاب فان تاب والا
 قتل مع انها كانت قبلة لكن نسخ ذلك فكيف بمن يتخذها مكاناً
 يطاف به كما يطاف بالكعبة والطواف بغير الكعبة لم يشرعه الله
 وكذلك من قصد ان يسوق اليها غنماً أو بقراً ليدبحها هناك ويعتقد ان
 الاضحية فيها افضل أو أن يحلق فيها شعره في العيد أو ان يسافر اليها
 ليعرف بها عشية عرفة فهذه الامور من البدع والضلالات من فعل
 شيئاً منها معتقداً أنه قربة الى الله فانه يستتاب فان تاب ولا قتل كما لو
 صلى الى الصخرة معتقداً ان استقبالها في الصلاة كاستقبال الكعبة
 ولهذا بنى عمر بن الخطاب مصلى المسامين في مقدم المسجد الاقصى
 فان المسجد الاقصى اسم لجميع المسجد الذي بناه سليمان عليه السلام
 وقد صار بعض الناس يسمي الاقصى المصلى الذي بناه عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه في مقدمه والصلاة في هذا المصلى الذي بناه عمر للمسلمين
 افضل من الصلاة في سائر المسجد فان عمر بن الخطاب لما فتح بيت
 المقدس وكان على الصخرة زبالة عظيمة لان النصارى كانوا يقصدون
 اهانتها مقابلة لليهود الذين يصلون اليها فأمر عمر رضي الله عنه بازالة

النجاسة عنها وقال لكهيب الاحبار أين ترى ان نبى مصلى المسلمين
فقال خلف الصخرة فقال يا ابن اليهودية خالطتك يهودية بل أبنيه امامها
فان لنا صدور المساجد ولهذا كان أئمة الأمة اذا دخلوا المسجد قصدوا
الصلاة في المصلى الذي بناه عمر ، وقد روي عن عمر رضي الله عنه انه
صلى في محراب داود . وأما الصخرة فلم يصل عندها عمر رضي الله عنه
ولا الصحابة ولا كان على عهد الخلفاء الراشدين عليها قبة بل كانت
مكشوفة في خلافة عمر وعثمان وعلي ومعاوية يزيد ومروان ولما سكن
لما تولى ابنه عبد الملك الشام وقع بينه وبين ابن الزبير الفتنة وكان
الناس يحجون فيجتمعون بابن الزبير فاراد عبد الملك ان يصرف الناس
عن ابن الزبير فبنى القبة على الصخرة وكساها في الشتاء والصيف ليرغب
الناس في زياره بيت المقدس ويشغلوا بذلك عن اجتماعهم بابن الزبير ،
وأما أهل العلم من الصحابة والتابعين فلم يكونوا يعظمون الصخرة
فاتها قبلة منسوخة كما ان يوم السبت كان عيداً في شريعة موسى عليه
السلام ثم نسخ في شريعة محمد ﷺ بيوم الجمعة فليس للمسلمين ان
يخصوا يوم السبت ويوم الاحد بعبادة كما تفعل اليهود والنصارى
وكذلك الصخرة انما يعظمها اليهود وبعض النصارى ، وأما ما يذكره
بعض الجهال فيها من ان هناك أثر قدم النبي ﷺ وأثر عمامته وغير
ذلك فكله كذب ، وكذلك المكان الذي يذكر انه مهد عيسى عليه
السلام كذب وانما كان موضع معمودية النصارى وكذا من زعم ان
هناك الصراط والميزان أو ان السور الذي يضرب به بين الجنة والنار

هو ذلك الحائط البني شرقي المسجد . وكذلك تعظيم السلسلة أو موضعها ليس مشروعاً وليس في بيت المقدس مكان يقصد للعبادة سوى المسجد الأقصى لكن إذا زار قبور الموتى وسلم عليهم وترحم عليهم كما كان النبي ﷺ يعلم أصحابه فحسن فإن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقول أحدهم السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمؤمنات وأنا إن شاء الله بكم لآحقون ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية اللهم لا تحرمننا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم . ثم قال : وأما زيارة بيت المقدس فمشروعة في جميع الاوقات ولكن لا ينبغي أن يؤتى في الاوقات التي يقصدها الضلال وينبغي أن لا يتشبه بهم ولا يكثر سوادهم وقال أيضا : النبي ﷺ ليلة المعراج صلى في بيت المقدس ركعتين كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح ولم يصل في غيره وأما ما يرويه بعض الناس من حديث المعراج أنه صلى في المدينة وصلى عند قبر موسى وصلى عند قبر الخليل فكل هذه الاحاديث مكذوبة موضوعة . هذا ملخص فتواه ولها تنمة ومقدمة بدیعة فالتنظر

الفصل الثاني

﴿ في مسجد الخليل ﴾

قال تقي الدين رحمه الله في أواخر كتابه تفسير سورة الاخلاص
 ما مثاله : ولما كان اتخاذ القبور مساجد وبناء المسجـد عليها محرماً لم
 يكن شيء من ذلك على عهد الصحابة والتابعين لهم باحسان ولم يكن
 يعرف قط مسجد على قبر . وكان الخليل عليه السلام في المغارة التي
 دفن فيها وهي مسدودة لا أحد يدخل اليها ولا تشد الصحابة الرجال
 الا اليه ولا الى غيره من المقابر لان في الصحيحين من حديث أبي
 هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال « لا تشد
 الرجال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام والمسجد الاقصى
 ومسجدي هذا » فكان يأتي من يأتي منهم الى المسجد الاقصى يصلون
 فيه ثم يرجعون لا يأتون مغارة الخليل ولا غيرها وكانت مغارة الخليل
 مسدودة حتى استولى النصارى على الشام في أواخر المائة الرابعة
 ففتحوا الباب وجعلوا ذلك المكان كنيسة ثم لما فتح المسلمون البلاد
 اتخذوه بعض الناس مسجداً وأهل العلم ينكرون ذلك - والذي يرويه
 بعضهم في حديث الاسراء انه قيل للنبي ﷺ « هذه طيبة انزل فصل »
 - فنزل فصلي - هذا مكان أبيك انزل فصل « كذب موضوع لم
 يصل النبي ﷺ تلك الليلة الا في المسجد الاقصى كما ثبت ذلك في
 الصحيح ولا نزل الا فيه - ولهذا لما قدم الشام من الصحابة من لا

محصى عددهم الا الله وقدمها عمر بن الخطاب لما فتح بيت المقدس وبعد فتح الشام لما صالح النصارى على الجزية وشرط عليهم الشروط المعروفة وقدمها مرة ثالثة حتى وصل الى سرنج ومعه أكبر السابقين الاولين من المهاجرين والانصار فلم يذهب أحد منهم الى مغارة الخليل ولا غيرها من آثار الانبياء التي بالشام لا بيت المقدس ولا بدمشق ولا غير ذلك مثل الآثار الثلاثة التي بجبل قاسيون في غربيه الربوة المضافة الى عيسى عليه السلام وفي شرقيه المقام المضاف الى الخليل عليه السلام وفي وسطه وأعلاه مغارة الدم المضافة الى هابيل لما قتله قابيل - فهذه البقاع وأمثالها لم يكن السابقون الاولون يقصدونها ولا يزورونها ولا يرجون منها بركة

الفصل الثالث

﴿ في مزارات ما حول المدينة المنورة ﴾

قال شيخ الاسلام أيضاً عليه الرحمة في التفسير المنوه به بعد ما تقدم : ولهذا لم يستحب علماء الساف من أهل المدينة وغيرها قصد شيء من المساجد والمزارات التي بالمدينة وما حولها بعد مسجد النبي ﷺ الا مسجد قباء لان النبي ﷺ لم يقصد مسجداً بعينه يذهب اليه هو . وقد كان بالمدينة مساجد كثيرة لكل قبيلة من الانصار مسجد لكن ليس في قصده دون أمثاله فضيلة بخلاف مسجد قباء فانه أول مسجد بني في المدينة على الاطلاق وقد قصده الرسول بالذهاب

اليه وصح عنه عليه السلام انه قال « من توضأ في بيته ثم أتى مسجد قباء لا يريد الا الصلاة فيه كان كعمرة » ومع هذا فلا يسافر اليه لكن اذا كان الانسان بالمدينة اتاه ولا يقصد انشاء السفر اليه بل يقصد انشاء السفر الى المساجد الثلاثة لحديث « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد . . الخ » ويستحب زيارة قبور البقيع وشهداء أحد الدعاة لهم والاستغفار لان النبي عليه السلام كان يقصد ذلك مع أن هذا مشروع لجميع موتى المسلمين كما يستحب السلام عليهم والدعاء لهم والاستغفار . وزيارة القبور بهذا القصد مستحبة وسواء في ذلك قبور الانبياء والصالحين وغيرهم . وكان عبد الله بن عمر اذا دخل المسجد يقول : السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبت ثم ينصرف . وأما زيارة قبور الانبياء والصالحين لاجل طلب الحاجات منهم أو دعائهم والاقسام بهم على الله أو ظن ان الدعاء أو الصلاة عند قبورهم أفضل منه في المساجد والبيوت فهذا ضلال وشرك وبدعة باتفاق ائمة المسلمين ولم يكن أحد من الصحابة يفعل ذلك كانوا اذا ساموا على النبي عليه السلام يقفون يدعون لانفسهم ولهذا كره ذلك مالك وغيره من العلماء لانها من البدع التي لم يفعلها السلف واتفق العلماء الاربعة وغيرهم من السلف على انه اذا أراد أن يدعو يستقبل القبلة ولا يستقبل قبر النبي عليه السلام وأما اذا سلم عليه فأكثرهم قالوا يستقبل القبر قاله مالك والشافعي وأحمد وقال أبو حنيفة بل يستقبل القبلة أيضاً ويكون القبر عن يساره وقيل بل يستدبر القبلة . اهـ بحروفيه

الفصل الرابع

﴿ في مزارات مكة المشرفة ﴾

ثم قال رحمه الله بعد ما تقدم : ومما يبين هذا الاصل أن رسول الله ﷺ لما هاجر هو وأبو بكر ذهبا الى الغار الذي بجبل ثور ولم يكن على طريقهما بالمدينة فانه من ناحيه اليمن والمدينة من ناحية الشام ولكن اختبأ فيه ثلاثا لينقطع خبرهما عن المشركين فلا يعرفون أين ذهبا فان المشركين كانوا طالبيين لهما وقد بذلوا في كل واحد منهما ديتة لمن يأتي به وكانوا يقصدون منع النبي ﷺ أن يصل الى أصحابه بالمدينة وأن لا يخرج من مكة بل لما عجزوا عن قتله أرادوا حبسه بمكة فلو سلك الطريق ابتداء لا دركوه فأقام بالغار ثلاثا لاجل ذلك فلو اراد المسافر من مكة الى المدينة أن يذهب الى الغار ثم يرجع لم يكن ذلك مستحبا بل مكروها والنبي ﷺ في الهجرة سلك طريق الساحل لانها كانت أبعد عن قصد المشركين . ثم قال : ولم يكن أحد من الصحابة يذهب الى الغار للزيارة والصلاة فيه وان كان النبي ﷺ وصاحبه أقاما به ثلاثا يصلون فيه الصلوات الخمس ولا كانوا أيضا يذهبون الى حراء وهو المكان الذي كان يتعبد فيه قبل النبوة وفيه نزل عليه الوحي اولا وكان هذا مكانا يتعبدون فيه قبل الاسلام فان حراء اعلى جبل كان هناك فاما جاء الاسلام ذهب النبي ﷺ الى مكة مرات بعد ان اقام بها قبل الهجرة بضع عشرة سنة ومع هذا فلم يكن هو

ولا أصحابه يذهبون الى حراء. وما حج النبي ﷺ استلم الركنتين اليمانيين ولم يستلم الشاميين لانهما لم يبنيا على قواعد ابراهيم فان اكثر الحاجر من البيت والحجر الاسود استلمه وقبله واليماني استلمه ولم يقبله وصلى بمقام ابراهيم ولم يستلمه ولم يقبله. فدل ذلك على ان التمسح بحيطان الكعبة غير الركنتين اليمانيين وتقبيل شيء منها غير الحجر الاسود ليس بسنة ودل على ان استلام مقام ابراهيم وتقبيله ليس بسنة واذا كان هذا نفس الكعبة ونفس مقام ابراهيم فمعلوم ان جميع المساجد حرمتها دون الكعبة وان مقام ابراهيم بالشام وغيرها وسائر مقامات الانبياء دون المقام الذي قل الله فيه « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » فعلم ان سائر المقامات لا تقصد للصلاة فيها كما لا يحج الى سائر الشاهد ولا يتمسح بها ولا يقبل شيء من مقامات الانبياء ولا للمساجد ولا الصخرة ولا غيرها ولا يقبل وجه الارض الا الحاجر الاسود وايضا فانبي ﷺ لم يصل بمسجد مكة الا المسجد الحرام ولم يأت للعبادات الا الى الشاعر رضى ومزدلفة وعرفة. فانهذا كان ائمة الائمة على انه لا يستحب ان يقصد مسجد بمكة للصلاة غير المسجد الحرام، ولا تقصد بقعة لزيارة غير الشاعر التي تصدها رسول الله ﷺ واذا كان هذا في آثارهم فكيف بالمقابر التي لعن رسول الله ﷺ من اتخذها مساجد واخبرتهم ثمرار الخلق يوم القيامة. ودين الاسلام انه لا تقصد بقعة للصلاة الا ان تكون مسجدا فقط ولهذا مشاعر الحج غير المسجد الحرام تقصد للنسك لا للصلاة فلا صلاة بعرفة وانما صلى

رسول الله ﷺ الظاهر والمصر يوم عرفة بعرفة خطب بها ثم صلى ثم
بعد الصلاة ذهب الى عرفات فوقف بها وكذلك يذكر الله ويدعى
بعرفات ويزدانة على قزح وبالصفاء والمروة وبين الجمرات وعند الرمي
ولا نقصد هذه البقاع للصلاة . واما غير المساجد ومشاعر الحج فلا
تقصد بقعة لا للصلاة ولا للذكر ولا للدعاء بل يصلي المسلم حيث
ادركته الصلاة الا حيث نهى ويذكر الله ويدعوه حيث تيسر من
غير تخصيص بقعة بذلك واذا اتخذ بقعة لذلك كالمشهد نهى عن ذلك
كما نهى عن الصلاة في المقبرة الا ما يفعله الرجل عند السلام على الميت
من الدعاء له وللمسلمين كما يفعل مثل ذلك في الصلاة على الجنازة فان
زيارة قبر المؤمن من جنس الصلاة على جنازته يفعل في هذا من
جنس ما يفعل في هذا ويقصد بالدعاء هنا ما يقصد بالدعاء هنا . ومما
يشبه هذا ان الانصار بايعوا النبي ﷺ ليلة العقبة بالوادى الذى وراء
جرة العقبة لانه مكان منخفض قريب من منى يستره منى فيه فان
السبعين الانصار كانوا قد حجوا مع قومهم المشركين وما زال الناس
يحجون الى مكة قبل الاسلام وبعده فجاؤا مع قومهم الى منى لاجل
الحج ثم ذهبوا بالليل الى ذلك المكان لقربه وستره لافضيلة فيه ولم
يقصدوه لفضيلة تخصه بعينه ولهذا لما حج النبي ﷺ هو واصحابه
لم يذهبوا اليه ولا زاروه وقد بنى هناك مسجد وهو محدث وكل
مسجد بمكة وما حولها غير المسجد الحرام فهو محدث ومنى نفسها لم
يكن بها على عهد النبي ﷺ مسجد مبنى ولكن قل منى مناخ لمن

سبق فنزل بها المسلمون . وكان يصلي بالمسلمين بمنى وغير منى وكذلك خلفاؤه من بعده واجتماع الحجاج بمنى أكثر من اجتماعهم بغيرها فانهم يقيمون بها اربما وكان النبي ﷺ وابو بكر وعمر يصلون بالناس بمنى وغير منى وكانوا يقصرون الصلاة بمنى وعرفة ومزدلفة ويجمعون بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء بمزدلفة ويصلي بصلاتهم جميع الحجاج من اهل مكة وغير اهل مكة كلهم يقصرون الصلاة بالمشاعر وكلهم يجمعون بعرفة ومزدلفة

ثم قال : ولم يصلي النبي ﷺ ولا خلفاؤه بمكة صلاة عيد ولا صلى في اسفاره قط صلاة العيد ولا كان احد منهم يصلي بمكة يوم النحر صلاة عيد على عهد النبي ﷺ وخلفائه بل عيدهم بمنى بعد افاضتهم من المشعر الحرام ورمى جمرة العقبة لهم كصلاة العيد لسائر اهل الامصار

ثم قال : وليس لاحد ان يشرع ما لم يشرعه الله كما لو قال قائل انا أستحب الطواف بالصخرة سبعا كما يطاف بالكعبة او أستحب ان اتخذ من مقام موسى وعيسى مصلى كما امر الله ان يتخذ من مقام ابراهيم مصلى ونحو ذلك لم يكن له ذلك لان الله تعالى يختص ما يختصه من الاعيان والافعال باحكام تخصه يمتنع معها قياس غيره عليه إما لمعنى يختص به لا يوجد بغيره على قول اكثر اهل العلم واما المحض تخصيص المشيئة على قول بعضهم كما خص الكعبة بان يحج اليها ويطاف بها وكما خص عرفات بالوقوف بها وكما خص منى برمي الجمار بها وكما خص

الاشهر الحرم بتحريمها وكما خص شهر رمضان بصيامه وقيامه الى
امثال ذلك

الفصل الخامس

(في الموازنة بين مذهب عمر وبقية الخلفاء والصحابة رضى الله عنهم)

« وبين رأى عبد الله بن عمر رضى الله عنه »

(في الامكنة التي نزلها النبي صلوات الله عليه في سفره)

« وبين حقيقة المتابعة »

قال تقي الدين ابن تيمية عليه الرحمة في الكتاب المنوه به قبل^(١)
وقد ثبت عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه كان في سفر فرأى
قوما ينتابون مكانا للصلاة فقال ما هذا فقالوا هذا مكان صلى فيه
رسول الله ﷺ فقال « انما هلك من كان قبلكم بهذا انهم اتخذوا آثار
انبيائهم مساجد من اذركته الصلاة فليصل والا فليمض » . وبلغه ان
قوما يذهبون الى الشجرة التي بايع النبي ﷺ اصحابه تحتها فامر بقطعها .
وارسل اليه ابو موسى يذكر له انه ظهر بتسعة قبر دانيال وعنده
مصحف فيه اخبار ما سيكون وانهم اذا جددوا كشفوا عن القبر
فطروا فارسل اليه عمر يأمره ان يحفر بالنهار ثلاثة عشر قبرا ويدفنه
بالليل في واحد منها لئلا يعرفه الناس لئلا يفتنوا به ، وفي الصحيحين

عنه انه قال ﷺ في مرض موته : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد » يحذر ما فعلوا ، فاتخاذ القبور مساجد مما حرمه الله ورسوله وان لم يكن عليها مسجد كان بناء المساجد عليها اعظم وكذلك قال العلماء يحرم بناء المساجد على القبور ويجب هدم كل مسجد بني على قبر ، وان كان الميت قد قبر في مسجد وقد طال مكثه سوى القبر حتى لا تظهر صورته فان الشرك انما يحصل اذا ظهرت صورته ، ولهذا كان مسجد النبي ﷺ اولاً مقبرة للمشركين وفيها نخل وخرب فامر بالقبور فنبشت وبالنخل فقطع وبالخرب فسويت فخرج عن ان يكون مقبرة فصار مسجداً . ولما كان اتخاذ القبور مساجد وبناء المساجد عليها محرماً لم يكن شيء من ذلك على عهد الصحابة والتابعين لهم باحسان ولم يكن يعرف قط مسجد على قبر

ثم قال عليه الرحمة : والمقصود ههنا ان الصحابة والتابعين لهم باحسان لم يبنوا قط على قبر نبي ولا رجل صالح مسجداً ولا جعلوه مشهداً ومزاراً ولا على شيء من آثار الانبياء مثل مكان نزل فيه او صلى فيه اتفاقاً بل كان ائمتهم كعمر بن الخطاب وغيره ينهي عن قصد الصلاة في مكان صلى فيه رسول الله ﷺ اتفاقاً لا قصداً وانما نقل عن ابن عمر خاصة انه كان يتحري ان يسير حيث سار رسول الله ﷺ وينزل حيث نزل ويصلي حيث صلى وان كان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقصد تلك البقعة لذلك الفعل بل حصل اتفاقاً . وكان ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً صالحاً شديداً لا تباع فرأى هذا من

الاتباع . واما ابوه وسائر الصحابة من الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان وعلى سائر العشرة وغيرهم مثل ابن مسعود ومعاذ بن جبل وأبي ابن كعب فلم يكونوا يفعلون ما فعل ابن عمر . وقول الجمهور اصح وذلك ان المتابعة ان يفعل مثل ما فعل على الوجه الذي فعل لاجل انه فعل فاذا قصد الصلاة والعبادة في مكان معين كان قصد الصلاة والعبادة هو في ذلك المكان متابعة له واما اذا لم يقصد تلك البقعة فان قصدها يكون مخالفة لا متابعة له . مثال الاول لما قصد الوقوف والذكر والدعاء بعرفة ومزدلفة وبين الجرتين كان قصد تلك البقاع متابعة له ، وكذلك لما طاف وصلى خلف المقام ركعتين كما فعل ذلك متابعة له ، وكذلك لما صعد على الصفا والمروة المذكر والدعاء كان قصد ذلك متابعة له . وقد كان سامة بن الاكوع يتحرى الصلاة عند الاسطوانة قال لاني رأيت رسول الله ﷺ يتحرى الصلاة عندها فلما رآه يقصد تلك البقعة لاجل الصلاة كان ذلك القصد للصلاة متابعة . وكذلك لما اراد عتيان بن مالك ان يبني مسجداً لما عمي رسل الى رسول الله ﷺ قال له اني احب ان تأتيني تصلي في منزلي فأخذه مصلي فجاءه ﷺ وصلى ركعتين في ناحية من البيت فهذا المكان مكان قصد النبي ﷺ الصلاة فيه ليكون مسجداً . فصار قصد الصلاة فيه متابعة له بخلاف ما اتفق انه صلى فيه بغير قصد . وكذلك قصد يوم الاثنين والخميس بالصوم متابعة لانه قصد صوم هذين اليومين ، وكذلك قصد اتيان مسجد قباء متابعة له فقد ثبت عنه في الصحيحين انه كان يأتي قباء كل سبت

واكباً وماشيئاً وذلك لأن الله أنزل فيه « لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه » مع تناوله كل مسجد أسس على التقوى بخلاف مساجد الضرار ولهذا كان السلف يكرهون الصلاة فيما يشبه ذلك ويرون العتيق أفضل من الجديد لأن العتيق أبعد أن يكون بنى ضراراً من الجديد الذي يخاف ذلك فيه . وعتيق المسجد عما يحمد به ولهذا قال « ثم حملها الي البيت العتيق » وقال « ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة » فان قدمه يقتضي كثرة العبادة فيه أيضا وذلك يقتضي زيادة فضله

ثم قال عليه الرحمة : والمقصود هنا ذكر متابعة النبي ﷺ وهو انه يعتبر فيه متابعتة في قصده فاذا قصد مكانا للعبادة فيه كان قصده لتلك العبادة سنة ولهذا لم يكن جمهور الصحابة يقصدون مشابهته في ذلك وابن عمر رضي الله عنهما مع انه كان يحب مشابهته في ظاهر الفعل لم يكن يقصد الصلاة الا في الموضع الذي صلى فيه لا في كل موضع نزل به

ولهذا رخص احمد بن حنبل في ذلك اذا كان شيئاً يسيراً كما فعله ابن عمر ونهى عنه رضي الله عنه اذا كثرت لانه يفضي الى المفسدة وهي اتخاذ آثار الانبياء مساجد وهي التي تسمى مشاهد وما أحدث في الاسلام من المساجد والمشاهد على القبور والآثار فهي من البدع المحدثه في الاسلام من فعل من لم يعرف شريعة الاسلام وما بعث الله به محمداً ﷺ من كمال التوحيد واخلاص الدين لله وسد ابواب

الشرك التي يفتحها الشيطان لبني آدم ولهذا يوجد من كان أبعد عن التوحيد وإخلاص الدين لله ومعرفة دين الإسلام هم أكثر تعظيماً لمواضع الشرك فالعارفون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديثه أولى بالتوحيد وإخلاص الدين لله وأهل الجاهل بذلك أقرب إلى الشرك والبدع ولهذا يوجد ذلك في الرافضة أكثر مما يوجد في غيرهم لأنهم أجهل من غيرهم وأكثر شركاً وبدعاً ولهذا يعظمون المشاهد أعظم من غيرهم حتى قد يرون أن زيارتها أولى من حج بيت الله الحرام ويسمون بها الحج الأكبر وصنف ابن المفيد منهم كتاباً سماه مناسك حج المشاهد وذكر فيه من الكاذب ما لا يوجد في سائر الطوائف وإن كان في غيرهم أيضاً نوع من الشرك والكذب والبدع لكن هو فيهم أكثر وكلما كان الرجل أتبع لمحمد ﷺ كان أعظم توحيداً لله وإخلاصاً له في الدين وإذا بعد عن متابعتة نقص من دينه بحسب ذلك . ثم أهل المشاهد كثير من مشاهدهم وأكثرها كذب فإن الشرك مقرون بالكذب في كتاب الله كثيراً قال تعالى « واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به » وقال النبي ﷺ « عدلت شهادة الزور الإشراف بالله » قالها ثلاثاً وذلك كالمشهد الذي بنى بالقاهرة على رأس الحسين وهو كذب باتفاق أهل العلم . ورأس الحسين لم يحمل إلى هناك أصلاً وأصله في عسقلان وقد قيل أنه كان رأس راهب ورأس الحسين لم يكن بعسقلان وإنما أحدث هذا في أواخر دولة الملاحدة بني عبيد . وكذلك مشهد علي رضي الله عنه إنما حدث في دولة بني بويه . وقال

محمد بن عبد الله وغيره انما هو قبر المغيرة بن شعبه رضي الله عنه وعلي
 رضي الله عنه انما دفن في قصر الامارة بالكوفة ودفن معاوية بقصر
 الامارة بدمشق ودفن عمرو بن العاص بقصر الامارة بمصر خوفا
 عليهم اذا دفنوا في المقابر البارزة ان ينبشهم الخوارج المارقون . انتهى
 كلام تقي الدين بحروقه

الباب السابع

« في بدع شتى »

— ١ —

﴿ ما رتبته النساء من زيارة المقامات في المساجد ﴾

للنساء عوائد استحكمت جريمن عليها وصار عملهن بهما عقيدة لا
 تتبدل وقد سرت منهن لبعض الرجال أو من هؤلاء لهن وقد عد
 الامام ابن الحاج في المدخل جملة من عوائدهن الرديئة فليتنظر في الجزء
 الاول . ونحن نذكر ما رأيناه منهن في دمشق في بعض المساجد لان
 موضوع كتابنا في منكراتها . فمن ذلك قصدهن (الجامع الاموي)
 غلس السبت الى الضحى لزيارة المقام يحيوي فتري ثمة من ازدحامهن
 وتطوافهن وتناجيهن مالا يوصف ومن خرافاتهن ان الدأب على هذا
 العمل أربعين سبتا لما نوي له

ومن ذلك صرفهن يوم الجمعة لمزارات في الصالحية ويشاركهن في ذلك الرجال على طبقاتهم والجامع السليمي في الصالحية يقدو يوم الجمعة لذلك موسماً وعيداً ولا تفتقر حركة الزيارة عنه من صبح ذلك اليوم الى الليل وربما قضاها يوم السبت من فاتته قبل خوفاً من ان يرمى بالتقصير في روايته ، ويجتمع للزيارة ثمة الرجال والنساء ، ولما عظم الخطب باختلاطهن على صغر المزار ولم يكن لأولئك الرجال بد من ولوجه المرتب اضطر اخيراً الى وضع ترازين يحول بين الفريقين الا انه تبصر النساء وحركاتهن ووسوسة اسودتهن وكثير منهن يحسرن عن وجوههن أو بعضها ، دع عنك روائح طيبهن ، وظهور اطراف سواعدهن وفي مقابلتهن من الرجال عدد غير قليل ما بين تال وذاكر وداع ومبتهل ومن في قلبه مرض هذا فضلاً عن التمسح بالمزار وتقبيل عتبته وستأثره

وقد ذكر صاحب المدخل في الجزء الاول ان نحو ما ذكرنا كان السبب في عبادة الاصنام فوالأسفاه على السكوت على هذه المنكرات المجمع عليها التي انست القلوب بها حتى جر الامر الى اعتيادها ونسبة اكثر العوام اياها الى المشروع بسبب حضور من يقتدى بهم . ولا يخفى ان تكثير سواد أهل البدع منهى عنه وترك المنهى عنه واجب وفعل الواجب متعين

وقال أيضاً : قد علم من احوال النسوة في هذا الوقت ان المرأة لا تخرج من بيتها في الغالب حتى تلبس أحسن ثيابها وتطيب وتزين

ثم تفرغ عليها من الحلى ما تجد السبيل اليه ولا يخلو أمرهن في الغالب من ان يكون بعض الرجال يستمعون وبعضهم ينظرون فتكثر الفتن وتفسد القلوب وتشوش فمن كان من أهل الدين وطراً عليه سماع شيء مما ذكر او رؤيته تشوش من ذلك اذ انه لو سلم باطنه من الفتنة المعهودة لوقع له التشويش من جهة ما يرى أو يسمع من مخالفة السنة فان كان التشويش الواقع في باطنه من جهة ما يحسده البشر غالباً فقد يؤول ذلك الى انه يتذكر شيئاً من ذلك في حال تعبدده وهو أشد من الاول فيخاف ان يصيب من فتنة العقوبة اما عاجلاً واما آجلاً لاجل فساد حاله مع ربه ، وخروج المرأة لا يكون الا لضرورة شرعية وخروجها لمثل هذه الزيارات ليس لضرورة شرعية بل للبدع والمناكر والمحرمات . اهـ

— ٢ —

﴿ النذر للمساجد ولا سراج الضرائح والمآذن ﴾

« ولقراءة مولد فيها »

قال الخطيب الشافعي في شرح الغاية : لو نذر زيتاً أو شمعاً لاسراج مسجد أو غيره أو وقف ما يشترى به من غلة صح كل من النذر والوقف ان كان يدخل المسجد أو غيره من ينتفع به من نحو مصلى أو نائم والا لم يصح لانه اضاءة مال اهـ . وفي شرح الروض : وان قصد به وهو الغالب من العامة تعظيم البقعة والقبر والتقرب الى من دفن فيها أو نسب اليه فهذا نذر باطل غير منعقد فانهم يعتقدون

ان لهذه الاماكن خصوصيات لانفسهم ويرون ان النذر لها مما يندفع به البلاء أى وهو اعتقاد فاسد واشراك به تعالى . وقال في شرح الاقناع : من نذر اسراج بئر أو مقبرة أو جبل أو شجرة أو نذر له أو لساكنه أو المضافين الى ذلك المكان لم يجز ولا يجوز الوفاء به اجماعاً ويصرف في المصالح . وقال صاحب الاقناع : النذر للقبور أو لأهل القبور كالنذر لأبراهيم الخليل عليه السلام والشيخ فلان نذر معصية لا يجوز الوفاء به وان تصدق بما نذره من ذلك على من يستحقه من الفقراء والصالحين كان خيراً له عند الله وأنفع . ثم قال وأما من نذر للمساجد ما تنور به أو يصرف في مصالحها فهذا نذر بر فيوفي بنذره لان تنويرها وتعميرها مطلوب . وقال الملائي في الدر في آخر باب الاعتكاف : واعلم ان النذر الذي يقع للاموات من اكثر العوام وما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها الى ضرائح الاولياء تقرباً اليهم فهو بالاجماع باطل وحرام مالم يقصدوا صرفها للفقراء الانام وقد ابتلى الناس بذلك ولا سيما في هذه الاعصار وقد بسطه العلامة قاسم في شرح درر البحار وفي حواشي الدر لابن عابدين الدمشقي عليه الرحمة قوله : باطل وحرام لوجوه منها انه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز لانه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق . ومنها ان المنذور له ميت والميت لا يملك . ومنها انه ان ظن ان الميت يتصرف في الامور دون الله تعالى واعتقد ذلك كفر الخ . ثم قال ولا بد ان يكون المنذور مما يصح به النذر كالصدقة بالدراهم ونحوها أما لو نذر زيتاً لا يقاد

قنديل فوق ضريح الشيخ أو في المنارة كما يفعل النساء من نذر الزيت
 السيد عبد القادر ويوقد في المنارة جهة المشرق فهو باطل وأقبح منه
 النذر بقراءة المولد في المنائر ومع اشتماله على الغناء واللعب وإيهاب
 ثواب ذلك إلى حضرة النبي ﷺ . اهـ بحروفه

— ٣ —

﴿الموسوسون في أمر الطهارة﴾

« والمسرغون من ماء المساجد »

ما أكثر الموسوسين المذكورين والمسرغين المتجاوزين الحدود
 في شأن الطهارة المشروعة جهلاً بالسنة وغلوا في الدين وقد شنع الأئمة
 على هؤلاء الجاهلين والغالين . قال الامام شمس الدين ابن القيم في كتابه
 انمائه الايهان في مصائد الشيطان ومن كيده الذي بلغ به الجهال ما بلغ
 الوسواس الذي كادهم به في أمر الطهارة والصلاة عند عقد النية حتى
 القاهم في الآصار والأغلال وأخرجهم عن اتباع سنة رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وخيل إلى أحدهم أن ما جاءت به السنة لا يكفي حتى
 يضم إليه غيره فجمع لهم بين هذا الظن الفاسد والتعبد الحاضر وبطلان
 الاجر أو تنقيصه . ولا ريب أن الشيطان هو الداعي إلى الوسواس
 فاهله قد أطاعوا الشيطان ولبوا دعوته واتبعوا أمره ورغبوا عن اتباع
 سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقته حتى أن أحدهم يرى أنه
 إذا توضأ وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اغتسل كغسله لم
 يطهر ولم يرتفع حدثه ولولا العذر بالجهل لكان هذا مشاقة للرسول

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ بالماء وهو قريب من
 ثلث رطل بالماء مشقي ويغتسل بالصاع وهو نحو رطل وثلث والموسوس
 يرى ان ذلك القدر لا يكفي لغسل يديه وصح عنه عليه السلام انه
 توضأ مرة مرة ولم يزد على ثلاث بل اخبر ان من زاد عليها فقد أساء
 وتعمد وظلم ، فالموسوس مسيء متعمد ظالم بشهادة رسول الله صلى
 الله عليه وسلم ، فكيف يتقرب الى الله بما هو مسيء به متعمد فيه
 لحدوده . وصح عنه انه كان يغتسل هو وعائشة رضي الله عنهما من
 قصعة بينهما فيها أثر العجين ولو رأى الموسوس من يفعل هذا لا نكر
 عليه غاية لا نكار وقال ما يكفي هذا القدر لغسل اثنين كيف والعجين
 يحلله الماء فيغيره هذا والرشاش ينزل في الماء فينجسه عند بعضهم
 ويفسده عند آخرين فلا تصح به الطهارة ، وكان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك مع
 غير عائشة مثل ميمونة وام سامة وهذا كله في الصحيح ، وثبت أيضاً
 في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان الرجل والنساء على عهد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأون من إناء واحد . والآنية التي كان عليه
 السلام وأزواجه وأصحابه ونسأؤهم يغتسلون منها لم تكن من كبار
 الآنية ولا كانت لها مادة تمدها كانبوب الحمام ونحوه ولم يكونوا
 يراعون فيضائها حتى يجري الماء من حافاتها كما يراعيه جهال الناس ممن
 يلي بالوسواس في جرن الحمام . فهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم - الذي من
 رغب عنه فقد رغب عن سنته - جواز الاغتسال من الحياض والآنية
 وان كانت ناقصة غير فائضة . ومن انتظر الحوض حتى يفيض ثم

استعماله وحده ولم يمكن أحداً أن يشاركه في استعماله فهو مبتدع ،
 مخالف للشريعة ، قال شيخنا - ابن تيمية عليه الرحمة - ويستحق التعزير
 البليغ الذي يزجره وأمثاله عن أن يشرعوا في الدين ما لم يأذن به الله
 ويعبدوا الله بالبدع لا بالاتباع . ودلت هذه السنن الصحيحة على أن
 النبي ﷺ وأصحابه لم يكونوا يكثرُونَ صب الماء . ومضى على هذا
 التابعون لهم باحسان قال الامام أحمد : من فقه الرجل قلة ولوعه بالماء
 وقال تلميذه المروزي وضأت أبا عبد الله فسترته من الناس لئلا يقولوا
 انه لا يحسن الوضوء لقلة صب الماء . وكان أحمد يتوضأ فلا يكاد يبيل
 اثرى . وثبت عن النبي ﷺ في الصحيح أنه توضأ من اناء فادخل يده
 فيه ثم تضرع واستنشق وكذلك كان في غسله يدخل يده في الاناء
 ويتناول الماء منه والموسوس لا يجوز ذلك ولعله أن يحكم بنجاسة الماء
 أو يسلبه طهوريته بذلك

وبالجملة فلا تطاوعه نفسه لا تباع رسول الله ﷺ وأن يأتي بمثل
 ما أتى به ابداً . وكيف يطاوع الموسوس نفسه أن يغتسل هو وامرأته
 من اناء واحد قدر الفرق - قريبا من خمسة أرتال بالدمشق - يغمسان
 ايديهما فيه ويفرغان عليهما فالموسوس يشمئز من ذلك كما يشمئز
 المشرك اذا ذكر الله وحده . اهـ

﴿ مشي المستبرئين في جوانب المسجد ﴾

يوجد في داخل بعض المساجد كالمدارس بيوت للطهارة فإذا
فرغ الموسوسون من البول قاموا يدورون في جوانبها ويتمايلون في
مشيتهم طلباً - على زعمهم - للاستبراء الا ان ذلك الفعل الشنيع على
مرأى من الناس والمسارة لعمر الحق انه منكر فظيع . وكما افضى الى
كشف عورة وتنجيس حائط وتلويت غافل واضاعة وقت وخلع
ادب . وقد جرد الكلام في ذلك الامام شمس الدين ابن القيم عليه
الرحمة في (اغاثة اللهياف في مصائد الشيطان) وعبارته : — ومن كيد
الشيطان — ما يفعله كثير من الموسوسين بعد البول وهو عشرة
اشياء السلت والنتر والنخنجة والمشى والقفز والحبل والتفقد والوجود
والحشو والعصابة والدرجة . أما السلت فيسنته من أصله الى رأسه
على أنه قد روي في حديث غريب لا يثبت ففي المسند وسنن ابن ماجه
عن عيسى بن داود عن أبيه مرفوعاً « اذا بال أحدكم فليمسح ذكره
ثلاث مرات » ^(١) وقال جابر بن زيد : اذا بلت فامسح أسفل ذكرك

(١) يمكن أن يراد فليمسح ذكره على الحجر ثلاث مرات كما جاء في
الحديث الآخر « وليستنجد أحدكم بثلاثة احجار » قال الشافعي : المراد ثلاث
مسحات . فالروايتان بمعنى واحد ولا حاجة لصرف رواية المسح الى ارادة
السلت لانه غير متبادر . وقول جابر المذكور ارشاد للتنظيف ، لا تفسير
للحديث ، كذا ظهر لي وفيه قوة بحمد الله تعالى . اهـ منه

فانه ينقطع . رواه سعيد عنه . قالوا ولانه بالسلت والنتر يستخرج
ما يخشى عوده بعد الاستنجاء قالوا وان احتاج الى مشي خطوات لذلك
ففعّل فقد أحسن . والنحنة تستخرج الفضلة ، وكذلك النفر يرتفع
عن الارض شيئاً ثم يجلس بسرعة . والحبل يتخذ بعضهم حبلاً يتعلق
به حتى يكاد يرتفع ثم ينخرط فيه حتى يقعد . والتفقد يمسك الذكر
ثم ينظر في المخرج هل بقي فيه شيء أم لا . والوجور يمسكه ثم يفتح
الثقب ويصب فيه الماء . والحشو يكون معه ميل وقطن يحشوه به
كما يحشو الدمل بعد فتحها . والعصابة يعصب بخرقه والدرجة يصعد
في سلم قليلاً ثم ينزل بسرعة والمشي يمشي خطوات ثم يعيد الاستنجار .
قال شيخنا - يعني ابن تيمية عليه الرحمة والرضوان : وذلك كله وسواس
وبدعة فراجعته في السلت والنتر فلم يره وقال لم يصح الحديث . قل
والبول كالأبن في الضرع ان تركته قر وان حلبته در . قال ومن اعتاد
ذلك ابتلي منه بما عوفي منه من لها عنه . قل ولو كان هذا سنة لكان
اولى الناس به رسول الله ﷺ واصحابه وقد قال اليهود اسامان لقد
عليكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة فقال أجل فقد علمنا نبينا ﷺ ذلك أو
شيئاً منه بل علم المستحاضة ان تتلجم وعلى قياسها من به سلس البول
ان يتحفظ ويشد عليه خرقة

﴿ اغتسال الرعاع في برك بعض المساجد ﴾

اعتاد كثير من الرعاع والسفلة والصغار والشبان أيام الصيف ان يغتسلوا في برك بعض المساجد أو المدارس ، وباليتمهم يتخذون السروال أو القميص أو بعض الخرق سترًا ، ولكنهم يغتسلون عراة الاجسام وهم فوج بعد فوج وزمرة بعد زمرة ويطول بينهم الخصام على بعض الامور وأحياناً يتلاكمون ويتضاربون فيجب على قيم الجامع أو المدرسة منع هؤلاء من هذه العادة القبيحة ولا يخفى ان اغتسالهم بهذه الكيفية من الامور المستذلة حتى في الانهر التي جرت عادتهم بالذهاب اليها أيضاً لهذه الناية ، ومع ذلك ففي فعلهم هذا من الاخطار ما لا تحصى وقائمه فكم سماع ان فلانا الصغير فقد ه امله ثم وجدوه في النهر ميتا محتنقا حيث انه لا يحسن السباحة أو لا يقوى على مصادمة الماء فيجب على اولياء هؤلاء ان يضربوا على ايديهم ويقوموا على تأديبهم لئلا يجنوا منهم سم سوء الاخلاق

﴿ خطيئة البزاق في المساجد ﴾

كثيراً ما يترأى للواقف على حافات البرك (البحرات) في المسجد بصاق أو مخاط في جوانبها من قبل جهلة المتوضئين مما تستقذره الانفس ، وهذه الخطيئة من السيئات التي لا تكفر الا بازالتها . روى الشيخان وغيرهما عن أنس رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ « البزاق في

المسجد خطيئة وكفارتها دفنها» وفي حديث أبي ذر عند مسلم قال :
 قال النبي ﷺ « ووجدت في مساويء أعمال امتي النخاعة تكون في
 المسجد لا تدفن » قال القرطبي فلم يثبت لها حكم السيئة لمجرد ايقاعها
 في المسجد بل به وبتر کہا غیر مدقونة وروی سعید بن منصور عن ابي
 عبيدة بن الجراح انه تنخم في المسجد ليلة فندسى ان يدفنها حتى رجع الى
 منزلة فاخذ شمعة من نار ثم جاء فطلبها حتى دفنها ثم قال: الحمد لله الذي
 لم يكتب علي خطيئة الليلة. قال فدل على ان الخطيئة تختص بمن تركها
 وعلة النهي ترشد اليه وهي تأذي المؤمن بها

— ٧ —

وضع ستائر في نواحي المسجد وهي الاعلام والرايات ﴿
 يوجد في بعض المساجد ستائر موضوعة على زوايا المسجد أو على
 جانب حائط أو على عمود فاذا سأل سائل عنها فقد يقال له ان هذا
 الستار لمقام فلان يعنون انه كان يحضر حيا هنا فيذبغي تقديس محله ،
 أو انه رؤى في النوم جالسا هنا فيجب صيانتة عن ابتذاله بالوطء
 بالاقدام ، أو انه حكى انه دفن فيه ، أو الاعلام بانتماء هذا المكان لفلان
 الى غير ذلك من الاوهام السيئة . ومعلوم ان نتيجة ذلك تغيير العامة
 والبسطاء بان ثمة مكانا شريفا أو وليا منيفا فيقصدون بالندور والتمظيم
 والخلف دون المولى العظيم وينتهي الامر بعبادته دون الله تعالى نعوذ
 بالله من الضلال

وقد تذكرت بهذا البحث ستارا موضوعا في جامع حسان ظاهر

باب الجابية قريبا من زقاق المكتبي - الذي فيه دار اسلافنا - هذا الستار مكتوب عليه « هذه راية سيدنا حسان رضي الله عنه » ونحو هذا وضعه شخص على زاوية الجامع القبلية الغربية عاماً طويلاً منقوشاً مزركشاً . والسبب في وضعه ان شخصاً حكى انه رأى حسان رضي الله عنه في تلك الزاوية فخطر لهذا العامي ان يسعى في عمل ستار لهذا الموضع احتراماً لهذه الرؤيا التي رؤيت عن شخص مجهول اما مغفل أو عامي أو مختلق لها فسترت تلك الزاوية وصار الداخل اليه يظن ان ثمة قبراً أو مزاراً والكثير من الجهالة يلمسها ويتمسح بها والحقيقة ما رأيت ^(١) . والاغرب زعم ان هذا المسجد ينسب لحسان بن ثابت رضي الله عنه الصمغاني الشهير ومنه تخيل هذا الرأي ما تخيل حتى انتقش في ذهنه ما رآه في نومه - ان صحت الرؤيا - والحال ان هذا الجامع نسب الى امام له يسمى حساناً ترجمه صاحب شذرات الذهب وذكر ان هذا الجامع ينسب اليه وذكر ذلك في تاريخي لدمشق الشام فليتنبه لمثل هذه النصب (الرايات) ، وليحذر مما تجلبه من التخيلات ، أو الاعتقادات الفاسدات ، وليجنب المسجد من مثلها من الزيادات المضرات

واذ كرني ايضاً ما حكى لي قيم المقام الداودي في بيت المقدس ان هذا المقام لم يكن له اثر في العصر المتقدم ولكن احده اجداده رأى رؤيا تشير الى أن هاهنا قبر داود عليه السلام فاصبح وطفق يهتم في

(١) قد ازيل في هذا العهد والله الحمد . ١ هـ . ضياء الدين القاسمي

تجديره وساعده من كان يعتقد رأيه حتى خط مكان القبر الذي دلّ عليه في الرؤيا وبني حوله مسجداً صغيراً وبقي كذلك الى أن اشتهر وصارت لهذا المكان مراتب سلطانية من بيت المال فهذا مجمل ما حكى لي (وليقس ما لم يقل)

— ٨ —

﴿ التمسح بالاعلام او الحيطان في المسجد ﴾

لا يتمسح بشيء الا الحجر الاسود — كما في كتب الفروع — وما عداه فلا يستحب التمسح به اذ لم يستحبه احد من الائمة قط . والتمسح الذي حدث في القرون الاخيرة اصله من اهل الكتاب كما بينه الغزالي في الاحياء فهو من التشبه بهم المنهي عنه . ومن اغرب الغريب في هذا الباب ما اخبرت به — وما كنت اظن وقوعه ولا ان عاقلا يفعله — وذلك اتخاذ موسم وعيد لكسوة احد مشايخ الطرق في القرن الماضي وجبته وذلك الموسم ميعاده ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان يجتمع في دار احد حفدة ذلك الشيخ او حفدة خلفائه جمع كبير يدعون له كثيراً من اهل الرسوم والمتعالمين والمتفقهة فيحضرون في تلك الدار وبعد ان يدار الذكر المعروف على طريقة ذلك الشيخ — والكل متعلقون حول صاحب الحفلة المتوج بطبزة كبيرة — وينتهي وقته يقوم المحتفل بهم ويأتي بحجة ذلك الشيخ المنتمي اليه وطبزته ويعرضها على الجالسين مرتباً فكل منهم ينزع عمامته ويضعها امامه ويلبس تلك الطبزة ومن فوقها الجبة ويقرأ ما يقرأ فخر بها

وجهره ويتمسح بها ويدلك بها وجهه ويلصقها بيدنه ثم يعطيها لمن بجانبه
وهكذا الى ان يتم الجمع وينفض المجلس وهم معتقدون انهم حازوا تمام
البركات والخيرات وان تلك الالبسة من أسعد الحالات

فانظر عافاك الله هذا الحال واعرضه على عصور السلف والخلفاء
الراشدين عليهم الرضوان هل تجد في تاريخ ماولوا في رواية موضوعه
ان احدا منهم جمع ناسا على جبة تابعي أو صحابي او اثر نبي أو شهيد كلا
ما السبب ؟ لا يخفى ان السبب هو العلم أعني علم حقيقة الدين وذوق
اصول اليقين والاعتماد على رب العالمين والقيام بمجاهدة النفس واصلاح
العلم والعمل حتى اذا لبس ثياب العلم من ليس منه بل ولا يعرفه العلم
ونسى العهد النبوي وتصدر كل دعي في الفضل اضحى يخترع لا تباعه
البسطاء - والعامة اتباع كل ناعق - ماشاء وشاء الهوى حتى اذا اختلفتها
النفوس ومضت عليها السنون وشب عليها الصغير وشاب عليها الكبير
ظن انها من الاصول الصحيحة والطاعات الرجيحة ولا نبهه يزجر ولا
فقيه ينكر اللهم الا بقية ربما كان الضعف يقعدهم وخوف سيطرة اهل
الفخفة يثبطهم لا تبلغ شكواهم ما وراء جدرانهم . هذا اصل الحال
فانظر ما يتولد عن البدع وما يتفرع عنها ، ولا حول ولا قوة الا بالله

- ٩ -

﴿ لجأ اليتامى والرجال البؤساء الى اووين المساجد ﴾

قل ان يدخل المرء مسجدا شهيرا في محلته الا ويرى في ايوانه عند
الصباح غلاما أو غلاما رث اللباس مستنقع السحنة ويكون يتما

لا مأوى له يأوى اليه ولا سند يعتمد عليه . وقد يجد في فناء بعض المساجد من هؤلاء اليوساء اليتامى زمرة ينامون ليلاً في العراء على سطح الارض وقد اتخذوا الحجارة مسنداً لرؤسهم والتحفوا السماء فمنهم من يضطجع على جنبه ويجمع رأسه الى رجله كما تفعل الكلاب امام النار ، ومنهم من ينضم الى رفيقه تخفيفاً لآلم البرد كما تفعل الغنم ، ومنهم من يمتنق كلباً يستدفيء به ، وكلهم لا مأوى لهم ولا لهم من يعولهم يقاسون من الشدة والبرحاء ما ينبغيك هذا الوصف عن الشرح

وحبذا لو أعار اهل اليسار نظرة الشفقة والمرحمة لهم فواسوهم بما آتاهم الله من فضله وتبصروا في انقاذ هؤلاء من هذا العذاب « وما هؤلاء المساكين الا بعض من كل » ولا ينسى المؤمن ما حث القرآن على اكرام اليتيم وحض على الاحسان الى المسكين في آيات عدة ، وكيف هدد المستأثرين بالمال أشد التهديد بقوله « كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث اكلاً لمّاً وتحبون المال حبا جما » وكيف آذن في سورة أرايت بان الذي يدع اليتيم أى يدفعه وينزجره هتكا لحرمة حقه ولا يحض على طعام المسكين هو المكذب بالدين بصيغة الحصر (نعوذ بالله من غضبه) ايذانا والله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم لو تدبروا هذا الوعيد الشديد فانا لله أذكر في رمضان سنة (١٣٢٣) ان فقيراً من أبناء السبيل مرض عند صاحب له من الفقراء فلما اشتد مرضه حاول ايواؤه في المستشفى فدفع عنه أولم يظفر بوساطة مطاع فأرجمه الى جامع السنانية ووضع

على التخت تحت سقف ايوانه الغربي والبرد قارس والهواء لاسع فقيض
 اللّٰمن الفقراء من صابر يخدمه ويسعى في اطعامه وهو على التخت ملقى
 ووقف على علاجه طبيب مغربي غريب عن البلدة دخل اتفاقا الى الجامع
 فرآه فصار يتردد لعلاجه ومعه ادوية ولم ار أحداً من أغنياء المصايين
 على كثرتهم - لاسيما في العشر الاخير من رمضان - اعاره نظر الرحمة
 أو رأى انه مطالب من الله بايواء مثله وتفقدته (فوا أسفاه وانا لله)
 واتذكر انا طبخناله في سدة الجامع وكنا معتكفين في الجامع طعاما
 فشم بعض الاغنياء الطموس على بصيرتهم راحته فانكر ان تكون
 في المسجد فقال له شمال المسجد « من انكر فليتهفضل بايواء هذا
 المريض وليكف الامام مؤونته » فبهت وكأنه ألقمه حجراً ثم ما لبث
 ذاك المريض ان مات والله يشهد ما داخلنا من التحرق على هذا الحال
 أفلا يجب على الاغنياء ان يتفكروا في اشادة ملاجىء عديدة
 مثل هؤلاء والاكتتاب فيها أو تبرعهم بتمريض من يرويه كذلك في
 دورهم واجرم على الله تعالى . وائن كان بني حديثا في دمشق مستشفى
 وقبله دار صناعة للايتام وكان لهما من الايادي البيضاء على الفيحاء ما لا
 ينكر ولكن بلدة كهذه من أين يتسع مكانان فيها السائر المرضى
 والايتام أفلا يكون أهل اليسار والا كابرهم المكلفون بذلك بلى والله
 ثم والله ، فقهم المولى في الدين ، وعلمهم التأويل ، ليذكروا الواجبات
 التي من وراء تركها عذاب الجحيم
 ومن راجع كرم السالفين من اغنيائنا يقف مدهوشا من بذلهم

كرايم الاموال والآثار النافعة كالمدارس والمستشفيات ولمواساة العجزة والأرامل واليتامى والمستضعفين ووقفهم عليها الاوقاف الدارة بالريع الكثير وغالبها الآن قد اندثر بسبب نسيان فعل الخير والاهمال الذي استولى علينا وفقد الاحساس والشعور بالمنفعة العامة التي عليها مدار بقاء هذا النوع الانساني من جهة وحياته وسعادته من جهة اخرى، بل شمل احسانهم للحيوانات فان السبلان التي في الطرقات اكثرها للرحمة بالدواب. تأمل الآن ترى بعض السبلان يتبرع جيرانها بعمل شباك من حديد لمنع الحيوانات من ورودها، قاتلهم الله انى يؤفكون

فوا أسفاه على انقلاب الحال وأكل الاوقاف ويبيع ما بقى . من أين فشا هذا في المسلمين ولم يكن معروفافى سلفهم ولا نراه في مخالفهم من الملل . نسينا ما كان لنا وتركناه ، فاخذة غيرنا وآواه

ولقد تذكرت فادحة ما سمع بمثلها في عصر من العصور : مدرسة في بيت المقدس موقوفة على الشاغمية وقفها السلطان صلاح الدين اضمحل أمرها وخربت سقوفها وتركت مأوى للبوم فتفطن لها بعض مياسير النمصارى .. وناهيك ما يبذلون لاعلاء كلمتهم وترسيخ شأنهم - فبذلوا من الدنانير ما أرضى الوسائط والسعاة فمنحتها الحكومة لهم وصارت كنيسة والتاريخ الصلاحي على باب حرما لم يزل . وقد ذهب بنى اليها أيام رحلتي للقدس عام ١٣٢١ أحد الاصحاب وقال لي راهبها ان هذه أصلها كنيسة كافي تاريخ الانس الجليل ، يعني فرجع الشيء الى أصله فسكت مدهوشا من هذا الحال ، وشؤم هذا التقهقر والاضمحلال . مع

إن السلطان صلاح الدين عليه الرحمة ما بنى تلك المدارس والزوايا حول المسجد الأقصى الا ليقصى اولئك الأعداء عن جواره ولا يمكن لهم القرب من اطرافه ، فاشترى رحمه الله من البيوت من جوانب المسجد الأقصى ما لا يحصى وجعلها مدارس لهذه الغاية علما بأن المدارس منها تأخر الحال فانها لا تباع ، ولكن لم يخطر له ان يأتي دور وأي دور ، وزمان وأي زمان ، تباع فيه المدارس بيع الكساة لأعداء الدين فانا لله وانا اليه راجعون

— ٩٠ —

﴿ ضرر اقامة الراقي في حجر المساجد ﴾

يوجد في بعض المساجد حجر يقطنها من يدعي معرفة الغيب ومستقبل الاحوال ، فيقبل عليهم أصحاب الحاجات المفقودة والذين يريدون معرفة ما يكون لهم وعليهم في مستقبل الايام ، وينتقدونهم الدرام في مقابلة حصو لهم على ما يبتغون منهم ، ومنهم من يقصدهم لأمراض وهمية أو وسواسية فيظهر لهم انه يرقى للأمراض والارياح المتسببة من مس الشياطين ويوهم ان لا دواء له الا تبليت الاثر أو الخط على الرمل أو الطرق بالحصى أو الحساب أو النظر في المياه ، ويسمونه المندل ، أو كتابة أسماء على سفلى القدم أو بدم الحيض أو على بطن المرأة أو بمائها الى غير ذلك من المنكرات المعروفة المشتهرة حكايتها أكثر من نوادر جحا ، فنعموذ بالله من هذا الحال ووا أسفاه على فشو هذه المنكرات ووا مصيبتاه على الاعتقاد بها وظهورها بين المسامين .

ألم يعلموا ما ورد من الأحاديث من كفر من اعتقد بمنجم وعدم قبول صلاته؟ ألم يعلموا أن البشر محجوبون عن الغيب إلا من أطلعه الله على شيء من عنده من نبي وملاك؟ فالواجب طرد هؤلاء من المساجد بل ومن غيرها والضرب على أيديهم وتعليم الرجال والنساء أن هؤلاء ضالون مضلون آكلون أموال الناس بالباطل دجالون في أخبارهم وما يقترحون « فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » وقد اوردت جملة من احوالهم في (تكملة كتاب الصناعات) للامام الوالد عليه الرحمة والرضوان في باب الرأ في الراقي فارجع اليه

- ١١ -

﴿ اخراج السيارات من المساجد ﴾

كان بدمشق كفرها من البلاد عادة شهيرة وهي ان مشايخ الطرق يخرجون بمريديهم وخلفائهم في أيام الربيع بموكب حافل يمتطون ظهور الخيل وينشرون الاعلام والرايات ويدقون الطبول فيجتمعون في مسجد خارج البلد أو في اطرافها اولاً ثم يترتبون ويسيرون وقد حوى موكبهم هذا من البدع ما حكى بعضه أحد الفضلاء بقوله : « لا تزال هذه الطوائف تبتدع اموراً تضحك السقاء وتبكي العقلاء وتحتال لطامعها البهيمية بما جلب العار على الامة وسلط علينا الاجني يهزأ بديننا ويقبح اعمالنا ظناً منه ان ما يجريه هؤلاء الجهلة من الدين فها لارجع هؤلاء الجهلة عن بدعهم والتزموا طرق اشياخهم الذين يدعون أنهم على آثارهم وما هم الا في ايدي الشياطين يلعبون بهم كيف يشاءون

أين تصفية الباطن التي هي مدار الطريق وأين الخول مع هذا الظهور
وأين التواضع مع ركوب الخيل والبغال يقدمها الطبل والمزمار وأين
البعد عن الناس مع هذه المزاحمة الدنيوية وأين البعد عن الرياء مع
الوقوف بين مئات الألوف يتمايل ويتلوى وأين الارشاد مع هذه
البدع وأين الاشياخ اذا أردنا السلوك ؟ فلعمري لا نرى الا رجالاً
اتخذوا الطريق وسيلة معاشية . اما أن لهذه البدع ان تموت ولهؤلاء
الجهلة أن يتنبهوا ويعاها وانهم بين امم ينظرون أعمالهم وينتقدون
أحوالهم ويكتبون عنهم ما يكتب عن الهمج وسكان البوادي . ان
الطريق السلوك للقوم مبني على الاخلاص في العمل وحب الخلوة
والبعد عن الناس والصمت عن اللغو وملازمة الذكر ومداومة السهر
فيه وفي التهجّد والزهد فيما في ايدي الناس والتمسك بالسنة والارشاد
الى الطريق المستقيم ، وأين هذه الاصول الشريفة مما نراه الآن من
الخروج عن الحدود واستبدال السنة بالبدعة وترك الشرع بهوى
النفس . والطامة الكبرى دعوى بعض الاشياخ وانتحال ما يضر
بالعقيدة واضلاله العامة بما ينقله اليهم عن الانسان الكامل ونحوه من
كتب الصوفية مدعياً فهمه لاشاراته من طريق الفتح أو الالهام فقد
كثرت النحل والبدع وسمعنا من اقوالهم ما ليس من ديننا ولا يقول به
أهل دين آخر . وقد اتفق ان أحد معتبري الاجانب دخل احدى
الاماكن وقد اجتمع بها جماعة من أهل الاهواء فرآهم يرقصون
ويصيحون صياح جنون فقال اترجمانه : ما هذه الغوغاء ونحن نعلم ان

صلاة المسامين في غاية الخشوع والآداب وهذه أمور ليست إلا هديانا . فقال له ترجمانه « ان هذه أكبر صلاة عندهم » يريد تنفيره من الدين الاسلامي ولا حول ولا قوة الا بالله . فالدين برىء من نسبة هذه البدع اليه فان سيرة النبي ﷺ معاومة محفوظة اذا لم يترك الحفاظ وكتاب السير شيئا من اقواله وافعاله وحركاته وسكناته الا دونوه ، وجاء الخلفاء الراشدون ومن عاصرهم على أثره ﷺ وكذلك جاء الصوفية المتقدمون على هذا الاثر فاما تشيخ الجاهلاء في الطريق التزموا البدع وجاء من لهم المام بكتب القوم فانتحلوا اقوالا لا يعرفون معناها وعاموها بليلة لا يفقهون فضلوا واضلوا ، انا لله وانا اليه راجعون . ومن المصائب الفظيعة تركهم الذكر الشرعي وقولهم « اللام الا الله » « لوالها الا الله » و « ال » بلام مغلظة و « اه » و « ره » ثم الرقص وأكل النار وضرب الدف أو الناي والنقارات والنقرزان ووضع الدبوس في الذراع والسيخ الحديد في الحنك والشيش وغيرها من المفتريات القبيحة لحق شيخ المشايخ منع هؤلاء الجاهلاء من اعطاء العهود حتى يعرفوا العقيدة والآداب الشرعية والفروع الفقهية ففي ذلك خدمة الامة والدين وتأيد لكلمة الحق المتين

— ١٢ —

﴿ وعظ النساء في مسجد خاص ﴾

كان يوجد في السنين الخالية من يعظ النساء في مسجد خاص ينتدب لذلك من كان تقيا غيوراً على تهذيبهن وتلقينهن واجبات الدين

واحكامه . اذكر منهم الشيخ عثمان الحوراني^(١) من رجال القرن العاشر
كما قرأته في ترجمته فكان يعتقد لمن مجلسا في الاسبوع يحضرن فيه يبت
فيه من المواعظ ما يلزمهن (رحمه الله ورضي عنه) وما احوج النساء
الآن الى واعظ سيما وقد انتشرت فيهن البدع والمنكرات واعتقاد
الخرافات والاضاليل ومخالفة الأزواج وما لا يحصى من المحظورات .
يقول قائل لو انتدب أحد لذلك لاتخذ هزوا من الجاهلين فيقال قد اتخذ
هزوا من هو أعظم قدرا منه وكذلك كل قائم بالحق ناطق بالصدق ،
ولكن الصالحين لا يهمهم سخرية الغافلين اسوة بالدعاة الى قويم الدين
ومن الأسف ان ليس للنساء في البلاد من يعظهن ولا من يتفكر في
عظتهن مع ما يعلم كل أحد من شدة الحاجة الى تعليمهن والعناية بامرهن
أفليس يجب على الأمراء والوجهاء والمياسير ان يندبوا لذلك من يروونه
كفوا في الفضل والكمال ويشوقوه لذلك ويعينوا له مسجداً يرشدهن
فيه في يوم معلوم ويحرسوا المسجد بمن يقوم على بابه ليحفظه من دخول
رجل اليه لعمر الحق ان هذا الاقتراح من اوجب الواجبات وآكد
المرغوبات وقد روى البخاري ومسلم وغيرهما ان النبي ﷺ كان يعظ
النساء يوم العيد في المصلى ويتخلل صفوف الرجال اليهن ويأمرهن ان
يحضرن ولو كانت حائضا وقال « ليشهدن الخير ودعوة المصلين » وقد

(١) ومنهم الشيخ أحمد الزاهد . قال الشعراي في طبقاته : وكان يعظ
النساء في المساجد ويخصهن دون الرجال ويعلمهن احكام دينهن وما عليهن من
حقوق الزوجية والجيران . اه ضياء الدين القاسمي

أدى تشديد الفقهاء في منع النساء من المساجد والجامع والدروس الى أن أصبحن في جهالة وأى جهالة وكأله من شؤم مخالفة الامر النبوي وما كان هديه معهن ، وانظر ما رواه الامام مسلم في صحيحه عن بلال بن عبد الله بن عمر عن ابيه قل قل رسول الله ﷺ لا تمنعوا النساء حظوظهن من المساجد اذا استأذنكم . فقال بلال : والله لمنعهن فقال له عبد الله اقول قل رسول الله ﷺ وتقول أنت لمنعهن . وفي رواية سالم عن ابيه قل فافبل عليه عبد الله فسبه سباً ما سمعت سبه مثله قط وقال اخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول والله لمنعهن . وعن مجاهد عن عبد الله بن عمر ان النبي ﷺ قال : لا يمنع رجل أهله أن يأتوا المساجد فقال ابن لعبد الله بن عمر فاناً تمنعهم فقال عبد الله احدثك عن رسول الله ﷺ وتقول هذا ؟ قال فما كلمه عبد الله حتى مات . رواه الامام احمد نقله في مشكاة المصابيح وأما قول عائشة لو علم رسول الله ما أحدث بعده لمنعهن ، فتعني بهن المتعطرات . كما في حديث : أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء . ولذا ترشد المرأة الى ترك التعطر والتبرج والافسد الباب لمن ابدا فيه فتح لجهالة لا غاية لها وهن مأمورات بالعلم والتعلم لانه فرض على كل مسلم ومسلمة وانى يتأتى لهن العلم ودونهن سبعون حجاباً عنه وما الاغرب الا ان لا يكون لهن حجاب الا عن العلم والتعلم وهن مأذونات من ازواجهن فيما عداه للبيع والتزاور بل والسفر ولو وحدهن ، فرحماك اللهم . واضحكني مرة ان بعض الفقهاء المتعصبين لما بلغه ان بعض النساء يقتدين به في رمضان في العشاء والتراويح ارسل

يقول لمن لينفرهن : انى لا انوى الامامة بكن . يعنى انه على مذهب
الحنفية اذا لم ينو الامامة بمن يأتى به لا تصح صلاة المؤتم . فانظر
يارعاك الله ماذا يجنى التعصب ولا حول ولا قوة الا بالله

— ١٣ —

﴿ الصادون عن تدفئة المساجد في الشتاء ﴾

يعلم كل أحد شدة الحاجة الى تدفئة المنازل والبيوت والمساكن
في أيام الشتاء لا سيما في البلاد الباردة التي يقضي أهلها في مقاساة
الم البرد واسع هوائه قريبا من نصف عام ، وقد يشتد قرس البرد في
خلالها الى درجة تسلب الراحة وتكدر العيش وتشوش الفكر
وتضطرب الاكثرين الى ملازمة البيوت والفقراء الى ضروري القوت
وترى من اضطر الى الخروج من داره لحرفة او تكسب في حالة يرثى
لها من احديداب ظهره وتقوس قامته واعوجاج شقه وتخدير وجهه
دع عنك رجف الفقير واقشعرار بدنه واصفرار وجهه وتقلص شدقه
وسيلان انفه ، وقد وصف شيئا من حال المسكين وعناؤه في الشتاء
الامام الوالد عليه الرحمة والرضوان بقوله :

ذهب الربيع بوده وبلينه واتى الشتاء ببرده وبطينه
اما الفقير ففي الشتاء هلاكه من همه في همه وعجينه
وبسقف بيت عياله من وكفه وبرجفه من برده وانينه

وما الطف ما قاله العارف الشهير الشيخ عبد الغنى النابلسي في

هذا المعنى وهو :

حلف الشتاء بأنه لا يذهب^١
 والريح قد ساءب الغصون ثيابها
 والبرد أسكت في الرياض طيورها
 والنار توقد في البيوت وانها
 والناس قد لبسوا الفرا مع انهم
 والشمس قد غطى السحاب شعاعها
 بردت وقد لبست عليها فروة
 وتفوح أطعمة الشتاء ببهارها
 ولهم حلاوات يشوقك أكلها
 وضعوا ستائرهم على أبوابهم
 هذا صنيع الاغنياء لانهم
 وخواصر الفقراء ترجف ما لهم
 واحسرتاه وما لهم من مسعف
 والله حافظهم على ما هم به
 ومسبب الاسباب رازقهم ولا
 والقصد أن المسكين لا يرد عنه عناه في الشتاء الا الدفء ولا يداوي
 مرضه فيه إلا الاصطلاء . ولذلك تراه اذا رأى مصطلياً هرول اليه
 وتراى بكايته عليه وكثير من العامة يمضى أواخر ليله في الحمامات
 ونهاره في القهوات (نعوذ بالله) ، فراراً من عواصف البرد اللاسعة
 ونساءه السامة ، فاذا حضر وقت الصلوات أقبل الجمهور على المساجد

فهو المقيم الى الربيع يشيب^٢
 وأقامها عسريانة تنقلب
 من بعد ما كانت تقوم فتخطب
 تدعى بفاكهة الشتاء فتعذب
 يعيا عليهم حملهن ويتعب
 فالوجه منها بالسحاب منقب
 مما يحياك لها السحاب المسهب
 من كل نوع يستلذ فيطلب
 من كل ما تهوى النفوس وترغب
 حتى تراهم في البيوت تحجبوا
 يجدون حاجتهم اليهم تقرب
 ثوب يقى برداً وعزاً للمهرب
 يحنو عليهم والمعيشة تتعب
 والعجز ما نعيم بأن يتسببوا
 سبب يؤثر والمهين أقرب

يؤدون فريضة الله ولا تسأل عن حالهم حين يشمرون عن سواعدهم
وارجلهم ويتحلقون على برك المساجد للوضوء مما يبتهج الناظر من
تأثير الايمان في النفوس وأخذهم بمجامع القلوب ثم يؤدون الصلوات
وينصرفون بعدها وقد يبقى العاجز والمتعب في المسجد ولكن يعاني
من بقائه فيه ألماً لبرودته بل ربما تالم البعض في بعض المساجد الكبيرة
في حال اداء الصلاة فان أكثر المساجد الكبيرة لا يطاق المكث
فيها في الشتاء لولا ضرورة العبادة وما أظن أن المشاهد الأربعة التي في
الجامع الأموي بنيت إلا لان تكون مصل في الشتاء لمن يأتي المسجد
من اطرافه من جيرانه لصغرها فالناس لا يستغنون في الشتاء عن
المساجد ولا يتركونها مهما اشتد البرد وقرص الهواء إلا أن الناظر اليهم
والى معتكفيهم يرثي لهم . وقد رأى بعض الموقفين أن يؤخذ من ربيع
وقف المسجد جانب يصرف في الشتاء لتدفئة المساجد بما دخن تدفئ
هواءه وان ذلك سهل على الموقفين من النظار ، حسنة للفقراء وغيرهم ،
مدعاة لاقبال الناس على العبادة وادائها بخشوع ولعمري أنه رأي يرضاه
الله ورسوله وكل مؤمن . ولقد هم بعض الناس في بعض الجوامع به
فقام يدفع في وجهه بعض الحمقى ويقول : ان المساجد لا تكون بيوت
نار وقد حدثت أخيراً أن في بعض البلاد الباردة غير السورية مدافئ
كما طلبنا في مساجدها ، والله ما يفعل الجبل بأهله والتقول في الدين
من المتصوّلين وعسى أن يتنبه لهذا الخير أهله ويجعلون المواقف في
جهة المسجد الشمالية لتكون خلف المصلين والله الموفق والمعين

﴿ شقاء خدمة المسجد بالتهاون بالجماعات ﴾

يوجد في أغلب المساجد تهاون من قوامه في اداء الصلوات بالجماعة الاولى فترى المنور (الشعاع) يشعل المصباح و صلاة المغرب تقام ورأيت في بيت المقدس أيام رحلتي اليها (عام ١٣٢١) من يشعل القناديل مع أذان الفجر ويبقى الى ما بعده بحصة طويلة

ومنهم من يشغل نفسه بكناسته ولم قامتة قبيل أذان الظهر بحيث يدخل المصلون ويرون الحرم ملآن من غبار الكناسة وذلك لكي يقال ان كناسته غير مقصر في خدمته وهذه آثاره

ومنهم من ينادي بالصلاة خارج باب المسجد ويبقى خارجه ويكمل تدخين سيكارة أو يذهب بشئونه

ومنهم من اذا فرغ من أذانه انمطف على باب المسجد وذهب يغتسل من جنابته في الحمام او الى دكانه ومتجره . ومنهم ومنهم . الخ وبالجملة فثل هؤلاء ما رعوأ أدب المسجد حق رعايته ولا عرفوا مقام التعبد حق معرفته ظنوا أن القصد أداء هذه الوظيفة في المسجد فحسب تعيشا منها وان هذا هو المطلوب منهم وما وراءه من عبادة الله وخشيته والادب في بيته لا يعلمونه ولا يريدون أن يعلموه سيما وأكثرتهم من الجهل على ما رأيت مع تعاسه الحال تحت الم فقر المدقع والجهل المركب فانا لله فما أحراهم أن يتنبهوا ويتعلموا ويتفقهوا في الدين ويخرجوا من ظلمة الجهل الى نور المعرفة أرشدهم

﴿ الرغبة عن ايقاد زيت الغاز الى الزيت البلدي ﴾

يعلم كل ذي بصر وبصيرة ما لهذا الزيت الغاز المعروف المحبوب من البلاد الاجنبية من قوة الضوء وزيادة النور في المكان بحيث اذا اراد المرء أن يقابل بينه وبين ضوء الزيت البلدي أو الشمع يجد بونا ظاهراً . ولما نشأ أبناء هذا العصر على زيت الغاز وشبوا عليه وشابوا اصبحتوا يكرهون أن يوجد مكان ينار بالزيت البلدي لقلة ضوئه المتعب للبصر والمظلم لزوايا المكان والمغم للقلب . أمر بديهي لا ينكر . رأيت أيام رحلتي للقدس أن منير قناديله يتعاني في انارتها زمنا طويلا ولا يفيد نورها الضياء المطلوب في مثله والذي جرت به العادة في غيره من البلاد ، فسألته لم لا تنيرون بزيت الغاز فقال انه رخيص الثمن والمسجد الاقصى غني بأوقافه والزيت البلدي أغلى ثمناً فلا يعدلون عنه الى الغاز . فقلت : أليس لنظاره نظر صحيح حتى يجدوا التفاوت بينه وبين الزيت البلدي ، ألا ترى ظلمة المسجد في زواياه وأطرافه وقلة ضياء قناديله والعناء في ايقادها في حصة طويلة ، أو لا يعلمون أن هذا العصر غير العصر السالف ، وكلاما نحو هذا . فقال : هكذا يأمروني . فعجبت وعلمت أن التقاليد القديمة والافكار المنحرفة سائرة في معظم الجهات ولو أنير هذا المسجد بالغاز ووفر ما يبقى من موازنته مع الزيت البلدي ورد إلى تحسينه لكان أولى . نبههم الله وهداهم إليه

﴿استنكار من ليس بمعتم أن يؤم في الصلاة أو الانكار عليه﴾

« ومثله من ليس له جبة »

يتمق احياناً في المساجد أن لا يحضر امامها الراتب في وقت ما
اعذر لديه ، فاذا حضر المصلون وحان وقت اقامة الصلاة يضطر المقيم
أن ينظر في الحاضرين ليختار من يقدمه اماماً ، فقد يتفق أن يرى في
القوم من يليق أن يؤم بالحاضرين ولكنه غير معتم بعمامة فربما يشير
عليه أن يتقدم ويؤم فيتباعد ويستنكر أن تصح امامته بلا عمامة أو
يليق لها وهو غير معتم فاما أن يتجافى عنها متصاعراً دونها أو متورعاً
واما أن يخرج من جيبه منديلاً فيعصب به رأسه تشبهاً بالمعتمين .
وقد يتفق أن يتقدم بحالته من غير عمامة ، فيراه متعصب فيقع فيه ،
وياً كل لحم أخيه . أو يحوقل ويسترجع . وقد يكون قحاً لا يميز بين
صحيح الحديث وموضوعه ويكون طرق سمعه من بعض الحشوية
أحاديث العمامة في الصلاة وفضلها والثواب عليها فيأخذ في ايرادها
ليحتج بها على قبحته غافلاً عن أنه لم يصح في ذلك حديث أصلاً وأن
ما روي في ذلك فكه موضوع لا يحتج بمثله في الاصول والفروع .
كما بينه السخاوي في المقاصد وغيره . اذا علمت ذلك تبين لك ان من
الجهل الزام أحد بعمامة في الصلاة او التزامها وتكلف التعمم وان
لازياء لا دخل لها في العبادات اصلاً ولا حاجة بنا الى الاسهاب في

تأييد هذا المقام فانه من البديهيّات الاوليات لكل من فهم حقيقة الدين نعم لا بأس أن نورد هاهنا لمتعصب ما يحججه من مشربه وان كان المقلد لا يفيد الدليل كما قال ابن سهل « فما أضيع البرهان عند المقلد » فتقول روى الرويانى وابن عساكر عن ابن عباس أن النبي ﷺ « كان يلبس القلانس تحت العمام ويغير العمام ويلبس العمام بغير قلانس وكان ربما نزع قلنسوته فجعلها سترة بين يديه وهو يصلي » وكذا يقال فيمن ليس له جبة أو لا يتزيا بها فتري بعض العامة يأمر من يخلع جبته لتعطى لمن أراد أن يؤم قوماً بلا جبة أو يأمر بنزع زناره من وسطه ليشبه ثوبه الجبة كأنها مما لا بد منه حقيقة أو صورة وكل هذا من عدم الفقه في الدين . وقد عقد البخاري في أوائل كتاب الصلاة باباً للصلاة في الثوب الواحد اسند فيه عن عمر بن أبي سامة أنه رأى النبي ﷺ يصلي في ثوب واحد ، واسند أيضاً عن أبي هريرة أن سائلاً سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة في ثوب واحد فقال رسول الله ﷺ « أو لكلكم ثوبان » وقد استحب صاحب (التجنيس) من الحنفية عليهم الرحمة والرضوان أن يصلي المرء مكشوف الرأس للتذلل والتضرع . ويرحم الله الملك الامجد لقوله :

له نظرات كرد الحقد شزرها لما ضمنتته نفسه من سخائم
فما الفضل في أهل الشرايش سبة ولا العلم مخصوصاً بأهل العمام

والآخر القائل :

واني لأدبا بالعمائم ان ترى على ارض اولى بهن المقائم^(١)

— ١٧ —

﴿ واجبات بواب المسجد والمدرسة وبيان ضرر غلق ابوابهما ﴾
قال التاج السبكي في معيد النعم : من حقه المبيت بقرب الباب بحيث يسمع من يطرقه عليه والفتح لساكن في المكان أو قاصد مقصدا دينيا من صلاة أو اشتغال أي وقت جاء من اوقات الليل . وما يفعله بعض البوابين من غلق الباب في وقت معلوم من الليل إما بعد العشاء الآخرة أو في وقت آخر بحيث اذا جاء أحد السكان أو المريدن للصلاة لا يفتح له غير جائز الا ان تكون مدرسة شرط واقفها ان لا يفتح بابها الا في وقت معلوم . وفي صحة مثل هذا الشرط نظر واحتمال : وأما لو شرطه في مسجد أو جامع فواضح انه لا يصح . هذا كلام السبكي بحروفه ، وانظر كلامه الرهيب رحمه الله على من يفعل من البوابين ايلا ما ذكره وتأمل ما يفعل في بعض المدارس الآن من غلقها نهرا مع الحاجة الزائدة الى مائها واخليتها فبعضها يفتح بابها وقت الصلاة فقط اذا كانت تقام بها الجماعة وما لا تقام بها تغلق ابوابها في أغلب الاوقات طول النهار فتري من يقصدها من المارة لوضوء أو قضاء حاجة في بيوت اخليتها أو لغير ذلك يأوب بخيمة وبعض قاطنيها

(١) جمع مقنع بالكسر كقنعة : ما تقنع به المرأة رأسها . والقناع بالكسر

اوسع منه اه قاموس

أما نائم أو متوسد لا يبالي أو في عشرة وشراب الشاي أو لا يوجد فيها
أحد. ومن خطأ بعض المتصوّلين القاطنين في بعض المدارس المطروقة
أن لا يفتحوها إلا وقت الصلاة وقد سئلوا عن غلقها في النهار فاجابوا
حتى لا يدخل الى اخليتها بعض الكفرة المجاورين . فانظر الى هذا
الاستنباط العجيب وتأمل هذا الفقه الغريب فانا لله

أفلا يعجب المرء لسكرم من اوقف من الساف ، واحتكار وبخل
من قطن من الخلف . أو لا يعمون أن أهل الذمة لهم مالنا وعليهم ما
علينا . أو لا يدرون « أن كل معروف صدقة » . أو لا يسمعون حديث
البغية التي غفر لها بسقى كلب واغائه . فما بالك برحمة انسان ورد لهفته .
ما عهد في عصر ما ان تمنع بيوت الاخلية من واديتها على طبقاتهم
وملأهم ونحلهم . اذا ضن هذا المتصوّل بيت خلاء ما بناه ولا أشاده
وسيطر عليه كيف يرجى منه سخاء أو معروف أو نجدة لسواه .
أف لهذا التصوّل الذي الجهل بعقل خير منه ، ويرضى الله عن الامام
على حيث يقول « قصم ظهري اثنان : عالم متهمك وجاهل متنسك »
فانا لله والمستعان بالله

والقصد أن غلق أبواب المساجد والمدارس في النهار لا يجوز
اجماعاً إلا اضرورة . والاضرورة تقدر بقدرها . وأما في الليل فيجوز
اغلاقها اذا كان فيها ما يخشى عليه من سارق . ويجب على بوابها أن
يبين خاف بابها لانه قدّر له مرتبه لذلك (وكل مرتب من جهة
الوقف لا أمر فلا يحل تناوله إلا برعاية ذلك الامر وأدائه والقيام به)

والا فتناوله سحبت وآ كاه انما يأكل في بطنه ناراً
 وكم جر تساهل البوابين على المساجد والمدارس والجيران من
 السرقات ما لا يحصى : فكم سجادة سرقت من مسجد ومدرسة ، وكم
 حجرة نهبت ، وكم من حائط نقب منها وتوصل منه الى دكان تاجر
 فسرق ما فيها . ولو كان ابواب المساجد وهو خادمه عين لا تنام
 كالحارس لما وقع شيء من ذلك ، فوا أسفاه على شروط الواقفين الضائعة
 وعلى التهام أموال الوقف بانفس طامعة ضارة غير نافعة

— ١٨ —

﴿ تخلف الكثيرين عن الجماعات وهوهم عنها ﴾

كان يقول بعض اللطفاء « وجود الفقراء والبؤساء من النعم
 الكبرى لا فامة شعائر الدين اذ لو كان الناس طبقة واحدة في الثروة
 والجاه لما رأيت للاحتفالات الدينية شعاراً إلا نادراً » وقصده التأسف
 على تخلف كثير من الاعيان والا كابر والامراء عن اقامة الجماعات
 في الصلوات الخمس . والحق له . وذلك لان القائم بالشعار الديني في
 المساجد في الحقيقة هم الفقراء والمتوسطون من التجار وازباب الحرف
 وأما الا كابر فلا يحضرون المساجد إلا في الجمعة والعيدين ونادراً في
 غيرها نعم يأتون المساجد ليالي المآتم لتعزية وجيه ، فالبصير بحالة
 الاحتفالات في العبادات والمعتبر بالقائمين بها يأسف أن لا يرى
 للاعيان حضوراً يذكر . نعم لا ننكر ان الامراء والموظفين قد
 يشغلون عن الحضور في اوقات الجماعات بما لديهم من اداء الوظائف

ولكن القصد ان يدعموا رابطة الاحتفال بهذه العبادة ولو في بعض ايام الاسبوع او في الاوقات التي يفرغون بها من اشغالهم كالعشاء .
أما الصبح فهذا من المأیوس حضور الاكابر فيها باجمعهم وكذا حضور اغلب وأكثر المتوسطين اذ لا يقام شعارها إلا في الشتاء لطول الليل وتألم الجنب من الاضطجاع . والغالب في مقيمها البؤساء جداً .
نعم قد يحضرها بعض الموفقين من التجار ، وهم لا يتجاوزون عدد الا نامل . ووصول الحال الى هذا الاهمال يرثى له ، فان حق الشعائر الدينية أن تقوم بها الامة على طبقاتها سيما وشكر المنعم جل شأنه على الاكابر وجوبه مضاعف لما غمرهم به سبحانه من فضله ورزقه واحسانه وأمدّهم به من جميل افضاله . ومعلوم ان ايتاء هذه النعم ابتلاء منه تعالى واختبار لمقدار قيامهم بالشكر كما قال تعالى « وهو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً » وقال تعالى « كلوا من رزق ربكم واشكروا له » فالأجدر بهؤلاء المترفين أن يكونوا في طليعة المتعبدين . حذراً من أن يصدق عليهم الطغيان بالغنى فيكونوا ممن نزل فيهم « كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى » والعاقل يحذر العواقب ويخشى مولاه حذراً من ضياع عقباه ويكون ممن نزل فيهم « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة » ولا يتوهم انا نقول بوجوب الجماعة في سائر الصلوات وان قال به بعض الأئمة فان الحرج مرفوع عن هذه الامة في العبادات والمعاملات . ولكن ما انتفت الأعداء فيلزم لأداء الصلوات في

الجماعة وفي أوقاتها البدار احياء للهدى النبوي وسنة الخلفاء الراشدين
وتدعيم الشرائع الدينية

-- ١٩ --

﴿ احتكار الكتب الموقوفة في بعض المساجد ﴾

يوجد في بعض المساجد الكبيرة كتب موقوفة على طلبة العلم
مشروط نظر القيام عليها الى امامه أو مدرسه فتراه مقفلاً عليها في
خزانة الكتب او في حجرة الجامع ولا أحد يدري بها وان درى فلا
يكون من السهل الوصول الى استعارتها واذا سمح باعارتها لأهلها
فتراه يخرج الكتاب بتأفف وتضجر ويتبع المستعير بصره وقد يموت
الناظر عليها ويرث مفتاح الخزانة أو الحجرة طفل له أو جاهل وهناك
لا من مفتش ولا سائل فتري الكتب تموت تلفاً ويأكلها العث مما
يأسف له كل عاقل . أعرف من هذا الشيء خزانة في جامع لا يدري
أحد ما فيها من الموقوفات الا ناظرها ولا يجسر أحد أن يسأله عما
ضمنته لكبر سنه وشيخه ، واعرف حجرة في احد الجوامع الكبيرة
ملاى من الكتب الموقوفة ما كان يعرفها أحد من العلماء في حياة
ناظرها الا أولاد الواقف وبعد موته ورثها من أولاده صغار في العلم
والسن فوا أسفاه على عدم تفقدها وتعريضها للهواء (على الأقل)
وعندي ان الذي يريد وقف كتب في هذه الازمنة عليه أن يجعل
مقرها عند عالم نبيه مجد في العلم ساهر عليه يعلم قدر الكتب ومبلغ
حاجة أهل النباهة الى كتبه ثم من بعده فعلى المكتبة العمومية في البلد

كمكتبة المدرسة الظاهرية بدمشق مثلاً ليعمَّ النفع بها من بعده
ويصل اليها كل مستفيد ، بل أعرف من الكتب الموقوفة في بعض
البيوت القديمة ما يهم الوقوف عليها لو أمكن الوصول اليها ، وأنني
بالوصول ومناط الثريا دونه ، لوجوه لا تخفى ، وفي الإشارة ما يغني
عن الكلام

— ٢٠ —

﴿ الايصاء بالمصاحف والربعات والسجادات في مساجد لا تحتاج اليها ﴾
« من أمارات طمس البصيرة جهل مصرف المال »
« وحسبان كل أمر في محله »

أكثر الاغنياء لا يصرف بعقل ولا يبذل بعقل وكذا أكثر
الوصايا يرى العاقل امورا جديدة بالايصاء بها وهي مفقودة من
الوصية وأموراً لا ينبغي الوصية بها أو من السفه وتقليد الآباء ذكرها
وهي مثبتة في صدر الوصية ، التعجب من ذكر ذلك وأيم الحق لفن
الايصاء فن يجب دراسته على كل عالم كامل وحكيم خبير ، أتدري
ما السبب السبب ان المال عزيز على النفس لا يوصل اليه الا بشقها وقد
حرّم تبذيره كما حرّم أكله أفليس من الاسف صرفه في غير مصرفه
وقد ركب في جمعه صاحبه كل صعب وذلول ، ويؤمن انه مؤمن بالله
والرسول ، واأسفاه على مال جمع كذلك ان يبذل في سبيل لا يحمد
فاعله عليه ، ولكن ما العمل والوراثة الآبائية مستحكمة فينا استحكام

المكروبات من صاحب الدق . اذكر من ذلك أن كثيراً من المياسير يوصي بمصاحف عدة أو بمصحف أو بربعة أو بسجادة الى جامع غني عنها فهذا من الايحاء الذاهب سدى ، فان الجوامع الآن امتلات بالمصاحف المخطوطة والمطبوعة والربعات ولا من قارئ الا ما ندر كرمضان وساعات من بعض الايام يقرأ فيها في المصاحف من عشر الموجود فيها ترى مع هذه الحال من يوصي بها الى الجوامع وكذلك السجادات ، وقد رأيت في بعض الجوامع سجادة حضرت من وصية والجامع غني عنها نقيطت فوق سجادة وكل ذلك من جهل الموصي والكاتب اذ يرغبون في كتابة وصية كيفما اتفق ، وكثيراً ما يكتبها جاهل يمشي مع رأى الموصي حذو النعل بالنعل ولو استشير عالم حكيم لأشار بالنافع والصالح في توزيع هذا المال على السبيل المرضي ولكن لا يستشار ولو استشير فلا تقبل اشارته . قال لي مرة بعض جيرانني اريد أن اوصي بسجادة الى الجامع الفلاني والجامع غير محتاج اليها فقلت تفقد جامعاً فقيراً من جوامع اطراف البلدة فقال لي « تلك الجوامع قليل مصلوها واريدها جامعاً اذا بسطت فيه كثر عليها المصلون فيعظم الثواب » تأمل هذا الفقه وهذا الاستنباط

وقد علمت من احوالهم انهم لا يبتغون وجه الله وانما يقصدون الرياء والسمعة لان الجوامع الكبيرة كثير طارقوها فاذا هلك وحضرت سجادته سيما في وقت اجتماع الناس وتحلقوا عليها وتساءلوا عن القادمين بها وقيل هذه سجادة من وصية فلان فهناك اللذة الكبرى على زعمه

والشبهة العظمى ، لذة الرياء والشبهة يحرم عليها ولو جيف وصارت
عظامه نخرة . فاننا لله ، اللهمنا المولى رشدنا ووفقنا لتعلم العلم والفقهِ
في الدين

— ٢١ —

﴿ غرس الاشجار في المساجد ﴾

جاء في حواشي الدر ان العلامة ابن أمير حاج الحنفي ألف رسالة
رد فيها على من جوز غرس الشجر في المسجد قال لان فيه شغل ما اعد
للصلاة ونحوها ، وان كان المسجد واسعا أو كان في الغرس نفع بثمرته ،
والا لزم ايجار قطعة منه ولا يجوز إبقاؤه أيضا لقوله عليه الصلاة
والسلام « ليس لعرق ظالم حق » لان الظلم وضع الشيء في غير محله
وهذا كذلك انتهى . ووافقه على ذلك المحقق ابن أبي شريف الشافعي
وفي الاقناع وشرحه من كتب الحنابلة : يحرم غرس شجر في مسجد
لان منفعته مستحقة للصلاة فتعطيلها عدوان فان فعل قلعت الشجرة
فان لم تقلع فثمرها لمساكين المسجد وغيرهم اهـ

— ٢٢ —

﴿ إملال القراءة باطالة القراءة وكذا غيرهم ﴾

من القواعد المقررة في كثير من ابواب الفقه في العبادات
التخفيف في أدائها في صورتين كتخفيف امام مسجد جامع يؤم قوما
غير محصورين ، وتخفيف المصلي اذا كان ثمة من ينتظره او جالس اليه ،
تخفيف الامام اذا سمع الصبي يبكي وامه تصلي معه ، وتخفيف الخطبة ،

مما هو معروف في السنة . والقصد اداء العبادة بنشاط وحضور قلب وشوق وذلك لا يكون الا مع التخفيف والاعتدال فاما تنفير القلوب بالتطويل الممل فذلك مما ياباه العقل والشرع ، وما اطيل ذيل أمر مما الا استنكرته الطباع ونفرت منه النفوس . جبلة جباب على ذلك وفطرة خاقت عابها « لا تبديل خالق الله » . اذا علمت ذلك تبين لك ان ما اعتاده كثير من القراء في الدروس او في رمضان او بعد الصلوات من اطالة الاشارة اطالة تنفر قلوب السامعين امر ياباه الشرع والذوق وقد يوقع في محذور عظيم ويجر الى كبيرة عظيمة كأن يكره استماع الآي وحضور مجالسها والسبب في هذا الاثم جهل القاري بالادب المطلوب في حقه ، ولذا جاء في الحديث لما نبي الى النبي ﷺ من يطيل في القراءة في الصلاة « ان منكم منفرين » اي والقصد هو جذب القلوب وتشويقها الى الخير واستماع الحكيم لا تنفيرها ، ولذا قل ﷺ « يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا »

هذا الباب كما يدخل فيه ما ذكر من املال القلوب في اطالة الحصة بآيات القرآن يدخل فيه اطالة الدروس والخطب والصلاة وكل ما ينتفع به العامة ويخشى من املالهم تنفيرهم وانصراف قلوبهم . ومعلوم ان القلوب متى سئمت عملا ذهب حضورها وخشوعها وهو الثمرة المقصودة منه

ذكرت مرة لبعض وجهاء المغاربة من اخواننا ما يعتاده المغاربة بعد وفاة ميتهم من احياء ليال ثلاث بقراءة القرآن الى مطلع الفجر

ما يضر بالقراء واهل الميت والاصدقاء اذ القراء لا بد ان يسأموا ويملوا
 يذهب روح عملهم بذهاب نشاطهم ، ولا يخلو احد منهم من عاجز
 به من يصعب عليه احياء الليل بتمامه وطول هذا السهر فيكون جلب
 المضرة له لا يفي بما يُعطى من الاجرة التي يبلغ بها قوته الضرورى ، وكذا
 يشق على اهل الميت انتظار فراغ القراء الى ان يقدموا لهم الطعام
 آخر الليل وطبخه فيه ، وكذا الاصدقاء والاقارب فقد ينجل احدهم
 من الذهاب ويضطر الى المكث ويتحمل من الآلام ما لا تطاق ،
 وليس هذا من هدى النبي ﷺ ولا السلف فان لم يمكن استئصال
 هذه البدعة بتمامها فلا أقل من التخفيف فيها

وكذا يقال فيما اعتاده أغنياء الشام من احياء ليلة دفن ميتهم
 بالقراء في المقبرة الى الفجر وقد تكون الليالي شاتية والرياح عاصفة
 فيضطرون للخروج من هذا الفرض - الى اخراج مواقد نار
 وادوات شاي وقهوة وسد اطراف الخباء المنصوب على القبر ويقاسي
 هؤلاء القراء من العناء ما الله به عليم . أفهكذا تكون الصدقات
 والقربات وأعمال الخير . من أين جاءهم هذا ؟ جاءهم من الجهل الكبير
 وعدم الرجوع الى رأى عالم نحرير وفقدان التفقه في الدين . ترى أموالا
 طائلة تذهب من الاغنياء في ما تمهم بمثل هذا الحال وترى لهم من البخل
 في مواقع الانفاق التي يرضاها الله ورسوله ما لا يوصف ، فانا لله .
 فليتنبه العقلاء وليراجعوا أنفسهم وليتوبوا الى الله وليقاعوا عما أوقعهم
 في خسران الدنيا والآخرة

﴿ تفريق اجزاء القرآن والقاريء يقرأ ﴾

كانت العادة في دمشق ان تمزى أهل الميت في مسجد محلته الكبير ثلاثة أيام صباحاً يتوافد عليه من يعزبهم من بعد الفجر الى ان تطلع الشمس وترتفع ولذلك يسمى الاجتماع المذكور (صباحية) . وكان يحصل من ذلك حجب الناس عن صلاة الصبح وهم الذين يأتون الى المسجد لادائها بعد جماعتها الاولى فاذا دخل أحد ينجل ويدهش لهذا الجمع فلما ان يصل في زاوية المسجد على استحياء واما ان يرجع الى ايوانه وقد يكون الوقت شاتياً والبرد قارساً

عادة استمرت قروناً لا تحصى الى ان ارتأى من نحو عشر سنين أحد الاكابر الاجتماع بعد العشاء ففعل في أحد المساجد وقلده سائر الناس في الشام فالآن لا يجتمع للتعزية الا بعد العشاء ثلاث ليال فارتفع بها ضرر حجب المصلين الا انه بقي من المحظورات في هذا الاجتماع شيء وهو انه جرت العادة ان يؤتى بقاريء أو قراء يقرأون اعشاراً كل واحد بعد الآخر وفي الخلال يقوم خادم المسجد فيفريق اجزاء القرآن على الحاضرين فيقرأ كثير منهم ، وكان نهائهم أحد الشيوخ عن الجمع بين الشئئين وقال لهم اما ان تفرقوا الاجزاء وتأمرؤا القاريء يقرأ سرّاً أو تأذنوا للقاريء فيقرأ جهراً ولا تفرقوا الاجزاء ، وذلك لما يحصل من التشويش على القارئ برفع صوت القاريء . الا ان هذه العادة أيضاً تركت في كثير من الجوامع الشهيرة وذلك باحضار قاريء

يقرأ حزبا طويلا أو سورة من المفصل والناس يستمعون إلا من لا
فقه له ممن يتكلم والقارىء يقرأ نعوذ بالله - وفي بعض الجوامع المادة
الاولى موجودة فينبغى التنبيه لاصلاحها

وكان كثير من الحفظة بعد ختمهم اعشارهم يهللون وينشدون
ويحصل في المسجد ضجة كبرى فاقتصر الآن على قراءة عشر يختم بعده
قارئه بالدعاء وفيها تخفيف من بدعة الضجة الشنيعة . نعم لم تزل الضجة
بعد العشر في الجامعين الكبيرين بدمشق بسبب اجتماع المؤذنين في
السدة واشتغالهم بالانشاد لقصائد معروفة لهم ويا حبذا لو أمكن
ابطال هذه الضجات والصيحات بل ابطال هذه المجامع للتعزية المسماة
بالصباحيات لانها من البدع المنكرات

— ٢٤ —

﴿ غضب الملازمين لوراء الامام على من يزاحمهم ﴾

في أغلب المساجد الكبيرة جماعة يلازمون منها ما وراء الامام
من قبالة المحراب فيأتون للمسجد قبل الصلاة ويأخذون مصافهم
وامكنتهم المعينة لان كل واحد منهم له مكان من تلك البقعة معين
لا يحيد عنه غالبا فقد يتفق ان يأتي من الناس من يظن وجود فرجة هناك
أو يأمل ان يفسح له فان كان الآتي من ذوي الوجاهة في علم أو منصب
اغترفوا له وان كان من طبقة غيرها فنهم من يلصق في مكانه ولا يتفسح
وان كان المكان قابلا للتفسح ، ومنهم من اذا أحس بقدومه يتربع
ليأخذ قدر الفراغ المظنون ويضيق عليه فاذا اقيمت الصلاة ودخل

أحد فإن كان المكان فيه اتساع بعد الإقامة تسامحوا في هجومه وإن لم يكن فيه اتساع كاف إلا أنه يمكن لهم أن يتفصحوا فهناك لا تسأل عن غرائبهم فمنهم من يترك مكانه ويذهب للصف الثاني حرداً وقد ملئ غيظاً وغضباً ومنهم من يشير له بالرجوع ويقول ما ثم مكان ومنهم من يلفظ ويتأفف ويخوّل ويخاصم همساً وقد يكمل لخطه بعد الصلاة إذا يكون قد ر في نفسه وهو في الصلاة ما يقرّعه به ويوبخه على فعله وقد يتفق أن يأتي أحد يلزم معهم جديداً فقد يسبق أحدهم إلى مكانه ويجلس فيه فإذا قدم هذا الملازم القديم ورأى مكانه أخذ فتارة يحد إلى آخر الصف ويلحظ مكانه بطرف خفي متأسفاً ومتغيظاً على هذا الذي اغتصب مكانه وقد لا يسهه الصبر فتراه يجاهر ويقول له « يا أخي لسنا أولاد البارحة واليوم في هذا الجامع نحن من أربعين سنة نصلي في هذا المكان فأين الذوق » فتأمل ما يأتي به هؤلاء الجهلة وتأمل عبادتهم المحشوة رياء وعجباً وكبراً وهل مثل هؤلاء للخشية في قلوبهم أثر أو لثمرة الصلاة فيهم وجود ؟ كلا فما احوجهم إلى مرب ومؤدب والمستعان بالله . وقد سبق لنا في بحث الأيطان في المسجد ما يقرب من هذا البحث وفي التكرير ايضاح وتأكيد

﴿ ازدحام المتفرجين على الحمل في بعض المساجد ﴾

من المعروف احتفال الحكومة بحمل الحج ذهاباً من الشام وإياباً من الحجاز في موكب تدعى له الامراء وأرباب الرتب وتتقاطر

التفرج على هذا الموكب عدا عن أهل الشام من لا يحصى من أهالي
القرى بل والبلدان النائية عنها كحما وبيروت سيما في هذه الايام التي
قربت فيها المسافة بين الشام وغيرها بواسطة الواور، ثم ان الطريق
لمسير هذا الموكب هو من سراي العسكرية الى قرية القدم قرب قبة
العالى فتصطف الناس على جنبات هذا الطريق في دكاكينه وطرقته
وسطوحه وقهاويه وييوته التي على الطريق في غرفها العليا والسفلى .
ومن يناله حظ من ازدحام الناس فيه لا ينتظار ممر الموكب المساجد
التي على هذا الطريق الطويل العريض وناهيك ما فيه من مساجد
وجوامع وخانات فترى النساء والاولاد والرجال يأتون تلك المعابد
وينتشرون على أبوابها وفي صحنها وعلى شبائيكها وربما أتوا من بعد
صلاة الفجر الاولى احتكارا للاجلاس في موضع من شبائك يطل على
الموكب والمارة، ولا تسلم عن ارتفاع الاصوات وكثرة الضجيج من
الأطفال والبنات وطرح فضلات الطعام أو الفاكهة أو قشر ما يؤكل
في جوانبه واختلاط الرجال بالنساء على الابواب والشبائيك سيما اذا
هجم الحمل فهناك الازدحام الاكبر وكثير من قوام المسجد كائنته
وخطبائه أو خدمته يأتون باهاليهم اليه نساء واطفالا نذكر هذا
الحال لمخدوره في المساجد التي هي موضوع كتابنا والمخدور فيه
ما ذكرناه . ورأى في ذلك ان تغلق ابواب المسجد الذى على طريق
الموكب من بعد الشمس الى انفضاض هذا الجمع وبه تندفع هذه
المخدورات وما عداها مما قد يكون اكبر منها . والمطالع بذلك ناظر

المسجد والمسيطر عليه لأن كل ما يعود الى المسجد بالضرر والأذى
فأثمه محمول على ذي النفوذ الحقيقي فيه

وقد بلغني ان جامع المصلّى في طريق الميدان يغلق أيام الفرج
فشكرت قوّامه على ذلك ووددت ان تتأسى به بقية الجوامع

لا أذكر هنا ما حكاه الباجوري في حواشيه على شرح الغاية عن
الشافعية من تحريم التفرج على المحمل أو كسوة مقام ابراهيم ثم نقله
عن البلقيني جوازه ، لأن مثل هذا مبني على قاعدة لهم ان ما حرم
استعماله لا يجوز النظر اليه لئلا يكون كالإقرار عليه . وزعم البلقيني ان
هذا صار من شعار الاسلام فلا يتناوله حكم التحريم

ولا يخفى ان التحريم لشيء انما منشؤه ما يتكون عنه من
المحذورات ولو في تربيته للملكة فاسدة أو تنميته لبذور الفساد في النفس
أو الغير . وبنسبة قوة ذلك وضعفه يتنزل حكم التحريم أو الكراهة .
فليتخذ المرء هذا قاعدة ولينظر . وقد قال ابن تيمية رحمه الله اذا اشكل
على الناظر أو السالك حكم شيء هل هو الاباحة أو التحريم فليتنظر الى
مفسدته وثمرته وغايته فان كان مشتملا على مفسدة راجحة ظاهرة فانه
يستحيل على الشارع الامر به أو اباحته بل يقطع ان الشارع يحرمه
لا سيما اذا كان طريقه مفضيا الى ما يبغضه الله ورسوله

﴿ بسط بعض المصلين سجادته فوق سجادات المسجد ﴾

سئل شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن يبسط سجادة في

الجامع ويصلي عليها هل ما فعله بدعة أم لا . فأجاب بأن الصلاة على
السجادة بحيث يتجرى المصلي ذلك فلم تكن هذه سنة السلف من
المهاجرين والأَنْصار ومن بعدهم من التابعين لهم بإحسان على عهد
رسول الله ﷺ ، بل كانوا يصلون في مسجده على الأرض وفي شدة
الحر يبسط أحدهم ثوبه فيسجد عليه . وكان عليه الصلاة والسلام يصلي
على الخُمْرة وهي نسج ينسج من خوص . ولا نزاع بين أهل العلم في
جواز الصلاة والسجود على المفارش إذا كانت من جنس الأرض
كالخُمْرة والحصير ، وإنما تنازعوا في كراهة ذلك على ما ليس من جنس
الأرض كالأنطاع المبسوطة من جلود الأنعام وكالبسط والزرابي
المصنوعة من الصوف . وأكثر أهل العلم يرخضون في ذلك أيضاً ،
وهو مذهب أهل الحديث كالشافعي وأحمد ، ومذهب أهل الكوفة
كأبي حنيفة وغيرهم

وهؤلاء الذين يفترون السجادة على مصليات المسامين من الحصر
والبسط يزددون بدعة على بدعتهم وقد يكون أحدهم له غلو الوسوسة
فيرتاب في طهارة مفروشات المسجد لوطء الأقدام أو زرق الطيور
مع انه علم بالتواتر أن المسجد الحرام ما زال يطأ عليه المسلمون على
عهد رسول الله ﷺ وعهد خلفائه وهناك من الحمام ما ليس بغيره ويمر
بالمطاف من الخلق ما لا يمر بمسجد من المساجد ثم انه لم يكن النبي ﷺ
وخلفاؤه واصحابه متفقين على ترك المستحب الافضل ويكون هؤلاء
اطوع لله واحسن عملاً من النبي ﷺ وخلفائه واصحابه فان هذا خلاف

ما ثبت في الكتاب والسنة والاجماع وقد يجعلون ذلك من شعار أهل الدين فيعمدون ترك ذلك من قلة الدين ومن قلة الاعتناء بأمر الصلاة فيجعلون ما ابتدعوه من الهدي الذي ما أنزل الله به من سلطان أكمل من هدي محمد ﷺ وأصحابه وربما تظاهر أحدهم بوضع السجادة على منكبه وإظهار المسابح في يده وجعله من شمار الدين والصلاة وقد علم بالنقل المتواتر أن النبي ﷺ وأصحابه لم يكن هذا شعارهم وكانوا يسبحون ويعقدون على أصابعهم وربما عقد أحدهم التسبيح بحصى أو نوى والتسبيح بالمسبح من الناس من كرهه ومنهم من رخص فيه لئلا يمكن لم يقل أحد أن التسبيح به أفضل من التسبيح بالأصابع وغيرها وإذا كان هذا مستحبا فقصداً لإظهار ذلك والتميز به عن الناس مذموم فإنه إن لم يكن رياء فهو تشبه بأهل الرياء إذ كثير ممن يصنع هذا يظهر منه الرياء ولو كان رياء بأمر مشروع لكانت إحدى المصيبتين لكنه رياء ليس مشروعاً وقد قال تعالى « ليلباؤكم أيكم أحسن عملاً » قال الفضيل بن عياض رضي الله عنه أخلفه وأصوبه (والفتوى طويلة مهمة فلتراجع)

— ٢٧ —

﴿ تغير ماء البحرات أيام انقطاع الماء ﴾

العادة في دمشق في أواخر الشتاء أن تقطع مياه أنهارها أسبوعاً أو أكثر وذلك لزعم أرباب الفلاحة أن المياه في شباط تضر المزروعات فيقطع ورودها على الحقول وتترك على نهر بردى وكثير من هذه الأنهار تسقى دوراً ومساجد وحمامات بد من تصل إليها فإذا سكر

النهر من مبدإه انقطعت المياه عن المساجد فقد يبقى في بحراتها الكبيرة ماء فيتركه خدمة المسجد بزعم الحاجة اليه لوضوء المصلين فلا يلبث هذا الماء ان يظهر التغير فيه مادام موجوداً وذلك لان اغلب الجوامع الشهيرة يردها من المصلين من لا يحصى وكلهم يرجعون غسالة ايديهم وارجلهم وافواههم الى ماء البحرة فلا تسلم عن حالة الماء في قذارته وكراهة الانفس السليمة له كراهة لا توصف ، ومعلوم ان مثل هذا مما لم يأمر الشرع به فان الماء لم يوصف بالطهور الذي هو صيغة مبالغة في الطهارة التي هي النظافة المضاعفة الا لاستعمله كذلك فاذا فقدت الطهارة المذكورة فأنى تكاف الانفس خلاف فطرتها . ومعلوم ان كثيرا من الأئمة ذهب الى ان الماء المتغير لونه بصبغ يسلب طهوريته فكيف المتغير بأوساخ الارجل والايدي والافواه التي تعاف النفس رؤيته كذلك فضلا عن اعادته للفم بضمضته او غسل الوجه به وهو غسالة الاقدام

ودعوى فقيه أنه لم يتغير لونه دعوى من لم يفهم سر التشريع فان مثل هذا الماء تغير جوهره تغيراً يحظر الاطباء استعماله وذلك لان مسألة الجراثيم والميكروبات التي مقييلها الافواه أصبحت من الضروريات التي انكارها كانكار الشمس طالعة ، فالواجب على خدمة المساجد متى انقطع ماء بحراتها أن يغودوها ، أو أن انظار المساجد يعملون للبحرة غطاء ويعمرون لها أنابيب مثل بحرة بيت المقدس فهناك لا بأس من أن تستعمل بل هكذا ينبغي ولو كان الماء جاريا

إذ ترى الماء مع جريانه اذا كثرت عليه الايدي يعوم على وجهه من
آثار النخاعات ووسخ الارجل ما يظهر لشكل ناظر

— ٢٨ —

﴿ تحجير بعض السقايات المسبلة بشباك حديد ﴾

اللهم إنا نعوذ بك أن نكون من الجاهلين . رحماك اللهم مما يفعل
الجهل باهله وما يؤثر عمي البصيرة في ذويه وما يجلبه استبداد الجاهل
من الآفات لا يستطيع القلم وصفه ولا اللسان التعبير عن بعضه يكاد
يندهش العقل ويتفطر القلب من اعمال يستبد بها الجهلة مما لا ينطبق
على عقل ولا ذوق . يعلم كل احد ما لحسنات السلف الاقدمين من شق
الانهار وحفر الآبار واجراء القنايات وتسبيل السقايات في كل صقع
وقطر سيما في دمشق فان سقاياتها العامة في شوارعها وحاراتها وعلى
أبواب مساجدها لا يأخذها الحصر . هذه السقايات (وهي البحرات
في لغة العامة) سبيلها من سبيلها ليعم نفعها وترتقى بها المارة على طبقاتهم
من حيوان وإنسان ارتفاقا لا تحجير فيه ولا تضيق على قاصديه ولم
يزل أمرها جميعها على هذا السبيل الحميد حتى أخذ بعض الجاهلين
الحق الآن يحجرون بعض هذه البحرات تحجيرا غريبا اتبعوا فيه
وسوسة الشيطان وذلك أن بعض الناس تفكر في أن بعض هذه
البحرات في الشوارع قد تدنسها جيرانها القذرة منهم كاحام وسمان
وحمصاني وذلك بغسل او انهم داخلها مما يكدر ماءها فآل به التفكير الى ان
تأمر مع جيرانه في التعاون على وضع شباك حديدي على هذا السبيل

وفتح طاقة منه مقدار ما تسمع يد المغترف ففعلوا ملبين هذا المشروع
 وقد لزم من هذا المحذور حرمان الدواب التي تمر ظمأى وكانت ترد
 هذا السبيل فتشرب منه وهي المقصودة بالذات في الاغاب لكثرة
 طروق الدواب في الشوارع اذ لم يمكنها الشرب منه لحجز هذا الشباك
 الحديدي عنه ولزم ايضا رفض الوقوف عليها اذا كان يوقف على حافتها
 فتعذر ذلك على المتوضي ولزم من ذلك تغيير صفة الواقف ومعاكسة
 رأيه في تعميمه النفع ، ولزم ايضا الشح بمال الغير المتصدق به والتعرض
 للوعيد الشديد فقد روى البخاري عن ابى هريرة ان رسول الله ﷺ
 قال : ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة ولا يزيكهم ولهم عذاب اليم رجل
 كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل . الحديث . وروى ابن
 ماجه عن ابى هريرة مرفوعا « ثلاثة لا يمنعن : الماء والكلاء والنار » قال
 الحافظ ابن حجر في فتح الباري « واسناده صحيح » وثم مضار آخر
 وبه يعلم حرمة هذا التحجير حرمة لا خلاف فيها . وما الا عجب الاسخاء
 الانفس للتعاون على مثل هذا الضرر وبخلهم في الضروريات معلوم .
 وما ذاك الا لطمس البصائر . نعم لا ننكر ان تقدير الماء لا يجوز وغسل
 الاواني والايدي القذرة فيه محذور طبيا وشرعا لما لا يؤمن من انتشار
 جراثيم مضره دع عنك تقدير الماء الذي بمجردده يكفي لنفور النفس منه
 الا ان حق الجيران ان ينهوا مقدر هذا السبيل اشد النهي ويأخذوا
 على يديه حتى اذا لم يجد فيه الوعظ ولا النهي فليرفع امره الى المحتسب
 ليضطره الى ترك ذلك او مبارحة هذا السوق كلياً ، وتأثير تعاضد

الجيران في بلوغ النهاية امر لا ينكر ، بل لانجاح الا بالتعاقد والتعاون
اذ التفرق والتخاذل آفة النجاح ، وقد اتفق ان علم بعض الناس بأضرار
شباك حديدي استحدث في بركة جانب مسجد فسمى في ازالته فازيل
وشكر العقلاء سعيه

ويقرب من هذا الشباك ما يفعله بعض الناس من تغيير حافة
البحرات بقلع احجارها المبسوطة المفروشة التي يتمكن من الوقوف
عليها لغتريف او متوضي ، واستبدالها باحجار مسنمة لا يوقف
عليها مع التعويق عن بعض الارتفاقات منها . وقد ذكر مضرات
ذلك لمن سئم حافة بحرة فتذكر واعادها لبلاطها الاصلى المفروش
وتاب من هذه الزلة واناب . فليتنبه لهذه المنكرات وليسع الغيور
في ازلتها

— ٢٩ —

﴿ اجتماع الفقراء لتقبل صدقة اسقاط الصلاة في المسجد ﴾

جرت العادة بدمشق اذا توفي احد الاغنياء ان يجتمع الفقراء على
باب داره اجتماعا بنسبة ثروته فان يكن من المشاهير في الثراء يتقاطر
اولئك البؤساء افواجا افواجا وقصدهم اخذ ما تيسر لهم مما يوزع عن
الميت فاذا هجموا وتجمعوا وضاق بهم اهل الميت ذرعا فهناك يندبون
من اصدقائهم رجلا جلدا له قوة وصبر على معاناة صياحهم والحاكمهم
ويأمرهم غالبا باتباعه الى مسجد جوار دار المتوفى ويحشرهم فيه ويغلق
به ويأتي بالشيخ الذي يدير عليهم صرة اسقاط الصلاة فكلما فرغ من

شخص اعطاه الموكل على توزيع الصدقات سببه وهكذا الى ان يفرغ الكل . والكلام في هذه الحالة من وجوه :

(اولها) ان جمعهم في المسجد ينضي الى صياح وخصام مما ينبغي صون المسجد عنه وان كانت الصدقة في المسجد جائزة الا انها اذا افضت الى الاخلال بحرمة المسجد فلا جدر بها ان توزع في غيره

(ثانيها) حالة هؤلاء الفقراء المسمين (بالكلايب) في اجتماعهم وتواتحهم وفجورهم وبذاءة لسانهم وقلة حيائهم حالة من افطع الحالات وانكر المنكرات وتالله ان هجومهم وضوضاءهم لتنسي اهل الميت مصابهم وان شئت فقل تضم الى مصابهم مصابا وتحشر الى آلامهم آلاما وكأنهم يتقاضون غرامة او حقا لازما او دينا حل أجله لما حل بالميت أجله وكففيهم من جلد وقوى البنية وشاب . نعم يوجد بينهم المستحق للصدقة ولكن شؤم المجموع يعود على الجميع وقد يضطر اهل الميت في مثل آخر ثلاث من وفاته لكثرة عددهم على باب داره ومحييهم من العصر ان يستأجر من جنود الحكومة وشرطتها ثلاثة او اكثر او اقل ليقفوا على الباب لرد هجماتهم ودفع غارتهم وما راء كمن سمعا ونواديرهم في ذلك معروفة في الشاميين وحسبنا الله

(ثالثها) في مسألة اسقاط الصلاة بالكيفية المعروفة قال متأخرو فقهاء الحنفية اسقاط الصلاة وان كان لا اصل له في كتاب ولا سنة فهو امر احتياطي باستحسان المشايخ كما اذا تطوع به الوارث في الصوم قالوا والواجب فيها ان يطى للفقير عن كل فرض نصف صاع اى او

قيمته انتهى . اقول وحينئذ فيحسب مقدار ما فرط فيه من عمره من
 الصلوات احتياطا ويخرج عن كل ما تركه ان كان من اهل الثروة
 والسماحة وان لم يقدر على ذلك فيخرج عما يمكنه وأما الایهاب
 والاستيهاب مرارا بين الولي او وكيله والفقير فلا حاجة اليه ولا معنى
 فان القصد ابتاء الفقراء ما تيسر من الخنطة او الدراهم كفارة ولا
 يكلف المرء الا مستطاعه فلا يستطيعه لا يكلف ان يحتمل عليه سيما
 في امر غير منصوص عليه وامره على رجاء ، كما يحكى عن الامام محمد
 انه قال : تجزئه ان شاء الله فملاق القبول على المشيئة . وبالجملة فالذي اراه
 ان قياسها على الصوم لا يقل عن قياس كثير من الامور التي قاس
 عليها الفقهاء فكما ان للصوم فدية فكذلك لا مانع ان يفدى ويكفر
 عن المتروك من الصلاة سيما وفي ذلك مواساة للفقراء وهو المقصود
 بالذات فيمكنني الولي ان يجمع من الفقراء ما شاء ويعطيهم صاعا او قيمته
 او اكثر وينوي بقلبه ذلك كما في الزكاة ، فانهم قالوا انه يعطيها للفقير
 وينوي بقلبه اداء ما فرض عليه . واما هذه الحالة المعروفة من ادارة
 الصرة مرارا واجهر للفقير من الولي او وكيله بقوله : خذ هذه كفارة
 صلاة ، ففيها اخلال باصول الاداء للزكوات والكفارات ، اذ المطلوب
 الستر على الفقير وابتاؤه سرا لاجهرا وعدم تأليم خاطره وجرح عواطفه .
 وهذا الذي اراه هو من الفقه بمكان وفيه جمع بين من يقول من
 المحدثين وبقية فقهاء المذاهب الاخر انها بدعة ينبغي تركها فيسمى بمنع
 خير للفقراء وبين من يديرها على الكيفية المعروفة ويرى انها لا تجزي

الا كذلك مما يدل على جهوده على التقليد البحت للمقلدين لانها لم ترد
عن امام متبوع ، وقد اتفقوا على انه لا يقلد المقلد
وبالجملة فينبغي الحافها بالزكوات ومراعاة آداب أدائها فيها ، والله
الهادي

— ٣٥ —

﴿ قيام بعض المدرسين أو السامعين لبعض القادمين ﴾
يحتفل في كثير من المساجد بتجامع عامية حديثة أو تفسيرية ،
فيتحلق السامعون حول المدرس حسب العادة ، فيتفق أن يأتي
لحضور هذا الدرس أمير أو وزير أو قاض أو عالم كبير ، فربما يقوم
المدرس أو بعض من حضر ويرى ذلك اكراما ضروريا . والحال أن
القيام حالئذ من السخافة والطيش بمكان ، اذ يدل على عدم معرفة
القائم بادب الدرس ، وأدب الدرس كأدب النفس ومن الواجب تعلمه
كما تقرر في موضعه من كتب الآداب . ولا ننكر ان القيام من
الاکرام ، ولكن لا في كل مكان . أرأيت لو اصطفت الناس
للصلاة ودخل أمير أو وزير فهل يخطر ببال أحد ان يقوم له
اذا رآه ؟ كلا وما ذاك الا لاقتضاء المقام ذلك وهكذا في الدرس فلا
يسوغ القيام لداخل مطلقا مهما عظمت رتبته ، واکرامه هو ان يتفصح
له لتذهب عنه دهشة الدخول ، والسبب أن في القيام قطعاً للقراءة
والتقرير والسماع والاسماع وتشويش فكر القارئ وتفريق الهمة
المنظمة وفتح باب الكلام والغض من حرمة المقرء وقد يكون حديثاً

أو تفسيراً بل التأمم حينئذ يسقط قدر نفسه في نظر العقلاء ، ولذلك لا ينبغي قطع تقرير الدرس ولا التوقف ولا اظهار الدهشة كما لا ينبغي الاعراض والازراء بالغض واطهار عدم الاكثرات بل يبش ويشير اشارة المحب ويمضي في تقريره ، نعم من كان يدرس في داره أو حججته نحواً أو صرفاً لطالب أو طالبين ولا احتفال هناك تخير القارىء بين ان يقوم أو يبقى على حالته وهو الاولى حتى اذا فرغ من الدرس قام له وصاحفه كما هو طريقة اشيائنا العقلاء في مجالس دروسهم في دورهم ومساجدهم فليحذر من كان في سفل ان يقوم لداخل بعد ان ذكرت لك ما هو الواجب في ذلك

— ٣١ —

﴿ احترام افنية المساجد ﴾

من البديهي الذي لا يخفى على كل من له مسكة من عقل ان المساجد والاماكن التي بنيت لعبادة الله تعالى يجب احترامها عن كل ما يخل بتعظيمها ، فقد أتينا على جمل مما ينبغي تعاهده داخلها وقاعدة ذلك هو طرح كل بدعة فيها منكرة وبقي الكلام على منكرات في فنائها تخل بجزءها فمن ذلك طرح قمامات حولها أو تقذير جوانبها أو البصاق أو التخط على حيطانها أو ايقاد نار حول حائطها أو جمع تراب العمارات الى جانبها أو وضع الاخشاب مسندة الى أركانها أو ربط الحجير على حديد شبائيكها وهذا المنكر الاخير قد يخل به بعض الجهلة الاغبياء فيربط حماره جانب المسجد ويتركه ينهق ويملاء المسجد بنهيقه فيؤذي المصلين بصوته

المنكر ونهيته المؤلم ولا يدري صاحبه بعادته ماذا ينال المصلين
والعاكفين من الانزعاج بهذا النهيق فانا لله . فيجب على كل من رأى
ذلك انكاره على صاحبه وكفه والقيام على التسهل بتقدير جوانبها
أو اشغالها وتعليمه قدرها والله الموفق

— ٣٢ —

﴿ التهليل في المسجد لمن يتوفى من أمته أو خدمته ﴾

« ثالث ليلة بين العشائين »

« والبحث في التهليل ودعوى نفع الميت بها »

يقام في بعض المساجد تهليل لمن يتوفى من أمته أو خطبائه أو
مؤذنيه أو خدمته بين العشائين ثالث ليلة من وفاته ويراه البعض حسنة
كبرى لذلك يأتي أحد اغرباء المتوفى أو اصدقائه ويرجو امام المسجد
ان يترك درسه ليلتئذ ويمشي الى المنشدین ورؤساء الاذكار ان يأتوا
ليذكروا فاذا اجتمعوا وتحلقوا يأخذون بالذكر على عادة التهليل،
والمحظور من ذلك هو رفع الصوت في المسجد والتشويش على
المصلين ولا سيما في اوقات الشتاء فان ما بين العشائين يكون المسجد
مورداً لمصلي المغرب، فاذا دخل المصلي المسجد ورأى ضوضاء
الذاكرين يضطر الى الرجوع فيصلي اما في ايوان المسجد ويناله من
ضرر البرد ما يذهب خشوعه واما ان يصلي في المسجد جانب اولئك
الصارخين . والقصد ان فعل هذه التهليل في المسجد محظور لما ذكرنا،
وأرى في هذه الازمنة قل الاعتناء بها في المسجد والحمد لله رب العالمين

وعهدي بها وأنا صغير انها كالواجب لكل من مات من قوام المسجد
وانها من قضاء حقه كما ان التهايل بطبيعة رقي الافكار وتنبيهها قل
أمرها في الشام . انما اتكلم على التهايل وحظرها من حيث ما ذكرت
لانه متفق عليه بين الفقهاء فان رفع الصوت في المسجد وتعاطي ما يصد
عن الصلاة فيه في أي وقت محظور اجماعا وبقي الكلام عليها من
حيث عملها وادعاء نفع الميت بها وانتفاعه . والذي أراه ان الذي ينفع
الميت هو الصدقة عنه من توزيع دراهم واطعام طعام بنيته والادعاء له
وأما الذكر بالكيفية المعروفة من انشاء الموشحات والتعطيطات وهز
البدن وتخليع الاعضاء وتمديد الايدي ورفع الاصوات وشدة
الضجبات فليس الا من قبيل الاجتماع الاغاني والرقص الا انه غناء
ورقص كاملين مستورين وليس غناء مخنثين ولا فاسقين واما دعوى
انه قربة الى الله ومثوبة وانه من الدين فيخشى على معتقده ما يخشى على
من يتخذ دين الله هزواً ولعباً ورقصاً وغناء فنعوذ بالله ان نكون من
الجاهلين . ولذلك ما كنت ارى في التهايل شيئاً حسناً الا اطعام
الفقراء من طعامها وتوزيع دراهم على رؤساء حاضريها وما عدا ذلك من
الذكر المعروف فيها فما هو الا تمضية وقت في انشاء لطيف وانغام
جميلة وموشحات متنوعة يكون الذكر كالقرار لها اذ لا بد المنشدين
من صوت ساذج يربط النغم لهم ولا ربط مثل ربط اصوات الذاكرين
لذلك ترى الذاكرين في تقرير النغم للمنشدين واصوات المنشدين
كالثيء الواحد المتماصك بعضه ببعض ولو انه خلت عن تمطيط لفظ

الجلالة التمثيط المستنكر لكل ذي عقل لكانت جمعية انشاد فيها
تسلياً لاهل الميت اما وفيها التمثيط بكامة الجلالة وكلمة التوحيد
واعتقاد القربة بها ونفع الميت بها وانها من الضروريات لنجاته ومثوبته
فلا ولا كرامة

وقد ألف في تحريم التهليل فقيه الشام في المتأخرين السيد
ابن عابدين رسالة الا انه بناها على فرع فقهي وهو عدم جواز أخذ
الاجرة على التلاوة - احد قولين عند الحنفية - ولم يسلم له ائتماد
هذا القول فألف في الرد عليه معاصره وصديقه العلامة الشيخ صالح
الدسوقي خال جدتي لوالدي ونقل عن فروع فقهاء الائمة الاربعة جواز
ذلك اعني أخذ الاجرة على التلاوة ، ورد على العلامة ابن عابدين أيضاً
العلامة محمود افندي ابن حمزة مفتي دمشق وغيرها وسمعت شيخنا
الحلواني استاذ المقرئين في الشام - وقد جرى ذكر رسالة ابن عابدين
ومن رد عليه - يقول : لو ان ابن عابدين بنى رسالته على منكرات
التهليل ومكروهاها وبدع المتصوفة فيها لا تفقت كلمة الكل عليها
اذ لم يزل ولا يزال في انفس كثيرين حزازات من اعمال هذه التهليل
سيما في ذلك الزمن السالف فقد كانت التهليل قائمة على ساق وقدم قياما
مدهشا بحيث لا تفتر المشايخ عن اقامتها الاغنياء وكان يتفق لبعض
المشايخ ممن رزق حظا فيها ان يطلب منه في ليلة واحدة تهليلتان أو
أكثر فيضطر اهل الميت الى تأخير الميعاد اسبقهم بغيرهم . وكان يوجد
في بعض التهليل شبان مرد يتحللون للذكر ويقودهم رئيس الذكر

فيصفهم ثم يهيمون وينزعون طرايبهم ويرخون شعورهم . يقول لي
 من ابصر ذلك من المعمرين - المنكرين تلك الحالة - : فلا ترى
 الا شعوراً مسدولة وخصوراً مهتزة وأكتافاً متمايلة وتصفيقاً من كل
 جانب وخفضاً ورفماً وزعماً من كل صوب وهياماً لطرب ادوار
 المنشدين وموشحاتهم وتطبيقاتهم كل مقطع من مقاطع الذكر على نغم
 مخصوص مما يؤسف كل عاقل ويشجي كل حكيم . واظن ان
 ابن عابدين لما لم ترقه التهليل لما ذكرنا أراد ان يصرف الناس عنها
 بنقل قول معروف في المذهب عما بان الفقهاء والعامة يخضعون لفتيا
 الفقهاء فاتاهم من الجهة التي يعتقدونها . بيد انه لم يتم له الامر لوجوه : (اولها)
 عدم الاتفاق في المذهب على ذلك القول (ثانيها) ذهاب بقية الفقهاء
 من المذاهب الاخر الى خلافه أيضاً (ثالثها) حصره الرسالة في ذلك
 الفرع والتعصب له . ولو انه نقل اقوال الفقهاء في تحريف الذكر
 وتعطيط اللفظ الكريم وقصد الرياء والسمعة والعدول عن الأحب
 وهو التصديق سراً على المحاويج وما قد يولده هذا المجمع من المنكرات
 والاذن المردان بالذكر على حدة في الاثناء مما هو منكر بالاجماع
 واشار الاغنياء غالباً بالالوان الجميلة اذا هيَّ لهم الطعام ثم اطعام الفقراء
 غير ذلك الطعام واغلاق الباب في وجوه كثير من الفقراء وهم أحق
 من الموسرين المدعوين واعتقاد ما ليس بقربة قربة ، الى غير ذلك ،
 لكانت الرسالة بديعة في باهرها لا يرد عليها الا جاهل لا يقام له وزن .
 والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

(قراءة البخاري لنازلة الوباء والحرب ونحوها)

نقل القسطلاني رحمه الله تعالى شارح البخاري في مقدمة شرحه عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن أبي جرة قال قال لي من لقيت من العارفين ممن لقيه من السادة المقر لهم بالفضل : ان صحيح البخاري ما قرىء في شدة الا فرجت ولا ركبت به في مركب ففرقت انتهى . وقد جرى على العمل بذلك كثير من رؤساء العلم ومقدمي الاعيان اذا لم بالبلاد نازلة مهمة فيوزعون اجزاء الصحيح على العلماء والطلبة ويمينون للاختتام يوما يفدون فيه لمثل الجامع الاموي امام المقام اليحييري في دمشق وفي غيرها كما يراه مقدموها وهذا العمل ورثه جيل عن جيل منذ انتشار ذلك القول ، وتحسين الظن بقائله . بل كان ينتدب بعض المتقدمين الى قراءته موزعاً ثم ختمه اجتماعاً لمرض والى بلدة أو عظيم من عظمائها مجاناً أو بجائزة بل قد يستأجر من يقرأه خلاص وجيه من سجن أو شفائه من مرض على النحو المتقدم تقليداً لمن مضى . وكان يوجد من المتقدمين من ينسكز ذلك بقلبه أو يشافه به خاصته . ثم كتب أحد الفضلاء الازهرين في جمادى الثانية سنة « ١٣٢٠ » لأحدى المجلات العامية في مصر انتقاداً على هذه الحالة بما شفى . صدور الناقين على البدع فنشرتها عنه وما كبا بحروفها تحت عنوان « بماذا دفع العلماء نازلة الوباء » : دفعوها يوم الأحد الماضي في الجامع الازهر بقراءة متن البخاري موزعاً كراريس على العلماء وكبار المرشحين للتدريس في نحو ساعة جرياً على عادتهم من

اعداد هذا المتن أو السلاح الجبري لكشف الخطوب وتفرج الكروب
فهو يقوم عندهم في الحرب مقام المدفع والصارم والاسل وفي الحريق
مقام المضخة والماء وفي الهبيضة مقام الحبيطة الصحية وعقاقير الاطباء
وفي البيوت مقام الخفراء والشرطة وعلى كل حال فهو مستنزل الرحمت
ومستقر البركات . ولما كان العلماء أهل الذكر « والله يقول فاسألوا
أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » فقد جئت اسألهم بلسان كثير من
المسترشدين عن مأخذ هذا الدواء من كتاب الله أو صحيح سنة رسول
الله أو رأى مستدل عليه لأحد المجتهدين الذين يقلدونهم ان كانوا قد
اتوا هذا العمل على انه ديني داخل في دائرة المأمور به والا فمن أي
حذاق الاطباء تلقوه ليتبين للناس منه أو من مؤلفاته عمل تلاوة متن
البخاري في درء الهبيضة عن الامة وان هذا داخل في نواميس الفطرة
أو خارج عنها خارق لها ، واذا كان هذا السر العجيب جاء من جهة ان
المقروء حديث نبوي فلم خص بهذه المزية مؤلف البخاري ولم يجز
في هذا موطأ مالك وهو أعلى كعبا واعرق نسباً واغزر علماً ولا يزال
مذهبه حياً مشهوراً ، واذا جروا على ان الامر من وراء الاسباب فلم
لا يقرأه العلماء لدفع ألم الجوع كما يقرأونه لازالة المنص أو القىء أو
الاسهال حتى تذهب شحنة الجراية من صدور كثير من أهل العلم
« أي من أهل الجامع الازهر » وعلى هذا القياس يقرأ لكل شيء
ما دامت العلاقة بين الشيء وسببه مفصومة . فان لم يستطيعوا عزو
هذا الدواء الى نطاس الاطباء سألت الملم منهم بالتاريخ ان يرشدنا الى

من سن هذه السنة في الاسلام وهمل قرى البخاري لدفع الوباء قبل هذه المرة فاننا نعلم انه قرى للمرايين في واقعة التل الكبير « أي في مصر » فلم يلبثوا ان فشلوا ومزقوا شر ممزق ونعلم انه يقرأ في البيوت لتأمين من الحريق والسرقة ولكن باجر ليس شيئاً مذكوراً في جانب اجر شركة التأمين المعروفة مع ان الناس يتسابقون اليها تسابقهم الى شراء الدواء اذا نزل الداء ويعدلون عن الوقاية التي نحن بصدددها وهي تكاد تكون بالهجان ويجدون في نفوسهم اطمئناناً دون هذه . فان لم يجد العلماء عن هذه المسألة اجابة شافية خشيت كما يخشى العقلاء حملة أهل الافلام عليهم حملة تسقط الثقة بهم حتى من نفس العامة ، وحينئذ تقع الفوضى الدينية المتوقعة من ضعف الثقة واتهام العلماء بالتقصير وكون أعمالهم حجة على الدين . هذا وقد لهج الناس بأراء على أثر الاجتماع الهيفي الازهري فمن قائل ان العلماء المتأخرين من عاداتهم ان يهربوا في مثل هذه النوازل من الاخذ بالاسباب والاصطبار على تحملها لمشقتها الشديدة ويلجأون الى ما وراء الاسباب من خوارق العادات لسهولة ولا يهتم العامة انهم مرتبطون بعالم أرقى من هذا العالم المعروف النظام فيكسبون الراحة والاحترام معاً فيظهرون على الأمة ظهور اجلال ويمتلكون قلوبهم ويسيطرون على ارواحهم ، ولهذا تمكثوا حتى فترت شررة الوباء فقرأوا تميمتهم ليوهموا ان الخطر انما زال ببركة تميمتهم وطالع ينفهم . ومن قائل انهم يخدعون انفسهم بمثل هذه الاعمال بدليل ان من يصاب منهم لا يعالج مرضه بقراءة كراسة

من فلك الكتاب بل يعتمد الى المجربات من النعم والخل وماء البصل وما شابهها أو يلجأ الى الطبيب لا تلتفت نفسه الى الكراسة التي يعالج بها الامة فهذا يدل على ان القوم يعملون على ما في وجدانهم لهذه الامة خادعين أنفسهم بتسليم أعمال سلفهم . ومن قائل ان عدوا من اعداء الدين الاسلامي اراد ان يشكك المسلمين فيه فدخل عليهم من جهة تعظيمه فاوحى الى قوم من متعلميه السابقين ان يعظموا من شأنه ويرفعوا من قدره حتى يجعلوه فوق ما جاءت له الاديان فيدعون كشف نوائب الايام بتلاوة احاديث خير الانام ويروجون ما يقولون بانه جرب وان من شك فيه فقد طمن في مقام النبوة حتى اذا رست هذه العقيدة في الناس وصارت ملكة دينية راسخة عند العوام وجربوها فلم تفلح وقعوا والعياذ بالله في الشك وأصابهم دوار الحيرة كما حصل ذلك على أثر واقعة التل الكبير من كثير من الذين لم يتذوقوا الدين من المسلمين حتى كانوا يسألون عن قوة البخاري الحربية ونسبته الى البرادج ساخرين منه ومن قارئيه ولولا وقوف أهل الفكر منهم على ان هذا العمل ليس من الدين وان القرآن يقول « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل » النخ لضلوا وأضلوا . وقد جراً هذا الامر غير المسلمين على الخوض في الدين الاسلامي واقامة الحجة على المسلمين من عمل عاصيهم ولا حول ولا قوة الا بالله . ويقول قوم: ان التقليد بلغ بالعلماء مبلغا حرم على العقول النظر في عمل السلف وان كذبته العينان . وخالف الحس والوجدان . ويقول آخرون ممن لا خبرة

لهم بهمة العلماء في مثل هذه الكوارث اما كان ينبغي لهم ان يذنبوا في
المساجد والاندية والولائم حاثين الناس على الوقاية من المردى
معضدين الحكومة في تسكين سورة الاهلين مفاوضين الصحة في
فتح المساجد وتمهدها بالنظافة فان هذا يرتبط بهم أكثر مما يرتبط
بوفد اعيان القاهرة جزاء الله خير الجزاء ، فان اعوزهم البيان وخب
القلوب بذلاقة اللسان ، فلا أقل من ان يؤلفوا رسالة في فهم ما ورد
متنابها في موضوع المدونة حتى يعلم الناس ان الرقاية من الداء مأمور
بها شرعا وعقلا وسياسة فيكون كل فرد عارف عضدا للحكومة ولو
طلبوا من الصحة طبع ما ألفوا وتوزييه على المصالح والنواحي للبت
ذلك شاكرة وكان لهم الاثر النافع ، هذا ما يقوله القوم في شأن علمائهم
نرفعه اليهم ليكونوا على بينة منه لانهم لا يختلطون بالناس غالبا الا في
الولائم والمآتم وان اختلطوا فقاما يناقشونهم في شيء تحرزاً من حديثهم
في المناقشة ورميهم مناظرهم لاول وهلة بالزيف والزندقة فلذلك يجاملونهم
ويوافقونهم خشية الهجر والمماندة اما أنا فاني لا ازال السح في طلب
الجواب الشافي عن أهل دفع الوباء بقراءة الحديث وعن منح متن
البخاري مزية لم يمنحها كتاب الله الذي نعتقد انه متعبداً بتلاوته دون
الحديث ولو كان هذا العمل من غير العلماء الرسميين لضررت عنهم وعن
عملهم صفحا ولما خططت كلمة ولكنه من علماء لهم مراكز رسمية
يزاجون بها مراكز الامراء فيجب ان يؤبه لهم وان ينظر لعمالهم بازاء
مركزهم من الامة التي يسألون عنها . والله ولي التوفيق

هذا ما رأيته أثبتته بحروفه وقد وقع منشئها بامضاء (متنصح)
ولو عرفنا اسمه لنسبناه اليه اداء للامانة الى أهلها وقد اطلال وما أوجز
ولو انه ظفر بما جاء في كتاب الشفاء لادواء الوباء للعلامة عصام الدين
الطاشكبري الحنفي لكفاء فقد جاء بالمطلب السادس نقلا عن
السيوطي ان الدعاء برفع الطاعون والاجتماع له بدعة قال لانه وقع في
ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه والصحابة يومئذ متوافرون واكابرهم
موجودون فلم ينقل عن أحد منهم انه فعل شيئا من ذلك ولا أمر به
وكذا في القرن الثاني وفيه خيار التابعين واتباعهم وكذا في القرن
الثالث والرابع وانما حدث الدعاء برفعه في الزمن الاخير وذلك في سنة
(٧٤٩). انتهى وفيه فصل الخطاب وقد سلف لنا قبيل الباب السادس
ايضاح ذلك مفصلا وانما اعدناه تأكيذاً وتقريراً.

— ٣٤ —

﴿صورة عريضة قدمت لمدير الاوقاف لاجل اصلاح مساجد﴾
قرأت في جريدة مصرية تسمى «الجريدة» في عددها (٥٢١)
في صفحة «٣» تحت عنوان (المساجد بالنزكولون) ما مثاله :
حالة المساجد عندنا تستدرف العبرات ، وتثير الزفرات ، وتلهب
جذوة الحسرات ، من سائر الطبقات . مع انها مرشد المرشدين ،
ومعابد المتعبدين ومعاهد التذكير للمتقين ، ومعالم الالين المكلفين ،
وجوامع بني الانسان من المسلمين ؛ على اختلاف الازياء ، بحسب
الفقر والاثراء . واذا صبح أن يقال ان حياة الامة حياة لغاتها أفلا يكون

أصبح منه ان يقال ان حياة دين الفطرة حياة مساجده
بالز نكلون مساجد شادها رجال كانوا اذا ذكر الله وجلت قلوبهم
واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا بالغلة حد الاتقان ونهاية الابداع في
أيامهم تلك الايام الخالية التي كانت فيها الكماليات لا تقوم الا ان بادني
الحاجيات

وقد بلغت أرذل العمر وكادت تحز سقفا على الساجدين بها
وارشكت جدرانها ان تتصدع وتتقوض فضلا عن كونها مأوى
للحشرات فاسدة الهواء لاتصلح مرابط للانيق في حين ان مصلحة
الصحة العمومية تطارد امثالها بالهدم - زيادة على ما هي عليه - دفعا
للمضرات وفي حين ان ريع وقفها الذي لا يقل عن الثلاثين فدانا يكفي
لتشييدها على القانون الهندسي المصري فبلسان « الجريدة » الغراء التي
لا يشوبها في خدمة الحق والانسانية أدنى شائبة نستلفت انظار
سعادة الهمام الفاضل مدير الاوقاف الجديد اليها ونسأله رحمة بنا فقد
ضاق الخناق وعيل الصبر وهانحن ننتظر بفارغ الصبر لمساجدنا بناء
واسعادة المدير شكراً وثناء

- ٣٥ -

﴿ فضول بعض العامة وخوضها فيما لا تحيط به عاما ﴾

« في اصلاح قبلة بعض الجوامع »

خوض العامي فيما لا يحيط به عاماً ولا تبلغه مداركه قد يجز على
البلاد الولايات ويكون مدعاة لتضاؤل العلم والعلماء واتخاذهم التقية

شعاراً في أغلب الأحيان ومن ذلك لنقط بعض العامة في مسألة عالمية لا تبينها مداركهم مهما حاولوا وقعت في ايامنا وذلك ان جامع المصلى تداعت اركانه فقام الناظر ورغب في ان يقوم منآده ، بيد انه لما رأى سمت القبلة منحرفاً بعض الانحراف كما أخبر بذلك بعض البارعين في علم الهيئة أحب ان يرفع الجدار القبلي طبق ما يدعو اليه العلم فثارت ثائرة بعض العامة تطالب اعادة القديم على شكله بدعوى ان هذا الجامع عمري وان الصحابة ولت وجوهها شطر هذه القبلة على حين ان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لم يقدم دمشق وغاية الامر انه وصل مرتين لمدينة الجابية - قاعدة حوران في عهده - الواحدة لفتح بيت المقدس عام «١٦» والاخرى لتجنيده وتمصير الامصار عام «١٨» ومن العجيب ان مثل هذا الشغب وقع في عهد الامام السبكي أيام توليه قضاء دمشق فقد ذكر في فتاويه الكبيرة انه لما علم كثرة انحراف جامع «جراح» تطوع جماعة من أهل الخير من أموالهم بما يمر به ويجعل قبلته صحيحة فاراد ان يجعلها على الوضع الصحيح الذي تشهد له أدلة القبلة المسطورة في كتب أهل هذا العلم فبلغ أحد المتفقهة وبعض العوام انكار ذلك فوضح رحمه الله ان مثل هذه المباحث مردها الى أهلها كما قال امام الحرمين : قد ألف ذوو البصائر في ذلك كتباً فتطلب أدلة القبلة من كتبهم . ثم قال السبكي أفلا يستحي من ينكر الرجوع اليها بجمله وعدم اشتغاله وظنه انه من أهل الفقه وأن الفقه يخالفها ، اما يستحي من الانكار على العالمين بعلوم الشريعة وغيرها ومن ظنه انه على

الصواب دونهم ، اما يستحي الفريقتان من الكلام فيما لم يحيطوا به و من
نسبتهم الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه دخل دمشق ولم يدخل عمر
ابن الخطاب دمشق وانما وصل الى الجابية القرية التي بجوران . ثم قال :
فمن يترك الادلة المحققة وكلام الاماء في ذلك لجرد هذه الامور حقيق بان
لا يعبأ به : ثم اغرق الامام السبكي في هذه المسألة وساق كلاما
مطولا عن امام الحرمين والرافعي ثم قل : وجامع جراح انما يقصد
هدم - - - في زينة - - - لآلة القبة على الساق فاذا هدم وجعل على
القبلة التي يدل العلم عليها كان على الحق . ولا يجوز تضییع أموال
الناس ووضع محراب اعتقد - - - يني علماء الهيئة - - - انه على غير الصواب
انتهى . هذا والفتوى مطولة تضمنت فوائد جمة تجد مراجعتها اوردنا
خلاصتها في المجلد الثالث من كتابنا (تمطير الشام في ماثر دمشق
الشام) وما يصح ان يقال عن جامع جراح من الاحكام يجوز ان
يقضى بها على الجامع المجدد اليوم . وقد عهد التروني في امر القبلة في
كل جامع أراد الملوك والامراء اشادته فقد حكى السيوطي في (حسن
المحاضرة) ان جامع عمرو في مصر وقف على قبلته ثمانون رجلا من
الصحابة وان جامع احمد بن طولون احضر له فريق ممن لهم اليد الطولى
في علم الهندسة . فليتدبر ذلك أولو الألباب



خاتمة الكتاب

﴿ في فروع فقهية في أحكام المساجد من وقف وغيره ﴾

« ما جاء في الاقناع وشرحه من ذلك »

١ - يجب بناء المساجد في الامصار والقرى والمحال ونحوها بحسب الحاجة فهو فرض كفاية. وفي الحث على عمارة المساجد ومراعاة مصالحها آثار كثيرة

٢ - يستحب تنظيف المساجد وتطيبها لأمره صلوات الله عليه بذلك

٣ - يسن ان تصان عن كل وسخ وقذر ومخاط وتقليم أظفار وقص شارب وحلق رأس ونتف ابط وعن رائحة كريهة من بصل وثوم وكراث ونحوها وان لم يكن فيه أحد ، فان دخله آكل ذلك أو من له صنان أو بخير قوي استحب اخراجه

٤ - يسان المسجد من بزاق ولو في هوائه ، وهو فيه خطيئة فان كانت ارضه ترابية فكفارته دفنها والا مسحها بشوبه أو غيره ، ولا يكفي تغطيتها بحصير ، وان لم يرها فاعلها لزم غيره ازالها ، وان كان البزاق في حائطه لزم أيضا ازلتها ويسن تطيب موضعها

٥ - تحرم زخرفته بذهب أو فضة وتجب ازالته (وأول من ذهب الكعبة في الاسلام وزخرفها وزخرف المساجد الوليد بن عبد الملك

٦ - يكره ان يزخرف بنقش وصبغ وكتابة وغير ذلك مما يلهي

المصلي عن صلاته غالبا ، وان كان من مال الوقف حرم فعله ووجب الضمان . ولا بأس بتجسيصه اي تبديض حيطانه

٧ - يحرم فيه البيع والشراء والاجارة للمعتكف وغيره . ويسن ان يقال لمن باع او اشترى لا اربح الله تجارتك

٨ - لا يجوز التكسب فيه بالصنعة كخياطة وغيرها قليلا كان او كثيرا لحاجة وغيرها ، ولا يجوز ان يتخذ المسجد مكانا للمعاش

٩ - قسروا المساجد والمصالح فيه ينتظرون من يكرهم بمنزلة وضع البضائع فيه ينتظرون من يشتريها ، وعلى ولي الامر منهم من ذلك ، وان وقفوا خارج أبوابه فلا بأس

١٠ - لا يكره اليسير من العمل لغير التكسب كرفع ثوب وخصف نعل ، ويحرم للتكسب الا الكتابة فهي نوع تحصيل للعلم وتكثير كتبه ويخرج على ذلك تعليم الصبيان الكتابة فيه بالاجر بشرط ان لا يحصل ضرر بحبر وما اشبهه

١١ - يسن ان يمان من صغير لا يميز ، وعن مجنون حال جنونه ، وعن لغط ، وخصومة ، وكثرة حديث لاغ ، ورفع صوت بمكروه ، وعن رفع الصبيان اصواتهم باللعب وغيره ، وعن التصفيق والضرب بالدفوف ، واختلاط الرجال والنساء

١٢ - يمنع فيه اذاء المصلين وغيرهم بقول او فعل لحديث « ما انصف القاري المصلي »

١٣ - يمنع السكران من دخوله

١٤ - لا باس بالمناظرة في مسائل الفقه والاجتهاد فيه اذا كان
القصد طلب الحق ، فان كان مغالية ومناظرة دخل في حيز الملاحاة
والجدال فيما لا يعنى ولم يحز في المسجد

١٥ - يباح فيه عقد النكاح والقضاء والحكم وانشاد الشعر المباح
وتعليم العلم وما يتعلق بذلك

١٦ - يباح المريض أن يكون في المسجد وان يكون في خيمة
وادخل البعير فيه

١٧ - يكره جملة طريقا الا الحاجة ، وكونه طريقا قريبا حاجة
فتزول الكراهة بذلك

١٨ - يحرم اللبث فيه للجنب ، وان توجنا جاز له اللبث فيه

١٩ - يباح للمعتكف وغيره النوم فيه لكن لا ينام قدام المصلين

٢٠ - يسن صوته عن انشاد شعر قبيل وعمل سماع وانشاد ضالة

وعن اقامة حد وعن سبل سيف

٢١ - يكره فيه الخوض والفضول وحديث الدنيا والارتفاق به

واخراج حصاه وتوابه للتبرك به

٢٢ - لا يستعمل الناس حصره وقناديله وسائر ما وقف لمصالحه

في مصالحهم كالأعراس والتعزية لأنها لم توقف لذلك ؛ والوقف يصرف
للجهة التي عينها الواقف

٢٣ - من له الاكل فيه فلا يلوث حصره ويلقى العظام ونحوها فيه

لانه تقدير له فان فعل فعلية تنظيف ذلك

٢٤ - لا يجوز ان يغرس فيه شيء ويقلع ما غرس فيه ولا حفر بئر
 ٢٥ - يحرم الجماع فيه ويكره على سطحه ويكره البول على
 حائطه والتمسح به ويحرم بوله فيه ولو في اناء، ويحرم فصد وحجامة
 وقى ونحوه وان دعت اليه حاجة كبيرة خرج المعتكف من المسجد
 ففعله ثم عاد

٢٦ - يباح الوضوء فيه والغسل بلا ضرر الا ان يحصل منه
 بصاق او مخاط

٢٧ - يباح غلق ابوابه في غير أوقات الصلوات لئلا يدخله من
 يكره دخوله اليه كجثون وسكران وطفل لا يميز

٢٨ - يباح ثقل القطار والبراغيث فيه ان اخرجته والاحرم
 القاذوء فيه

٢٩ - لا بأس بالاجتماع في المسجد الا لمكروه وممضية
 ٣٠ - لا بأس بالاكل فيه المعتكف وغيره وبالاتقاء فيه لمن

له سراويل

٣١ - يكره السؤال في سؤال الصدقة في المسجد والتصدق
 عليه فيه لأنه امانة على مكروه ، ولا يكره التصدق على السائل ولا على
 من سأل له الخطيب

٣٢ - يقدم داخله يمناه في دخوله عكس خروجه

٣٣ - يسن تجميره في الجمع والاعياد وشمل قناديله بحسب الحاجة
 وكره ايقادها زيادة على الحاجة والزيادة على المعتاد في ايلة النصف من

شعبان وليلة الرغائب وهي ليلة اول جمعة من رجب بدعة واصناعة مال
خلوه عن نفع الدنيا ونفع الآخر ويؤدي الى اللغظ واللهو وشغل
قلوب المصلين ومثله ايقاد المآذن في رمضان

٣٤ - يمنع الناس من استطراد حلق الفقهاء والقراء فيه صيانة
لحرمتها

٣٥ - يستحب للجالس فيه استقبال القبلة ويكره مد الرجل اليها
٣٦ - يباح اتخاذ المحراب فيه وفي المنزل والربط والمدارس
٣٧ - يحرم ان يبني مسجد الى جنب مسجد الحاجة كضيق
الاول ونحوه

٣٨ - يكره تطيينه بنجس وبنائوه بنجس من لبن وغيره
٣٩ - لا بأس بضرب الخباء واحتجار الحصير فيه لشبوته في الخبر
٤٠ - يكره لغير الامام مداومة موضع منه لا يصلي الا فيه ،
فان داوم على الصلاة بموضع فيه فليس هو اولى من غيره فاذا قام منه
فلغيره الجلوس فيه

٤١ - ليس لاحد ان يقيم منه انسانا ولو ولده ويجلس مكانه او
يجلس غيره مكانه الا الصبي فيؤخر عن المكان الفاضل
٤٢ - من قام من موضعه لعذر ثم عاد اليه فهو احق به ، لانه
السابق اليه ، وان قام لغير عذر سقط حقه بقيامه لاعراضه عنه الا ان
يُخَلَّفَ مَحْكِيَّ مَفْرُوشًا ونحوه في مكانه فليس لاحد غيره رفعه
٤٣ - ينبغي لمن قصد المسجد للصلاة او غيرها ان ينوي

الاعتكاف مدة لبثه بالمسجد ان كان صائماً

٤٤ - من جعل سفل بيته مسجداً صح وانتفع بملوه او جعل علوه مسجداً صح وانتفع بالاخر فيما شاء وقيل بالثاني فقط

٤٥ - حريم الجوامع والمساجد ان كان الارتفاق بها مضراً باهل الجوامع والمساجد منعوا منه لان المصلين بها احق من غيرهم وان لم يكن في الارتفاق بها ضرر جاز الارتفاق بحريمها لان الحق فيها لعامة المسلمين

٤٦ - لا يجوز احداث المسجد في المقبرة ولا يصح الوقف على بناء مسجد على القبر ولا وقف البيت الذي فيه القبر مسجداً ولا على التنوير على قبر ولا على تبخيره ولا على من يقيم عنده او يخدمه او يزوره

٤٧ - من سرح شعره فيه وجمعه فلم يتركه فلا بأس بذلك ويكره ترك الشعر فان المسجد يمان عن القذاة التي تقع في العين

﴿ فروع اخرى من ابواب الوقف من الافناع وشرحه ﴾

٤٨ - لو تصدق بدهن على مسجد ليوقد فيه جاز لان تنوير المسجد مندوب اليه وهو من باب الوقف كوقف الماء (قاله الشيخ تقي الدين)

٤٩ - لا يصح الوقف على تنوير قبر وتبخيره . ولا على من يقيم عنده او يخدمه او يزوره قاله في الرعاية ، ولا يصح الوقف ايضاً على بناء مسجد على القبر ولا وقف البيت الذي فيه القبر مسجداً لقول

ابن عباس آمن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها
 المساجد والسرج . أخرجه أبو داود وأترمذي والنسائي (ناله الحارثي)
 ٥٥ - يجوز صرف الموقوف على بناء مسجد لبناء منارته وإصلاحها
 وبناء منبره ، وإن يشتري منه سلم للسطح ، وإن يبنى منه ظلة لأن ذلك
 من حقوقه ومصالحه لا لبناء مرحاض وهو بيت الخلاء لمنافاته المسجد
 ولا لزخرفة مسجد بالذهب وبالأصباغ لأنه منهي عنه وليس ببناء بل
 لو شرط لما صح لأنه ليس قربة ولا داخل في قسم المباح ولا في شراء
 مكانس ومجارف لأنه ليس ببناء ولا سبباً له . وإن وقف على مسجد
 أو مصالحه جاز صرفه في نوع العمارة وفي مكانس وحصر ومجارف
 ومساحي وقناديل ووقود ورزق إمام ومؤذن وقيم لدخول ذلك كله في
 مصالح المسجد وضعاً أو عرفاً

٥١ - قال الشيخ تقي الدين : ما يؤخذ من بيت المال فليس
 عوضاً واجرة بل رزق للأمانة على الطاعة وكذلك المال الموقوف على
 أعمال البر والموصى به أو المنذور له ليس كالأجرة والجعل . انتهى أي
 فالقائل بالمنع من أخذ الأجرة على نوع القرب لا يمنع من أخذ المشروط
 في الوقف فإن الحارثي يعني إذا لم يكن الوقف من بيت المال فإن كان
 منه كأوقاف السلاطين من بيت المال فليس بوقف حقيقي بل كل من
 جاز له الاكل من بيت المال جاز له الاكل منها كما أفق به صاحب
 المنتهى موافقة للشيخ الرملي وغيره في وقف جامع طولون ونحوه
 ٥٢ - قال الشيخ تقي الدين : من أكل المال بالباطل قوم لهم

رواتب من بيت المال اضعاف حاجاتهم وقوم لهم جهات معلومها كثير
ياخذونه ويستنيبون يسيرون من المعلوم لان هذا خلاف غرض الواقفين
والنيابة في مثل هذه الاعمال المشروطة من تدريس وامامة وخطابة
واذان وغلق باب ونحوها جائزة اذا كان النائب مثل مستنيبه

٥٣ - لا يجوز إخراج حصر المسجد ونحوها لمنتظر جنازة

او غيره

٥٤ - لا يصح بيع الوقف ولا هبته ولا المناقلة به اى ابداله ولو
بخير منه لقوله ^{عليه السلام} « لا يباع اصلها ولا توهب ولا تورث » قال الترمذي
العمل على هذا الحديث عند اهل العلم واجماع الصحابة على ذلك الا ان
تتعطل منافعه المقصودة منه بخراب او غيره بحيث لا يرد شيئا على اهله
او يرد شيئا لا يمد نفعا وتعذر عمارته وعورد نفعه ولو مسجدا حتى
يضيقه على اهله المصلين به وتعذر توسيعه في محله او خراب محله او
كان موضعه قدرا فيصح بيعه ^(١) ويصرف ثمنه في مثله للنهي عن اضاءة
المال وفي ابقائه اذن اضاءة فوجب الحفظ بالبيع ولان المقصود انتفاع
الموقوف عليه بالثمرة لا بعين الاصل من حيث هو ومنع البيع اذن يبطل
لهذا المعنى الذي اقتضاه الوقف فيكون خلاف الاصل ولان فيما نقوله
ابقاء للوقف بمعناه حين تعذر الابقاء بصورته فيكون متعينا ، وعموم
(لا يباع اصلها) مخصوص بحالة تعامل الموقوف الانتفاع المخصوص
لما ذكرنا

(١) سيأتي في ٦٣ (ص ٣٥٧) عن ابى يوسف رحمه الله مثله اهـ

قال ابن رجب، ويجوز في اظهر الروايتين عن احمد ان يباع ذلك المسجد ويمر بثمنه مسجد آخر في قرية اخرى اذا لم يحتاج اليه في القرية الأولى

٥٥ - يجوز نقل آلة المسجد الذي يجوز بيعه ونقل انتقاضه الى مثله ان احتاجها فان ابن مسعود رضي الله عنه قد حول مسجد الجامع من التمارين بالكوفة ، وهذا النقل اولى من بيعه لبقاء الانتفاع من غير خلل فيه

علم من قولنا « الى مثله » انه لا يعمر بالآلات المسجد مدرسة ولا رباط ولا بئر ولا حوض ولا قنطرة ، وكذا آلات كل واحد من هذه الامكنة لا يعمر بها ماعداه لان جعلها في مثل العين ممكن فتمين ، وافق الامام عبادة بجواز عمارة وقف من ريع آخر على جهته ، ذكره ابن رجب في طبقاته . قال في الانصاف وهو قوى بل عمل الناس عليه اه
٥٦ - يجوز تجديد بناء المسجد لمصلحة الحديث عائشة في الصحيح « لولا قومك حديث عهد بجاهلية لا مرت بالبيت فهدم فدخلت فيه ما اخرج منه » الحديث

٥٧ - لا يجوز قسم المسجد مسجدين بيايين الى دربين مختلفين لانه تغيير لغير مصلحة له

٥٨ - يجوز نقض منارته وجعلها في حائطه لتحصيله

٥٩ - ما فضل عن حاجة المسجد من حصره وزيته ومغله وانتقاضه واكتنه وثمنها جاز صرفه الى مسجد آخر محتاج اليه لانه صرف في نوع

المعين وجازت الصدقة بها على الفقراء المساكين

٦٠ - لو وقف على مسجد أو حوض وتعطل الانتفاع بهما
صرف الى مثلهما

٦١ - يجوز حفر بئر في المسجد ان كان فيه مصابحة ولم يحصل به ضيق

٦٢ - يجوز رفع المسجد اذا اراد اكثر اهله ذلك وجعل تحت
سفله سقاية وحوانيت



﴿ فروع اخرى - من احكام الاوقاف للبرهان الطرابلسي ﴾

٦٣ - لو خرب المسجد وما حوله وتفرق الناس عنه لا يعود الى
ملك الواقف عند ابى يوسف فيباع تقضه باذن القاضي ويصرف ثمنه
الى بعض المساجد

٦٤ - لو كان طريق العامة واسعا فبنى فيه اهل محله مسجدا
للعمامة وهو لا يضر بالمارة قالوا لا بأس به، وهو مروي عن ابى حنيفة
ومحمد رحمهما الله لان الطريق للمساكين والمسجد لهم ايضا، ولو احتيج
الى توسعته من الطريق او توسعة الطريق منه ولا ضرر فيها على الآخر
يجوز لما قلنا

٦٥ - لو ضاق المسجد على الناس وبجنبه ارض ملك لرجل تؤخذ
منه بالقيمة كرها دفعا للضرر العام، ولو كانت وقفا على المسجد وارادوا
الزيادة فيه منها يجوز باذن القاضي

٦٦ - لو اراد قيم المسجد ان يبنى حوانيت في حرم المسجد وفناءه
قال ابو الليث : لا يجوز له ان يجعل شيئاً من المسجد سكناً ومستغلاً
٦٧ - لو حول اهل المحلة باب المسجد من موضع الى موضع
آخر جاز

٦٨ - لو اوصى بثلاث ماله لاعمال البر يجوز اسراج المسجد منه
ولا يزداد على سراج واحد ولو في رمضان لانه اسراف
٦٩ - لو اوصى لعمارة المسجد يصرف فيما كان من البناء دون
التزيين ويصرف في المنارة لانها من بناء المسجد

٧٠ - لو نقش القيم المسجد من غلة الوقف على عمارته كان ضامناً
٧١ - لو وقفت ارض على عمارة المسجد على ان مافضل من عمارته
فهو للفقراء فاجتمعت الغلة والمسجد غير محتاج الى العمارة قال البلخي
تجسس الغلة لانه ربما يحدث بالمسجد حدث وتصير الارض بحال لا تغل
قال ابو جعفر الا اذا زاد عما يحتاج اليه المسجد لو حدث به حدث
فالزائد يصرف للفقراء على ما شرط الواقف

٧٢ - لو كان المسجد في مهب الريح فيصيب المطر بابه ويبتل
داخله واخارج منه ويشقى على الناس دخوله ، فيجوز ان يتخذوا له
ظلة من غلة وقفه ان كان لا يضر باهل الطريق

٧٣ - ليس لمتولى المسجد ان يحمل سراج المسجد الى بيته . اهـ
من احكام الاوقاف

٧٤ - قال في الاقناع : ولو وقف على مسجد ونحوه قنديل من ذهب او فضة لم يصح وقفه ويحرم . وقال الموفق : وقفه بمنزلة الصدقة به على المسجد فيكسر ويصرف في مصلحة المسجد وعمارته ، ويحرم تمويه سقف وحائط بذهب او فضة لانه سرف ويفضي الى الخيلاء وكسر قلوب الفقراء وتجب ازالته كسائر المنكرات . اهـ



قال مؤلفه : تم جمها وتسويدا في ٢٤ رمضان عام ١٣٢٣ بمنازلنا بدمشق الشام
ثم زاد المؤلف عليه زيادات كثيرة بد التارخ المذكور

بحمدہ تعالیٰ

قابلتہ علی مسودتی وزياداتي بعدها
في مجالس آخرها رابع عيد الاضحى سنة ١٣٣٠
وكتبہ مؤلفہ

جمال الدين القاسمي



فهرس

﴿اصلاح المساجد * من البدع والموائد﴾

صفحة	
٢	مقدمة النشر
٤	خطبة الكتاب
٦	مقدمات : بيان ميزان الاستقامة على الطريق والجور عنه
٧	الترهيب من الابتداع
١١	معنى البدعة
١٢	انقسام البدعة الى حسنة وسيئة
١٣	ردّ البدعة في الدين
١٤	بغض المبتدع
١٥	وعيد من سن سنة سيئة
١٦	انكار المنكرات المحظورة والمنكروهة ، مفسد اقرار البدع
١٨	مايجب على العالم فيما يرد عليه مما يأمن فيه من الابتداع
١٩	اجتناب العالم مايتورط بسببه العامة
٢٧	فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
٣٢	بيان من هو المستطيع لازالة البدع في المساجد
٣٤	لزوم الصبر والتواصي به للداعي الى الحق

- ٣٧ نقيم المتعصبين على منكر البدع بغير وجه لا
 ٣٨ عدوى البدع من شؤم المخالطة
 ٣٩ ما يجب على العالم اذا خالط العامة
 ٤١ السمي بازالة البدع من المساجد
 ٤٢ حكم المسجد في أرض مفسوبة أو من مال مفسوب
 ٤٦ ايشار المسجد الذي تقل فيه البدع

الباب الاول في بدع الصلاة في المساجد

- ٤٩ الفصل الاول في بدع صلاة الجمعة
 ٤٩ . المحذات في خطبة الجمعة
 ٥١ صلاة الظهر جماعة عقب صلاة الجمعة
 ٥٤ خروج الجمعة عن موضوعها بكثرة تعددها
 ٦٨ خصائص الجمعة في العهد النبوي وفي عهد الخلفاء الراشدين
 ٦٩ انتظار الاربعين في القرى ليتم عدد المجمعين
 ٧٠ أداء الجمعة في حجرة ورفض الصفوف
 ٧١ أدب الخطب والخطباء
 ٧٥ دعاء المؤذن بين الخطبتين أثر جلوس الخطيب
 ٧٦ الاحاديث المروية على المنابر في فضل رجب

٧٨	التمسح بالخطيب إذا نزل من المنبر
٧٩	الفصل الثاني في بدع محدثة في الصلاة
٧٩	الجهر بالنية قبل تكبيرة الأحرام
٨٣	صلاة النافلة إذا اقيمت الصلاة
٨٤	إساءة الصلاة
٨٥	رفض الجماعة الأولى لا انتظار الثانية
٨٥	الافتئات على الإمام الراتب
٨٦	صلاة جماعتين فأكثر في محل واحد يشوش بعضهم على بعض
٩١	بدعة السجدين بعد الصلاة بلا سبب مشروع
٩٢	التأخر عن الصفوف في الرفوف ، المسيئون صلاة التراويح
٩٤	انفراد المصلين للوتر عن القدوة بإمام التراويح المخالف لمذهبهم
٩٧	الفصل الثالث في آداب الإمام والقدوة
٩٧	مسائل في هذا الموضوع
١٠٠	سنة تحية المسجد لكل داخل إلا في صور
١٠٠	حظر إقامة من سبق إلى مكان في المسجد إلا في صور
١٠١	حظر المرور بين يدي المصلي إلا في صور
١٠١	نهى ذي الريح الخبيثة عن دخول المسجد إلا في صورة

الباب الثاني في البدع المأثورة

- ١٠٢ الفصل الأول في فروع : زخرفة المساجد
 ١٠٣ كثرة المساجد في المحلة الواحدة ومزية المسجد العتيق
 ١٠٥ الفصل الثاني في تنوير المساجد في الأشهر الثلاثة
 ١٠٥ زيادة التنوير ليلة أول جمعة من رجب
 ١٠٦ زيادة التنوير ليلة النصف من شعبان وقراءة ادعية فيها
 ١٠٨ زيادة التنوير في رمضان
 ١١٠ ابقاء المصاييح متقدمة الى الضيحية أيام العيد
 ١١٢ الفصل الثالث : المقاصير والدرابزين في المسجد
 ١١٣ كرسي القارئ في المسجد والتشويش بالقراءة عليه

الباب الثالث : الادعية والاذكار والقصص

- ١١٥ الفصل الأول : السماع في المسجد
 ١١٦ الذاكرون المغيرون للفظ الجلالة
 ١١٩ رفع الصوت في المسجد بذكر أو غيره
 ١٢١ تحقيق وقت السحر وما ينتقد على قارئ وردده في المسجد
 ١٢٣ الاحتراز عن البدع في الاحتفال بقراءة المولد النبوي
 ١٢٤ التحلق لحديث الدنيا في المسجد

- ١٢٥ كتابة آيات السلام ليلة آخر اربعاء من صفر
- ١٢٨ القصص في المساجد
- ١٣٣ **الفصل الثاني** في القراءة والقراء وغير ذلك
- ١٣٣ اللفظ وقت القراءة ، التشويش بالقراءة على الناس
- ١٣٤ التشويش على القراء في المسجد
- ١٣٥ المعرضون عن مجالس العلم بالمسجد
- ١٣٦ المعرضون عن سماع خطبة العيد
- ١٣٧ المشتغلون بنوافل العبادة في المساجد مع الجاهل وترك محل العلم
- ١٣٨ المسرعون بقراءة القرآن
- ١٣٩ اللاحنون بالقرآن في المسجد
- ١٤٠ دعاء لياقي اول السنة وآخرها
- ١٤١ **الفصل الثالث** في المؤذنين . آداب الأذان والاقامة
- ١٤٢ فروع في الاذان
- ١٤٤ الاذان داخل المسجد في المغرب والعشاء مع الاذان في المنائر
- ١٤٥ الزيادة على الاذان المشروع وبدعة التنعيم
- ١٤٧ ايقاع الاذان الثاني قبل الفجر في رمضان تعجيلا للسجود
- ١٤٩ الموقتون في بعض المساجد
- ١٥٠ اقامة من يؤذن
- ١٥١ زيادة لفظ « سيدنا » في الفاظ اقامة الصلاة

- ١٥٤ الزعق بالتأمين عقب الصلوات
- ١٥٦ الانشاد قبل خطبة الجمعة ، تبليغ المؤذنين جماعة
- ١٥٧ التبليغ بالانغام المعروفة
- ١٥٨ حكم التبليغ عند عدم الحاجة اليه
- ١٥٨ جهر المؤذنين بالورد المعلوم وبالا ناشيد
- ١٥٩ انشاد الفزليات في المنارات
- ١٦٠ نشيد وداع رمضان
- ١٦٣ بيان انه لا عبرة بوجود هذه البدع بالجامع الاموي
وسكوت الاقدمين عليها
- الباب الرابع في الدروس الخاصة والعامة**
- ١٦٤ تعصب بعض المدرسين
- ١٦٨ تساهل بعض المدرسين في الدروس العامة
- ١٧١ توسيد التدريس الى غير أهله
- ١٧٣ عدم جواز توسيد التدريس لغير الاهل وأنه لا تصح توليته
- ١٧٥ تنازل كثير من الاخيار عن وظائفهم بالتوكيل او الاستقالة

الباب الخامس

- ١٧٧ **الفصل الاول** فيما يفعلونه الميت في المسجد من البدع
- ١٧٢ نعي الميت في المآذن والنداء للصلاة عليه

- ١٧٨ رفع الاصوات أمام الميت بالاناشيد
- ١٧٩ رثاء الميت في المسجد وقراءة نسبه وحسبه
- ١٨٠ تأخير الميت في المسجد ، الجلوس للتعزية في المسجد
- ١٨١ دفن الميت في المسجد أو بناء مسجد عليه
- ١٨٣ نعي الامام الحسين على المنبر في جمعة عاشوراء
- ١٨٦ **الفصل الثاني** : تقرب المالك في المسجد بالنية الحسنة
- ١٨٨ الانقطاع في المسجد لحظ النفس
- ١٨٩ القائمون بسكنى المساجد عن الكسب
- ١٩١ الممتزلون في المساجد والمدارس وآفات الاعتزال
- ١٩٢ البصرياء والمتعففون الذين يألفون المساجد
- ١٩٦ اتخاذ الجوامع خاناتها
- ١٩٧ اتخاذ المساجد مكاتب أو مخافر
- ١٩٨ التماوت واطراق الرأس واحناء الظهر في المسجد وغيره
- ١٩٩ جهل بعض ائمة القرى
- ٢٠١ تقصير اكابر القرى في عمارة مساجدهم
- ٢٠٢ تنطع من يدخل المسجد حافياً وهو يعمر
- ٢٠٢ ايلاف مسجد لاعتقاد فضل فيه غير المساجد الثلاثة
- ٢٠٣ المحافظون لنعال الناس في المسجد ، ايواء القواط في المسجد
- ٢٠٤ ايواء المجازيب في بعض المساجد

- ٢٠٥ دخول الصبيان للمساجد ، بيع الادوية والاطعمة والتموينات
في المسجد وتخلل السؤال الصفوف
- ٢٠٦ الايطان في موضع من المسجد
- ٢٠٧ واجبات نظار المساجد
- ٢١٢ الاجتماع في المسجد للدعاء برفع الوباء
- الباب السادس في المشروع في المساجد الثلاثة والمبتدع
- ٢١٤ الفصل الاول : في بيت المقدس
- ٢١٨ الفصل الثاني : في مسجد الخليل
- ٢١٩ الفصل الثالث : في مزارات ماحول المدينة
- ٢٢١ الفصل الرابع : في مزارات مكة
- ٢٢٥ الفصل الخامس : الامكنة التي نزلها النبي ﷺ
وبيان حقيقة المتابعة

الباب السابع في بدع شتى

- ٢٣٠ مارتبه النساء من زيارة المقامات في المساجد
- ٢٣٢ النذر للمساجد ولا سراج الضرائح والمآذن وقراءة المولد فيها
- ٢٣٤ الموسوسون في أمر الطهارة والمسرفون من ماء المساجد
- ٢٣٧ مشي المستبرئين في جوانب المسجد

- ٢٣٩ اغتسال الرعاع في برك بعض المساجد ، خطيئة البزاق في المساجد
- ٢٤٠ وضع ستائر في نواحي المسجد وهي الاعلام والرايات
- ٢٤٢ التمسح بالاعلام او الحيطان في المسجد
- ٢٤٣ لجأ اليتامى والرجال البؤساء الى أووين المساجد
- ٢٤٧ ضرر اقامة الراقي في حجر المساجد
- ٢٤٨ اخراج السيارات من المساجد
- ٢٥٠ وعظ النساء في مسجد خاص
- ٢٥٣ الصادون عن تدفئة المساجد في الشتاء
- ٢٥٦ شقاء خدمة المسجد بالتهاون بالجماعات
- ٢٥٧ الرغبة عن ايقاد زيت الغاز الى الزيت البلادي
- ٢٥٨ استنكار من ليس بمعمّم ومن ليس له حبة أن يؤم في الصلاة
- ٢٦٠ واجبات بواب المسجد والمدرسة وبيان ضرر غلق أبوابها
- ٢٦١ تخلف الكثيرين عن الجماعات ولحوهم عنها
- ٢٦٤ احتكار الكتب الموقوفة في بعض المساجد
- ٢٦٥ الايصاء بالمصاحف والسجادات في مساجد لا تحتاج اليها
- ٢٦٧ غرس الاشجار في المساجد ، املاذل القراء باطالة القراءة
- ٢٧٠ تفريق أجزاء القرآن والقاريء يقرأ
- ٢٧١ غضب الملازمين لوراء الامام على من يراحمهم
- ٢٧٢ ازدحام المتفرجين على الحمل في بعض المساجد

- ٢٧٤ بسط بعض المصلين سجادته فوق سجادات المسجد
- ٢٧٦ تخير ماء البحرات أيام انقطاع الماء
- ٢٧٨ تحجير بعض السقايات المسبلة بشباك حديد
- ٢٨٠ اجتماع الفقراء لتقبل صدقة اسقاط الصلاة في المسجد
- ٢٨٣ قيام بعض المدرسين أو السامعين لبعض القادمين
- ٢٨٤ احترام أفنية المساجد
- ٢٨٥ التهليل في المسجد لمن يتوفى من قرواه ، والبحث في التهليل
- ٢٨٩ قراءة البخارى لנازلة الوباء والحرب ونحوهما
- ٢٩٤ صورة عريضة لاجل اصلاح مساجد
- ٢٩٥ فضول بعض العامة وخوضها فيما تجهله من اصلاح القبلة
- ٢٩٨ الخاتمة في فروع فقهية في أحكام المساجد من وقف وغيره
- ٣٠٧ فروع اخرى من احكام الاوقاف للبرهان الطرابلسي
- ٣١٠ الفهرس



مطبوعات

المطبعة السلفية - ومكتبتها

لصاحبها : محب السلف والطيب وعبد القادر

تليفون ٥٤٧ « ازبكية » * صندوق البريد ٣٧٥ مصر * تلغرافياً « القبول »

١٠٠

- | | |
|----|--|
| ٢٠ | عدة الصابرين لابن القيم * ٣٢٠ صفحة |
| ٣ | أربمون حديثاً لشيخ الاسلام ابن تيمية * ٥٠ صفحة |
| ٥٠ | الموافقات للشاطبي أربعة أجزاء |
| ٨ | مقدمة المحاضرات الاولى لغوستاف لوبون * ١٣٧ صفحة |
| ٨ | مذكرات غليوم الثاني * ٢٥٥ صفحة |
| ٥ | الحديقة (مجموعة أدب وحكمة وتهذيب قومي) * ٢٨٨ صفحة |
| ٥ | قيص من نار للوزيرة خالدة أديب * ٢٠٨ صفحات |
| ١ | نسيب سعد باشا زغلول * ٦٦ صفحة |
| ٨ | مجموعة النشاشيبي (مختارات عربية) * ١٧٦ صفحة |
| ٢٣ | أشعار عربية (محفوظات) للنشاشيبي * ٢١ صفحة |
| ٨ | دولت كينخوتي (فكاهي مزين بالصور الكثيرة) ١٥٨ صفحة |
| ٥ | أشهر الامثال للعلامة الشيخ طاهر الجزائري * ١٣٦ صفحة |
| ٦ | كمال البلاغة (رسائل الامير قابوس بن وشمكير) * ١١٢ صفحة |
| ١٢ | أدب الكتاب للصولي * ٢٧٠ صفحة |
| ١٥ | الضرائر ومايسوغ للشاعر دون النائر للأكوسي * ٣٦٠ صفحة |
| ١٥ | الأدب المصري في العراق العربي (مزين بالصور) * ٢٢٤ صفحة |
| ١٠ | نزهة الانام في محاسن الشام للبدرى * ٣٩٢ صفحة |
| ١٥ | الاقتصاد التجاري تأليف بير كابر جيه * ٢٤٠ صفحة |
| ٢ | كتيب في الدستور المصري * ٢٤ صفحة |